

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, NO. IX/xiii/i



KITABU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A.H./1372 A.D.)

Vol. I

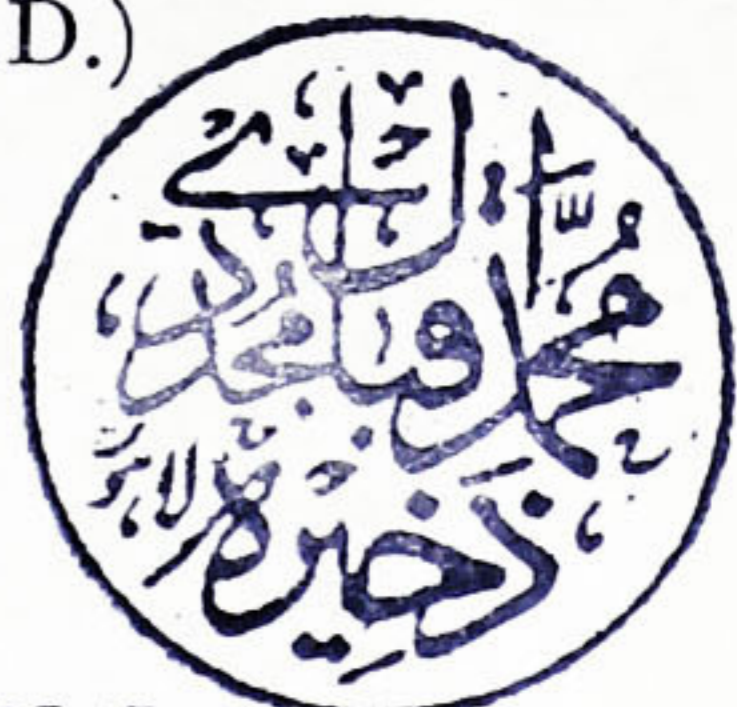
Edited

FORMERLY BY:

LATE PROFESSOR E TIENNE COMBE
(d. 1962)
from MSS. of Berlin & Cairo

LATER BY:

DR. AZIZ SURIAL ATIYYA
from MSS. Berlin, Cairo
and Bankipure



Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Dr. M. 'Abdu'l Mu'īd Khan
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L MA'ARIF'IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—7
INDIA

1968 A.D./1388 A.H.

Order No.

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٩/١٣/١

كتاب الامام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الأول

بدأ تحقيقه و أتم تحقيقه و التعليق عليه

من مخطوطات برلين و القاهرة من مخطوطات برلين و القاهرة و بانكي پور
الدكتور إيتين كومب المتوفى سنة ١٩٦٢ م الدكتور عزيز سوريال عطيه



طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت مراقبة

الدكتور محمد عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية

مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

١٩٦٨ هـ / ١٩٦٨ م

132303

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.

مقدمة

إنّ هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم لقرّاء العربية منشورا لأول مرّة في سلسلة "مطبوعات دائرة المعارف العثمانية" بحيدرآباد الدكن من الكتب المخطوطة النادرة، ألفه مؤلفه محمد بن قاسم بن محمد النويرى المالكى الإسكندرانى المتوفى بعد سنة ٥٧٧٥/١٣٧٢م تحت عنوان "كتاب الإلّام"، بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية، فى وقعة الإسكندرية، وعودها إلى حالتها المرضية، وذلك على إثر الكارثة التى نزلت بالمدينة فى حملة القبارصة وأحلافهم من أوروبا أثناء عام ٥٧٦٧ / ١٣٦٥م، فدّمروا منها ما استطاعوا تدميره، ونهبوا ما أمكنهم حمله من كنوزها، ثم رحلوا عنها بعد أيام قلائل شاهدت فيها المدينة كارثة من أكبر الكوارث التى حدثت بها فى تاريخها الطويل.

و كان غرض المؤلف الأول من تحرير الكتاب تسجيل مذكراته ومشاهداته وما أمكنه جمع شتاته من المعلومات عن تلك الحملة الصليبية الجارحة الكاسحة، ولكنه أخذ فى الاسترسال فى الحديث عن شتى الفنون بمستطردات واسعة فى الأدب والتاريخ والفقه وعلم الكلام ١٥ والحديث والقصص وغير ذلك من الموضوعات التى لا تمت بصلة للغرض

(١) راجع تاريخ هذه الحملة ومصادرها فى كتابى عن موضوع .

The Crusade in the Later Middle Ages, (London 1938; Reprint by Kraus, New York 1963), pp. 343-78 and notes.

الأصيل مما زخر به الكتاب حتى أصبح أشبه بموسوعة أدبية عامة منه
بسجل تاريخي خاص .

و رغم ذلك فإن كتاب النويري يُعتبر بلا نزاع الحجة الأولى عن
تاريخ تلك الحملة من الناحية الشرقية المصرية بقدر ما أصبح كتاب غليوم
هـ أو جويوم ماشوه^١ المرجع الأكبر لتلك الحركة الصليبية من الجانب
الغربي بالفرنسية القديمة ، باعتبار الكاتبين شاهدي عيان لتلك الأحداث
من زاويتين مختلفتين . ومع ذلك فإن كتاب ماشوه حظى باهتمام
العلماء فتم نشره في القرن الماضي ، في حين أن كتاب النويري ظلّ
مخطوطا إلى يومنا هذا . ولكن ذلك على كل حال لم يمنع عددا من
المؤرخين من الانتفاع ببعض نواحي مادته ، و من بين هؤلاء هرزسون^٢
و كاييتا نوفتشي و بول كاله^٣ و المرحوم اتين كومب^٤ و كاتب هذه

Guillaume de Machaut, *La prise d'Alexandrie ou chronique du roi* (١)
Pierre Ier de Lusignan. Ed. Mas Latrie. Soc. de L'Or. Lat. Geneva 1877.

و من بين الأصول الغربية الأخرى لتلك الحملة أيضا ما يلي :

Amadi et Strambaldi, *Chroniques*, ed. Mas Latrie ; 2 pts., Paris 1891-93 ;
Florio Bustron, *Cronica* (1191-1489), ed. Mas Latrie, *Me'langes historiques*,
V, 1-532, Paris 1886 ; Leontius Makhairas, *Recital concerning the Sweet
Land of Cyprus entitled 'Chronicle'*, 2 vols., Greek text and English trans.
with notes by R.M. Dawkins, Oxford 1932.

راجع كتابي المذكور في الحاشية السابقة عن تفصيلات بقية أصول تلك الحملة

I.J.P. Herzsohn, *Der Überfall Alexandrien's*, Bonn 1866 ; G.J. Capila- (٢)
novici, *Die Eroberung von Alexandria*, Berlin 1894 ; P. Kahle, *Die Kata-
strophe des mittelalterlichen Alexandria*, Me'm. de l'Institut Francais, T.
LXVIII, Me'langes Maspe'ro, vol. III, pp. 137-54, Cairo 1935.

(٣) نسجل فيما يلي ما كتبه كومب من المقالات عن النويري و كتابه :

Etienne Combe, "Le texte de Nuwairi sur l'attaque d'Alexandrie," Bull.
of Faculty of Arts, Farouk I University, Alexandria 1948, pp. 99-110 ; =

السطور ، و ربما كان إجمال المستشرقين عن نشره قبل اليوم راجعا إلى طبيعة الكتاب التي انتهى به إليه مؤلفه في الشرود عن جادة موضوعه الرئيسي إلى جمهرة من الكتابات في أمور جانبية معقدة تحتاج إلى دراسات وتحقيقات طويلة هم في غنى عنها .

ومهما يكن من شيء فإن تفكيري في نشر النص الخطي لكتاب الإمام يرجع إلى قرابة ثلاثين عاما أثناء دراستي لحروب بطرس الأول لوسنيان الصليبية ، وقد بدأت آنئذ مطالعة مخطوطة برلين في عام ١٩٣٦ ، وبعدئذ بقليل نمتي إلى علمي أن المغفور له الأستاذ أتين كومب المستشرق السويسري المعروف جاد في إعداد ذلك النص للنشر ، وكان وقتئذ مديرا لمكتبة بلدية الإسكندرية ، فتبادلنا الرسائل في هذا الصدد ، ورحا من الوقت ، و انتهى بنا المطاف إلى التعاون في نشر الأجزاء التاريخية البحتة لا سيما ما يتعلق منها بالمدينة على أن يكون النص مقرونا بالترجمة الفرنسية ، وهي لا تتحمل مستطردات النويري المستطيلة في فنون جانبية لا يهتم بها من القراء الغربيين سوى نفر يسير من المستشرقين مما لا يبرر القيام بذلك العمل الضخم كاملا .

١٥

ibid., "Les présages annonçant la croisade de Pierre de Lusignan et les causes de cette attaque," Bull. Soc. Roy. d'Archeologie d'Alexandrie, no. 12, Alexandrie 1938, pp. 1-15; ibid., "Notes de topographie et d'histoire d'Alexandrie," Bull. Soc. Roy. d'Archeologie d'Alexandrie, Alexandrie 1939, pp. 89-112.

(١) راجع فيما سبق الحاشية رقم ١ ص ٢ .

ج

غير أن هذا المشروع كما تابعناه سويًا عدّة أعوام توقّف بانتقال
 الزميل الكبير إلى دارالبقاء يوم ٩ يوليّه سنة ١٩٦٢ و هو في سن الحادية
 و الثمانين بمدينة القاهرة ، فكانت وفاته خسارة لا تقدر إزاء العمل في
 تاريخ الإسكندرية و كان أعرف الناس بآثارها و أصولها في العصر
 الإسلامي . و لما كنت آتئذ قد انتهيت من نصيبي في عملية نشر مستخرجات
 كتاب الإمام كما رسمناها ، و أنا على وشك العودة لأعمالى الأكاديمية في
 الولايات المتحدة الأمريكية ، فلم يكن بدّ من ترك جميع مذكراتنا بين
 يدي الزميل كومب لمواصلة تجهيزها لأحد الناشرين بصفة نهائية . و لكن
 ارادة المولى قضت بوفاته مأسوفاً عليه قبل الفراغ من تلك المرحلة
 ١٠ الأخيرة ، فبقيت أوراق الكتاب مع مكتبته الخاصة بالمعهد السويسرى
 للآثار الذى كان يديره . عندئذ كتبت إلى صديقى و زميلى الأستاذ
 الدكتور روبرت ران (Prof. Dr. Robert Rahn) الملحق الثقافى
 بالسفارة السويسرية بالقاهرة للتوسط رسمياً بموافقة السيدة الفاضلة أرملة
 المسيو كومب لاستخلاص كل مادة الكتاب من تركته و الاحتفاظ
 ١٥ بها فى حرز إلى أن تسمح الظروف بعودتى لاستلامها توطئة لمراجعتها
 و إعدادها للنشر ، فما كان من الدكتور ران ، و هو صديق الطرفين و على
 علم بما كنا نعمله فى هذا الميدان ، إلا أن قام بكل ما رجوت مشكوراً ،
 وهكذا تمّ استلام أوراق الكتاب فى صيف سنة ١٩٦٤ و أحضرتها
 صحبتي إلى مكان عملى فى العام الجديد .

٢٠ و بينما أفكر فى أمر الناشر وردتني رسالة من السيد الدكتور عبد المعيد خان

مدير دائرة المعارف العثمانية وأستاذ اللغة العربية بالجامعة العثمانية في حيدرآباد
يبدى رغبة كريمة في الاضطلاع بنشر النص العربي في سلسلة المطبوعات
العربية لمعهد دائرة المعارف، لاسيما وأن حكومة الهند كانت قد رصدت
من المال قدرا كافيا يعين على نشره نظرا لأن مخطوطته الفريدة الكاملة
من مستودعات مكتبة بانكي پور الشهيرة في الهند. غير أن قبول النشر في هـ
تلك السلسلة كان مقرونا بالتزام نشر النص كاملا غير منقوص، مما حدا
بنا إلى إعادة التفكير في أمر المستخرجات التي أعدتها بالتعاون مع
المرحوم المسيوكومب. وبعد أخذ ورد رأيت الموافقة على اقتراح الدكتور
عبد المعيد خان في نشر النص العربي كاملا دون الترجمة للأسباب الآتية:
أولا - أن مبدأ نشر الكتب العربية القديمة نشرا كاملا غير ١٠
منقوص مبدأ سليم و فوائده أكثر من مثالبه.

ثانيا - أن الاستغناء عن الترجمة لمستخرجات الكتاب في الوقت
الحاضر لا يلزم الناشر بالتجاوز عن المستطردات العربية من النص مما
قد يكون فيها من نبتهم القارئ العربي دون المستشرق.

ثالثا - أن الأجزاء التي كنا قررنا حذفها لعدم وجود علاقة وثيقة ١٥
بينها وبين موضوع الكتاب الأصلي وهو حرب الإسكندرية في القرن

(١) الواقع ان فكرة النشر في حيدرآباد كانت معروفة منذ سنة ١٩٣٨ كما ذكر
ذلك بروكلمان في كتابه C. Brockelmann, *Geschichte der arabischen
Literatur*, 2 vols. Weimar / Berlin 1898-1902; Supplement, 3 vols.,
Leiden 1937-42. See Suppl., II, p. 34.

الرابع عشر الميلادي تحتوي الكثير من الأدب الشعبي و القصص العربي
الذائع في العصر الإسلامي الوسيط ، كما أن بها قدرا غير يسير من شعر
الشعراء غير المعروفين في كتب الأدب ، وهذا باب لا يستهان بقيمته
للاشتغالين بالأدب الصريف .

رابعا - من الممكن تركيز تحشية النص بالمراجع الهامة التي تتصل
بالأجزاء التاريخية فحسب ، وهذا العمل آتئناه على وجه التقريب
بالتعاون مع المرحوم المسيو أتئين كومب . أما الأقسام الأدبية والشعرية
والفقهية و القصصية التي قمنا وحدثنا بادخالها في النص من جديد ، فقد
اكتفينا بضبطها و الإضافة إليها من مخطوط بانكي پور و تحديد إمكانية
١٠ الآيات في القرآن الكريم .

خامسا - أن الكتاب على ما فيه من مستطردات يشتمل على
معلومات غزيرة لها قيمة أثرية بالغة في تاريخ المدينة الإسلامية و على
بيانات هامة في موضوعات خاصة مثل تفصيل أنواع السفن و الأساطيل
التي كانت تجوب البحر الأبيض المتوسط و التي كان يشاهدها بنفسه في
١٥ حياته اليومية بميناء الإسكندرية .

و إننا لنأمل أن تكون تلك الأسباب كافية لترير العمل من جديد

(١) انتفع من النويرى بصفة خاصة في هذا الموضوع : H. Kindermann,

J. Gildmeister, 'Schiff' im Arabischen (Bonn Dissert; 1934). انظر أيضا

Nachrichten d. kgl. Gesell. d. Wissenschaften, Ueber arabisches

Schiffwesen. phil. Rist. Klasse. Göttingen 1882, pp. 431 ff.

في "كتاب الإمام" لسد الفراغات التي كنا قد تجاوزنا عنها في المشروع القديم مهما كلفنا هذا من الجهد والوقت في خدمة الأدب والأدباء .

أما السياسة التي اتبعناها في نشر الكتاب فقد تطوّرت في مرحلتين :

المرحلة الأولى عند ما كنت و الزميل المسيو كومب نعمل على أساس مخطوطتي برلين والقاهرة ، والمرحلة الثانية جاءت في وقت متأخر عند ما حصلنا على مخطوطة بانكي پور و بدأنا في تحقيقها مع نص المخطوطتين السابقتين قبيل وفاة الزميل بسنين معدودة .

فلما بدأت إعادة النظر في نشر النص الكامل ، رأيت الإبقاء على

ما جاء في مخطوطتي برلين والقاهرة و هما بقلم واحد ، ليس فقط لقدمهما ،

ولكن نظرا لأنها منقولتان مباشرة عن نسخة المؤلف بدليل ما جاء ١٠

في ختام المجلد الأخير بالقاهرة وهو العبارة الآتية : « كان تفراغ

من كتابته من نسخة بخط مؤلفه رحمه الله في يوم الأحد المبارك الموافق

لسابع عشر شهر ربيع الأول الذي هو من شهور سنة أربع وستين

و ألف على يد أفقر العباد و أحوجهم إلى رحمة ربه الكريم الهادي أحمد

درويش الوقادي و الحمد لله وحده . ١٥

وإن تجد عيبا فسد الخلالا و جل من لا عيب فيه . بلا .

يضاف لذلك أن نسخة برلين - القاهرة تمتاز بالدقة ، والبصيرة فيها

نادر أو أقل بكثير جدا منه في نسخة بانكي پور . على أن هذه الأخيرة

في مواقع عدة تكمل ما ضاع من نص الأولى . بحيث أنه أصبح من

الممكن جمع شتات ما سقط من برلين - القاهرة في حواشي النص، و هذا يكون عند القارئ عرض كامل بقدر الاستطاعة للأصل كما تركه المؤلف . هذا وقد قمنا في نفس الوقت بتحقيق ما يتصل بالمعنى من النصوص جميعها مع تجنب الإسراف في المقارنات اللفظية التي لا تنفع المعنى بشيء لا سيما ٥ وأن النسخ كثيرا ما يقعون في أخطاء شكلية غير مقصودة قد يحدو بنا حصرها إلى ما لا يحدى و إلى نفقات لا مبرر لها في النشر .

و من الغريب أن مخطوطة برلين - القاهرة لا تحمل اسم المؤلف، بل يكتفى بالناسخ فيها بذكر مثل هذه العبارة: « كتاب الإمام بما جرت به الأحكام المقضية، تأليف الشيخ الإمام العلامة، العمدة الهام الفهامة، ١٠ رحمه الله تعالى و أرضاه. و جعل الجنة متقلبه و مثواه، و أعاد علينا من بركاته ». و قد كان ذلك مصدرا لدعوى أهلواردت بأن مؤلف مخطوط برلين غير معروف، و تبعه في هذا الحكم كارل بروكلمان في كتابه الأصلي عن الأدب العربي و لو أنه صحح هذا في ملحقات الكتاب المشار إليه في وقت متأخر - أما مخطوطة بانكي پور كما جاء في ١٥ النسخة التي وردتني عنوانها و تأليفها كما يلي: « كتاب مرآة العجائب، و ذلك بالإمام فيما جرت به الأحكام المقضية، في وقعة الإسكندرية، مع ما أضيف إلى ذلك من الاستطرادات المستحسنات الحاوية لأصناف

(١) W. Ahlwardt, *Verzeichniss der arabischen Handschriften der Königlichen Bibliothek zu Berlin*, 10 vols., Berlin 1887-99. Vol. IX, pp. 304-6, no. 9815 (We. 359, 360).

(٢) راجع حاشية سابقة. C. Brockelmann, *Op. cit.*, Vol. II, pp. 35-36.

(٣) Supplement, Vol. II, p. 34.

الفنون من العلوم الأدبية و التواريخ و الأنساب و الأخبار و المسالك و تدير
الممالك و الملوك و الدول و الرعية . . . تأليف الشيخ الإمام سلطان العلماء
الأعلام . . . أبو عبد الله محمد بن عمر زين الدين بن الواقدي " . و هذا
العنوان و ذلك المؤلف على ما فيه من اتفاق مع مخطوط صغير بالمتحف
البريطاني خطأ واضح أوردنا تفنيده في حواشي الكتاب و المواضع التي
أثبتنا فيها اسم المؤلف الحقيقي .

إذن فالمخطوطات التي اعتمدنا عليها في إحياء هذا النص ثلاث وهي :

أولاً - مخطوطة برلين (انظر حاشية أهلواردت^٢ بعاليه) ورقمها ٥٠٢٧٧

٣٥٩ و ٣٦٠ « وهي قسمان في مجلد واحد من ورقة ١ إلى ١٣٩ و من

١٤٠ إلى ٢٧٠ و قد رمزنا لها في الحواشي بالحرفين « بر » .

ثانياً - مخطوطة القاهرة و هي استمرار لمخطوطة برلين و ناسخهما واحد

و تاريخهما واحد و هي محفوظة بدار الكتب تحت رقم « ١٤٤٩ تاريخ » .

و قد رمزنا لها في الحواشي بالحرف « ق » .

(١) راجع فهرس مخطوطات بانكي پور العربية Bankipore, XV, 1066

(٢) انظر فهرس المخطوطات العربية بالمتحف البريطاني B.M. Suppl., 606 fol. 50/70

و عنوان المخطوطة : « مرآة العجائب في وقاية الإسكندرية للواقدي » .

(٣) ورد في فهرس برلين لأهلواردت مجلد ٧ ص ٧٩ تحت رقم ٧٨٦٥ (و ٧٨٦٦)

٣٥٩ ورقة ١١٨ : (١) ذكر إحدى المراثي التي قيلت فيما وقع بالإسكندرية من

الخفيف في ١١٦ بيتا مطلعها :

عاذلي لا تلم و خل ملامى فعيوى بعد الدموع ذوامى

(٤) راجع فهرس الكتب العربية (٨ مجلدات طبع القاهرة ١٩٢١ - ١٩٤٢)

مجلد ٨ ص ٢٤ ، و فيه يشير الفهرس خطأ إلى أن القسم الأول من المخطوط

محموظ في ليدن بدلا من برلين .

ثالثاً - مخطوطة بانكي پور بالهند وهي رقم "Bankipore XV, 1066" وتحتوي على النص الكامل من أوله إلى آخره رغم ما فيها من بياض وغموض في كثير من المواضع وقد رمزنا لها بالحرفين «بن» في حواشي الكتاب. وقد ورد ذكر النويري و«كتاب الإمام» في بعض كتب الكتاب

٥ القدامى مثل ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م والسخاوي المتوفى عام ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م، كما ذكره المحدثون أمثال حاجي خليفة^٢ وفي وقتنا عمر رضى كحالة^٣. وربما كان أبلغ ما قيل في تأليف النويري ما أورده السخاوي في كتابه (التوبيخ في ذم التاريخ): «ولمحمد بن قاسم ابن محمد النويري السكندري المالكي صفة الكائنة العظمى التي وقعت للفرنج ١٠ في أول سنة سبع وستين ملكوها ونهبوا أموالها، وأسروا نساءها ورجالها، في ثلاث مجلدات، ولكنه استطرد فيها من شيء إلى شيء، فانه ابتدأها بصفة فتحها، واستمر بحيث كانت الواقعة في جانب ما ذكر كالشامة^٤. فالسخاوي إذن كان على علم بأن الكتاب ثلاث مجلدات وأنه

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (أربع مجلدات)، مجلد ٤ ص ١٤٢.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ.

(٣) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون تأليف كاتب جابي حاجي

خليفة في مجلدين وملحقين طبع استنبول ١٩٤١ - ١٩٤٥ - انظر مجلد ١ ص ٢٨٢

تحت تاريخ الإسكندرية.

(٤) معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، ١٥ مجلداً، طبع دمشق

١٩٥٧ - ١٩٦١، انظر مجلد ١١ ص ١٤٧.

(٥) انظر عليه حاشية رقم ٢: التوبيخ، ص ١٢٢.

امتلاً بالمستطردات كما أوضحنا .

في الختام أودّ أن أشيّد بذكرى صديقي المغفور له أتيين كومب الذي كان له قصب السبق في معالجة هذا النص و ترجمته إلى اللغة الفرنسية ، و أنا عليم بأنه خصّص لذلك عدة حقبات من حياته العلمية الحافلة ، عسى أن يُقبِل أحد المستشرقين الفرنسيين على الاضطلاع بنشر تلك الترجمة كلياً . أو جزئياً ، بعد أن يوفقنا المولى إلى نشر أجزاء النص تباعاً . كما أنه لا يفوتني إبداء تقديري لحكومة الهند الموقرة و هيئة دائرة المعارف العثمانية على اهتمامها المشكور بالمساهمة في تيسير طبع هذا الكتاب .

عزيز سوربال عطيه

تحريراً في سولت ليك سيتي بولاية

يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية

في شهر فبراير سنة ١٩٦٧

[١ : ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . الحمد لله الواحد القهار .
 العزيز الجبار ، المعزّ المذلّ ، الهادي والمضلّ ، ذى العرش المجيد ، و الملك
 العتيد ، و البطش الشديد ، الفعال لما يريد . أحمده على السراء و الضراء ،
 و أشكره على حلّ العيش و مرّ القضاء ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده .
 لا شريك له ، شهادة معترف بالنعماء ، صابرا للبلوى ، و أشهد أن محمدا عبده
 و رسوله خاتم الأنبياء . و سيد الأصفياء ، المبعوث إلى كافة الورى لإقامة
 دين الإسلام ، و الهدى إلى دار السلام ، فجاهد في الله حق جهاده .
 و هدى الله به من شاء من عباده ، و أنزل عليه كتابه المبين : ” السَّمِ غُلِبَتِ
 الرُّومُ . فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي
 بضع سنين ” .

و بعد ، فإن ثغر الإسكندرية المحروس من حين فتحه خالد ، عمرو ،

(١) استعملنا الحرفين الف ، ب بجانب رقم كل ورقة من أوراق المخطوط للدلالة
 على وجه كل ورقة وظهرها وهو المصطلح عليه بلفظي Verso et recto .
 (٢) زيد في بن : و صحبه .

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ الى ٤ .

(٤) يرى القارئ منذ بداية الكتاب أن المؤلف يقع في بعض الأخطاء التاريخية ،
 و من بينها ما ذكره هنا من أن خالد بن الوليد اشترك في فتح العرب مصر
 و الاستيلاء على ثغر الإسكندرية . راجع أيضا فيما بعد (ورقة ٨٠ : الف)
 حيث يكرر المؤلف هذه الأسطورة و مصدرها الأصلي هو القندى .

و صار للمسلمين فيه النهي و الأمر ، لم تمتد إليه يد جبار جائر ، ولا مشرك
كافر ، بل كل من قصده من البحر الملح ، رجع بالخيبة و عدم الربح ،
قد حصل للمسلمين فيه العز المتين ، و السعد المكين ، على ممر الأعوام
والسنين ، حتى جرى الأمر المبرم ، في شهر الله المحرم ، عن سنة سبع
و ستين و سبعمائة من هجرة سيد المرسلين ، محمد خاتم النبيين ، صلى الله
عليه و على آله و سلم أجمعين ، فأتى الكلب اللعين ، في جنده الضالين ،
ريير بطرس ، صاحب قبرس^٢ ، بأسطوله في البحر الملح ، في صفة لص
و شلح ، فجرح الثغر بسيفه ، و جار عليه بظلمه و حيفه ، فتم فعله
ظفرا و ظهورا ، و كان أمر الله قدرا مقدورا ، فلم يكن ظفره بحوله

(١) المحرم ٧٦٧ يعادل سبتمبر - أكتوبر سنة ١٢٦٥ . راجع تاريخ المعركة
المضبوط فيما بعد (ورقة ٢٧ : الف ، ٩٧ : ب) و على وجه أخص عند ما يتعرض
المؤلف إلى سرد تفصيلاتها في الأوراق ١٠١ : الف ، ١٤٨ : الف ، ١٨٥ : ب ،
١٨٧ : ب ، ١٨٨ : ب) .

(٢) زيد في بن : جزيرة .

(٣) يذكر المؤلف عادة اسم ملك قبرس « ريير بطرس » اعتمادا على السماع ،
و هو في ذلك يكرر اسم الملك عن غير قصد لأن « ريير » ما هو إلا الاسم
الفرنجي rey Pierre و بطرس الترجمة العربية للاسم . و لفظة « ريير » ترد
في الأصول الأوربية ، مثال ذلك في ماخيراس مؤرخ قبرس الاغريقي
" P i e r r e m o n t " و قد جاء في التواريخ العربية أوضاع مشابهة لأسماء ملوك

الغرب مثل « رييدافرانس » rey de France و أيضا « رييدارغون » rey d' Aragon
- راجع المقدمة التاريخية في كل ما يتعلق بأسماء أسرة لوسيجنان أولوسنيان التي
حكمت قبرس في هذا العهد .

(٤) من بن ، و في الأصل : له بفعاله .

و قوته ، بل بقضاء الله و قدرته ، لما سبق ذلك في علمه حتى أنفذه بأمره
 و حكمه ، فـ "لله الأمر من قبل و من بعد" يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد :
 و ما كان إلا هكذا إن أردته^٤ و لو لم ترده لم يكن قط هكذا
 فلا يجرى في الملك و الملكوت طرفة عين و لا لفته خاطر ، و لا فلتة
 ناظر ، إلا بقضاء الله و قدره ، و بارادته و مشيئته ، فمنه الخير و الشر ، و
 و النفع و الضر ، و العز و الذل ، و النصر و الخذلان ، و الطاعة و العصيان ،
 و الرشيد و الإيمان ، و الإسلام و الكفر ، و الفوز و الخسر ، و الغواية
 و الرشيد . و قد عرف النبي صلى الله عليه و سلم أمة على أن يشعروا
 بأن الله هو الغالب في كل أمره ، و أنت يروا ذلك أدبا من الله
 لهم لا غلبة من أعدائهم ، فقد قال [٢ : الف] عليه السلام : إنهم ليظفروا^٥
 كما تنصرون^٦ ، قال بعضهم^٧ :

أيتها المعتاض بالنوم السهر ذاهلا يسبح في بحر الفكر
 سلم الأمر إلى مالكه و اصطر فالصبر عقباه الظفر
 لا تكونن آتسا من فرج فهي الأيام تأتي بالعبير

(١) في بن : بقوة .

(٢) قرآن كريم ٣٠ : ٤ .

(٣) في الأصول : أنت - كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٤) من بن ، و وقع في الأصل : رده - كذا .

(٥) كذا في برو بن ، و الظاهر : ليظفرون .

(٦) هكذا في بر ، و في بن : كما تنصروا .

(٧-٧) من بن ، و في الأصل : شعروا .

كدر يحدث في وقت الصفا و صفا يحدث في وقت التكدّر
 وإذا ما سرّ دهر مرّة ساء أهليه و مهما ساء سرّ
 و الليالي مقربات أبدا تلد الضدين من خير و شر
 فارض عن ربك في أقداره إنما أنت أسير للقدر
 قل لمن يحذر أن يدركه نكبات الدهر لا يغني الحذر
 أذهب الحزن اعتقادي أنه كل شيء بقضاء و قدر

٥

و اعلم أنه إذا نزل القضاء ضاق القضاء، و إذا نزل القدر بطل الحذر .
 كان لبعض الصالحين ولد صغير فضاع فقيل له : لو دعوت الله أن يرده
 عليك ! فقال : إن اعتراضى عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدى على .

(١) ريد في بن : حكى أن سنيا كان يناظر معتزليا في مسألة القدر فقال المعتزلى :
 تفاحة من شجرة و كان النبل كالقطف لهذه ، فقال السنى : إن كنت فعلتها
 فردها الى مكانها ، فأحجم المعتزلى و انقطع و مما لزمه ذلك لأن القدرة التى تحمل
 بها الإيجاد لا بد أن تكون جامعة للضد من تفرق و توصل . مات بعض المعتزلة
 فصلى عليه بعض أهل السنة فقيل له : لم صليت على هذا المعتزلى الذى ينكر عذاب
 القبر و ينكر النظر إلى ربه و ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه و سلم فى العصاة من
 امته و يقول بتخليد أهل الكبائر فى النار؟ فقال السنى : أنا اعلم كيف صليت عليه ،
 قلت فى التكبيرة الأولى : اللهم انه كان منكرا عذاب القبر فعذبه فى قبره ، و فى
 التكبيرة الثانية قلت : اللهم إنه كان ينكر النظر إليك فأحرمه النظر إليك ، و فى
 التكبيرة الثالثة قلت : اللهم انه كان ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه و سلم فأحرمه
 شفاعته فيه ، و فى التكبيرة الرابعة قلت : اللهم إنه كان يقول بتخليد أهل الكبائر
 فى النار فخادمه فى نارك - انتهى ، نعود .

و روى في الإسرائيليات ' أن نبيا من الأنبياء مر بفتح منصوب و إذا طائر قريب منه، فقال الطائر: يا نبي الله! هل رأيت أقل عقلا من هذا الرجل نصب هذا الفخ ليصيدني فيه؟ فأنا لا أطير إليه، فذهب عنه ثم رجع فاذا بالطائر في الفخ، فقال له: عجبالك! أو لست القائل أنفا كذا وكذا؟ فقال: يا نبي الله! إذا جاء الحين لم يبق أثر ولا عين'. روى أن رجلا قال ٥ لبرزجمهر حكيم الفرس^٢: تعال نتناظر في القدر، قال: وما تصنع

(١) وردت فيما بعد استخرجات اخرى من هذه «الإسرائيليات» أو القصص الإسرائيلية (راجع مثلا الأوراق ٩: ب، ٦: ب، ٨٦: ب، ١٥٥: الف، ٢٤٣: ب، ٢٤٨: الف، ٢٥٧: الف). انظر في موضوع الإسرائيليات البحث الذي نشره المستشرق Goldziher في مجلة "Rev. d. E'tudes Juives" جزء ٤٤ (١٩٠٢) ص ٦٣ وما يتلوها - والقصة التي نحن بصددتها وردت في كتاب «سراج الملوك» للطرطوشي، طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ ص ١٨٣ عند الكلام «في القضاء والقدر». (٢) زيد في بن: قال بعضهم:

ولقمة بجريش الملح آكلها الذ من تمره تحشى بزبور
كم لقمة قدمت لأكلها خنقا كبة الفخ دقت عنق عصفور

(و وقع في بن «خير» مكان «الذ» ولا يستقيم به الوزن).

(٣) كان الحكيم بزرجمهر وزير الملك فارس الشهير كسرى انوشروان - وقد ذكره النويري مرة أخرى فيما بعد (راجع ورقة ١٧٩: الف) في حكاية قصيرة عن «مناقب الأطفال» حيث يقول: «قال بزرجمهر حكيم الفرس: إن شئت أن تصير من جملة الأبدال، فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال. فقيس له: كيف ذلك؟ فقال: في الأطفال خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً، وهي أنهم لا يفتنون للرزق، وإذا مرضوا لم يشكوا من حالهم، وأهلهم

بالمناظرة^١ في القدر، رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن، رأيت أحق مرزوق^٢، وعاقلا محروم^٣، فعلت أن التدبير ليس للعباد.

واعلم أن هذه المدينة المسورة الحصينة البيضاء^٤ المضيفة المسماة بالإسكندرية، جرت لها مجروية^٥ عجيبة هائلة غريبة لم تجر لمدينة من المدن لأنها أخذت من المسلمين سريعا من غير حرب، وُرِدَّت إليهم سريعا من غير حرب، وهذا من عجائب الاتفاقات فسبحان الفعال لما يريد! و سيأتي ذكر ما جرى لها مفصلا إن شاء الله تعالى، و سأذكر ما قيل في حيلة اللعين، الكلب المستهين، ربيير بطرس، صاحب قبرس،^٦ و الجزيرة القبرسية،

= لا يأكلون الطعام مجتمعين، و إذا تخاصموا لم يحاقدوا و سارعوا إلى الصلح، و أنهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم» انظر فيما يتعلق بشخص الحكيم بزرجمهر: المسعودي - مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٦ - ٢١٠، ٢٢٤ و ٢٢٥ - كذلك Richter, Arab. Fuerstenspiegel pp. 12, 15, 103 و حواشي ص ٦٥، ٦٨ من نفس البحث. راجع أيضا المقال الوارد في « دائرة المعارف الإسلامية » و الباحثين الآتين للمستشرقين نولدكه و كرستين.

Noeldke, Burzoe's Enleitung zu d. Buche "Kalila wa Dimna" 1912, ('Schrift d. Gesell. d. Wiss. Strassburg, XII); Christensen, Lale'gende du Sage Buzurdjmihr (= Burzoe?), in "Arch. Orientalni. Praga," VIII, 1929, pp. 81-128.

(١) من بن، و في الأصل: بالمنا.

(٢) كذا.

(٣) مدينة الإسكندرية البيضاء - انظر فيما بعد الورقة ١٦٧: الف.

(٤) من بن، و في الأصل: « حلية ».

(٥) زيد في بن: أتى بنصاري الرومانية.

المتعدى^١ على الإسكندرية [٢ : ب] . قيل إنه طويل القامة قصم الله ظهره ، و عكس أمره ، أزرق العينين^٢ حشره الله في القيامة أزرقا ، وجعله من الذين كتب عليهم الشقاء^٣ ، مصفر اللون^٤ صفر الله يده من كل خير ، وجعل مسيره إلى جهنم شر سير ؛ اسمه ربير ، أغرقه الله في بئر السعير ، وجعله في سائر حركاته ذليل^٥ حقير^٥ ، و اسم أبيه ريوك^٥ و أخوه الواحد البرنز^٦ و الثاني جاكان^٨ أخبرني بذلك رجل مسلم قال : كنت أسيرا بقبرس فيما مضى من الزمان أقمت بها^٩ اثنتي عشرة^٩ سنة

(١) زيد في بن : بهم .

(٢) انظر ما بعد الورقة ٩٤ : ب حيث يظهر من سياق الكلام أن اللون الأزرق كان من الألوان المشؤمة ، و هذا يفسر الزام المسيحيين من سكان الدولة الإسلامية لبس العمائم الزرق للرجال وكذلك لبس الإزار الأزرق عند النساء .

(٣) إشارة إلى ما جاء في القرآن الكريم ٢٠ : ١٢٤ .

(٤) انظر الورقة . ٤ : الف و الإشارة إلى اسم بني الأصفر .

(٥) كذا .

(٦) الملك هوج أوهيو ، و أغلب الظن أن « ريوك » مشتقة من الإيطالية Re Ugo أو الفرنسي القديم Rey Hugues أو اليوناني القبرصي . راجع المقدمة التاريخية للكتاب .

(٧) « البرنز » أو « البرنس » وردت أيضا في الورقة ١٦٩ : ب و المفهوم انه أمير انطاكية . راجع المقدمة التاريخية .

(٨) « جاكان » من اليوناني القبرصي Tzakon و بالإيطالية Zac . راجع المقدمة التاريخية .

(٩-٩) في الأصل و بن : اثني عشر .

و أخبرني أيضا أحد التركان القادمين من مدينة العلايا^١ بـبـ التركية
 المحاذية للجزيرة القبرسية إلى مدينة الإسكندرية أن لصاحب قبرس
 المذكور أخ أكبر منه رزقه والده ريوك من امرأة بوطا^٢ كانت عنده
 مقيمة و البوطا بلغة الفرنج الفاجرة العاهرة المجاهرة سماه ريوك الملك
 ٥ سُنْجُوَان دُمُرْفُ و سأذكر فيما يرد من هذا [الكتاب - ٤] كيفية محاربة
 سنجوان دمرف ولد الزنا اللعين للمسلمين في العشر الأول من ذي الحجة
 سنة سبعين وسبعمائة لما أتى في غربانه الحربية ، إلى ميناء الإسكندرية
 الغربية ، فقهرته جنود^٣ المسلمين ، ورجع هو و من معه من حيث أتوا
 خائبين خاسرين ، بعد أن قتل^٤ المسلمون من رجاله جماعة ، فزال من
 ١٠ الملعون الحماقة و الرقاعة ، و خسر و ما استفاد ، و هذا جزاء من تظاهر

(١) العلايا - انظر ٢١٥ : ب .

(٢) وردت أيضا في مخطوطة القاهرة ورقة ٢٧٤ : ب و اللفظة مشتقة من أصل
 إيطالي . راجع في ذلك المقدمة .

(٣) « سنجوان دمورف » انظر أيضا الورقة ٣٧ : ب و مخطوطة القاهرة ٢٤٧ :
 ب ، و المقصود Zuwan (Jean) de Morf . راجع المقدمة التاريخية .

(٤) من بن .

(٥) في بن : محاربتة .

(٦) من بن ، وفي الأصل : الولد .

(٧) في الأصل و بن : مينة - كذا .

(٨) من بن ، وفي الأصل : جند .

(٩) من بن ، وفي الأصل : قتلت .

بالفساد ، و سيأتي خبر وقعته مع المسلمين مفصلة إن شاء الله تعالى ،
 وكان ظفر ربير بن ريوك المذكور بالإسكندرية في دولة الملك الأشرف
 شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون سلطان
 الديار المصرية و الشامية و غيرها ، وهو إذ ذاك صغير السن ، و قائد
 جيوشه حينئذ الأمير الأتابكي يلبغا الخاسكي ٢؛ فالله تعالى ينصر المسلمين ٥
 على الفرنج الكافرين ، و يجعل دين الإسلام منصورا على الدوام [فهو
 الدين الحق المعتر عند الله الذي ارتضاه لعباده يعبدونه به - ٤] . قال الله
 تعالى " ان الدين عند الله الإسلام " و الإسلام عبارة عن التسليم و التسليم
 عام في القلب و الجوارح فان كل تصديق هو تسليم ، و قال عز و جل " و مَنْ
 يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ " ١٠
 عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم
 يقول : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ،
 و إقام الصلاة ، و إيتاء الزكاة ، و حج البيت ، و صوم رمضان - رواه البخاري
 و مسلم . [٣ : الف] و عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال : بينما نحن جلوس

- (١) خبر هذه الواقعة و ارد في مخطوط القاهرة [ق ، ٢] كما يظهر فيما بعد .
 (٢ - ٢) من بن ، و في عبارة الأصل بعض ارتباك ، إذ أن النسخ خطأ فكتبه
 « صغير السن و قد جيوشه » ثم شطب لفظة « و قد » و وضع فوقها التبرئة المعتادة
 في تصحيح الخطأ بالهامش ، و لكن فاته ان يصح الصواب .
 (٣) كذا في الأصل على الدوام ، و الأصح « الحاصي » .
 (٤) ما بين الحاجزين زيد من بن .
 (٥) قرآن كريم ٣ : ٨٥ .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض
التياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه

وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، و تقيم الصلاة،

و تؤتي الزكاة، و تصوم رمضان، و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال:

صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، فقال: أن تؤمن

بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره.

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه،

فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول

عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: أن تلد الأمة

ربتها، و أن ترى الحفاة العراة [العالة - ١] رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال: يا عمر أتدرى من السائل؟ قلت: الله و رسوله

أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم - رواه مسلم. قال الشيخ محيي الدين

١٥ النواوي: قوله: تؤمن بالقدر خيره و شره، معناه تعتقد أن الله تعالى قدر

الخير و الشر قبل خلق الخلق و أن جميع الكائنات بقضاء الله تعالى و بقدره

و هو مرید لها. و أمارتها بفتح الهمزة أي علامتها؛ قوله: و تلد المرأة

(١) كذا في الأصل و هامش صحيح مسلم ٢٧/١ بعلامة النسخة، و في بن و متن

الصحيح: أماراتها.

(٢) زيد من صحيح مسلم.

ربتها - أي سيدتها، و معناه أن تكثر السرارى حتى تلد الأمة السرية بنتا لسيدها و بنت السيد فى معنى السيد، و قيل: يكثر يسع السرارى حتى تشتري المرأة أمها و تستعبدها جاهلة بأنها أمها، و قيل غير ذلك؛ قوله: العالة - أي الفقراء، و معناه أن أسافل الناس يصيرون أهل ثروة ظاهرة؛ قوله: لبثت مليا، هو بتشديد الياء أى زمانا كثيرا و كان ذلك ثلاثا، هكذا ه جاء مينا فى رواية أبى داود و الترمذى و غيرهما. و اعلم أن الأمانة هى أعظم شعب الإيمان لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد نفى الإيمان ممن ليس بأمين فقال: لا إيمان لمن لا أمانة له. و روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فانظر ما أعظم قدر الأمانة التى يذهب الإيمان بذهابها، و ينتظر [٣: ب] قيام الساعة إذا ضيعت الأمانة. و قال النبى صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع و سبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، و أدناها إمطة الأذى عن الطريق. و هذا يحتمل الظواهر و البواطن لعموم لفظ الطريق ينطلق بحجة الاقدام على طريق الإشارة و طريق السلوك إلى الله جل جلاله.

(١) زيد بن: «قوله عز وجل أجمعتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كن أمن بالله الخ فهذا انكار لأن يجعل حرمة الجماد حُرمة من آمن بالله وهو بيان عجيب وقد اكشف الآية للتشبيه الباطل و القياس القاسد و فى ذلك دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان فانه به مخلوق على صفة فى القياس. و لره ابو الحسن على بن عيسى الرماني (فى النسخة: الرومانى - لدا) فى الملل و النحل القرآن و توفى على بن عيسى الرماني (فى النسخة: الرومانى) المدبور سنة ست و ثمانين و ثلاثمائة - انتهى. عن وهب بن منبه قال إن الله تعالى لما هبط آدم عليه السلام

و روى أن ابن عمر رضی الله عنهما نظر إلى الكعبة فقال : ما أعظمك
و أعظم حرمتك ! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك . ذكر أبو طالب المسكي
في كتاب " قوت القلوب " عن بعض السلف أنه قال إن الله تعالى شرف
الكعبة و عظمها و لو أن عبدا هدمها ' و أحرقها ' ما بلغ جرم من استخف
بولى الله تعالى ، قيل : و من أولياء الله تعالى ؟ قال : كل مؤمن ، أما سمعت
الله تعالى يقول " الله ولى الذين آمنوا " هذا فى عموم ٢ المؤمنین فما ظنك
بالأولياء المقربين .

قال الشيخ عز الدين يوسف الواسطى : كان بناحية قوص

= من الجنة إلى الأرض حزن واشتد بكأؤه على الجنة فحياء الله . . . من الجنة
.. له بمكة فى موضع الكعبة قبل أن يكون الكعبة و كانت من ياقوتة حمراء فيها
قناديل من ذهب و انزل معها الركن وهو يومئذ ياقوتة بيضاء و كان كرسيها
لآدم عليه السلام . و من حجها من الملوك النعمان بن المنذر وهو ملك نصرانى
و حجها ملوك فارس ، قال الشاعر :

زمزمت الفرس على زمزم . وذاك فى سالفها الأقدم

و بنى الكعبة ابراهيم الخليل عليه السلام و سياتى لمعا من اخبار الفرس ان شاء الله تعالى .

(١-١) فى بن : او حرقها .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٢٥٧ .

(٣-٣) فى بن : عموم فى .

(٤) زيد فى بن : ابن .

(٥) زيد فى بن : بصعيد مصر .

والى' يقال له طيبنا وكان يزور الشيخ أبا الحجاج الأقبصرى' فسمعته وقتا يقول: جاء فى الحديث: من آذى وليا من أولياء الله تعالى فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة، فاستعظم الوالى هذا الكلام واجتمع بالشيخ مجد الدين والد الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد وكان الشيخ مجد الدين من العلماء الأكابر فقال له: يا سيدى! أريد أن تذهب معى إلى زيارة هـ الشيخ أبى الحجاج، فذهبا جميعا^٢، فلها حضر الشيخ مجد الدين عند الشيخ أبى الحجاج قال ذلك الوالى للشيخ مجد الدين: يا سيدى! هل جاء فى الحديث: من آذى وليا فكأنما هدم الكعبة سبعين مرة؟ قال فقال الشيخ مجد الدين: هذا فلا أعلمه لكنى أعلم فى الباب ما هو أعظم من هذا، ثبت فى الصحيح أن من آذى وليا فقد حارب الله، وأين محاربة الله من هدم الكعبة؟ ١٠ فقال حينئذ الشيخ أبو الحجاج للوالى: تجالسنى بالخيانة لتجدن غيبها! فقال: يا سيدى! فى الدنيا! قال: فى الدنيا، فما مضت السنة حتى رأى ذلك الوالى فى نفسه وماله أمرا عظيما، فانظر رحمك الله إلى توفيق هذا العالم فى الوفاء لحق الله ورعاية العلم وحفظ أدب الحديث والتأدب مع أولياء الله تعالى، فصحح ما قاله الشيخ أبو الحجاج وأكدته من حيث المعنى ١٥

(١) كذا.

(٢) تاريخ وفاته سنة ٦٤٠ أو ٦٤٢ هـ. انظر «الطالع السعيد» للأوهى، طبع مصر ١٣٢٢ هـ) ص ٥٧٣ و«المقصد» نشر كولان Colin مع الترجمة ص ٥٧ و ١٨٥- ويذكر ابن بطوطة قبره وزيارته له فى رحلته ج ١ ص ١٠٧ راجع ص ١٩-٤٧ فى (Legrain: Louqsor sans les Pharaons (1914)

(٣) زيد بن: إليه.

و أعطى العلم حقه و الأدب حقه - انتهى .

فلنرجع إلى ما قيل في فرائض الإسلام و سننه و شروطه ، فمن فرائض الإسلام قول: لا إله [ء : الف] إلا الله ، و سننه حديث النبي صلى الله عليه و سلم: من قال: لا إله إلا الله - مخلصا بها قلبه صادقا بها لسانه ٥ دخل الجنة ، و شروطه ٢ تقديم الشيخين أبي بكر و عمر رضى الله عنهما . و قال صلى الله عليه و سلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، فمن قالها بلسانه فقد سلم من السيف و القتل و كان له حرمة الإسلام و المسلمين ظاهرا في مقام الإسلام ، فان أسلم قلبه كما أسلم لسانه فقد سلم من عذاب الآخرة كما سلم من عذاب الدنيا . و هي ثلاث مقامات: ١٠ المقام الأول في إقرار اللسان بالشهادة ظاهرا و انقياد الجسد لأمر

(١) زيد في بن : ذكر .

(٢) زيد في بن : عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا قال العبد أشهد أن لا اله الا الله قال الله تعالى يا ملائكتي علم عبدي أنه ليس له ربه غيري ، أشهدكم اني قد غفرت له ، خرجه قاضي القضاة ابو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن الحراز الخزر جي في الأربعين حديثا المسماة بالساعات .

(٣) في بن : شروط الإسلام .

(٤) هذا الجزء و ما يليه من نوع « المستطردات » التي طالما يسترسل فيها النويري ، و أغلبها حشو على هامش موضوع الكتاب ، و كان من الممكن حذفها إطلاقا مع الاقتصار على لب الكلام ، ولكن رثي في النهاية أن الأدق و الأسلم إظهار النص على أصله كاملا و الاختصار التام في تحشية الأجزاء النائية ، و الاكتفاء بتسجيل مادتها من شؤون فقهية و دينية و حكايات و شعر و غير ذلك - انظر المقدمة التاريخية التحليلية .

الإسلام والمسلمين ، والمقام الثاني انقياد النفس لقبول الإسلام وترك
 النفور والإبادة عنه باطنا وإلا كان صاحب المنطق به منافقا ، والمقام
 الثالث انقياد الروح والقلب للذي فطر السماوات والأرض ، كما قال :
 ” وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
 الْوُثْقَىٰ ” فيكون إسلامه طوعا ولا يكون كرها ، كما قال تعالى : ” وَلِلَّهِ
 اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ” وهو تفويض الجملة إلى
 الله وإسلام الأمور إليه . ولا يتم توحيد عبد إلا بالإقرار بأن محمدا
 رسول الله لأنها لا تفترق ٣ .

قال بعض مداح النبي صلى الله عليه وسلم :

١٠ قرن المهيمن باسمه اسم محمد فذلك يجهر معلنا من أذنا
 هذا هو الشرف الذي ما ناله أحد سواه ولا له طمحت مني

وكل من زعم أن الرسالة يستغنى عنها بالتوحيد فهو كافر ، قال الله تعالى :
 ” وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ وَنُكْفِرُ
 بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا ”

(١) قرآن كريم ٣١ : ٢٢ - وبقية الآية « وإلى الله عاقبة الأمور » .

(٢) قرآن كريم ٣ : ٨٣ - وبقيتها « و إليه يرجعون » .

(٣) في بن : لا تفرق .

(٤) كذا ، ولا يستقيم به الوزن .

(٥) في الأصل « بن » و « رسوا » و هذا معونه .

(٦) في الأصل « بن » و « بعض الكتاب » و « بعضها بدون » الكتاب ، والنحو في
 الأصل محاطة بدائرة .

(٧) قرآن كريم ٤ : ١٥٠ و ١٥١ .

وقد قص الله قصة إبليس في صدر سورة البقرة وأخبر عن كفره بخصوصيته آدم ونبوته، ولم يذكر عنه أنه كفر بالله تعالى، وإنما كفر بنبوة آدم التي اختص بها، وهو معنى إباته له بالسجود له كما سجدت الملائكة التي خضعت له و تواضعت من أجل علم الأسماء التي عليه الله تعالى و أنبأهم بها، فسجودهم ائتمام به عليه السلام لأنه خليفة الله تعالى، ولم يكن سجوده عبادة، وإن الله لا يأمر بالفحشاء. و من فرائض الإسلام أيضا الصلاة و شروطها صلاة الفرض و سننها حديث [٤ : ب] النبي صلى الله عليه و سلم : خمس صلوات فرضهن الله عز و جل على العبد في اليوم و الليلة ، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهدا^١ أن يدخله الجنة ، و من لم يأت بهن ليس له عند الله عهدا^٢ ، إن شاء عذبه أو أدخله الجنة ، و اعلم أن الإجماع قد تقرر على أن من كذب النبي صلى الله عليه و سلم فيما أتى به عن الله سبحانه بفرض الصلوات الخمس و أنه أوجبها على المسلمين ، فمن قال : إنها ليست بواجبة ، فقد كذب به ، و من كذب به فقد كفر^٣ ؛ و قد جاء في الحديث لا حظ

(١ - ١) كذا في الأصل ، وفي بن : عهدا عند الله .

(٢) من بن ، و في الأصل : عهدا .

(٣) زيد في بن : و من سبه قتل و لا تقبل توبته ، قال القاضي عبد الوهاب المالكي إذا سبه المسلم قتل لقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه ، و قال الزياتي في شرحه رسالة ابن أبي زيد إجماع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه و سلم المبغض له كافر و الوعيد جار بعذاب الله و حكمه عند الأئمة القتل و من شك في كفره و عذابه كفر . قال أبو سليمان الخطابي لا اعلم أحدا من المسلمين اختلف في قتله إذا كان =

في الإسلام لمن ترك الصلاة، وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال: الصلاة عمود الإسلام، ألسنت تعلم أن

= مسلما و أو غابه أو الحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو ازرى عليه أو التصغير لشأنه أو العيب فيه أو دعا عليه بالمضرة أو نسب إليه ما لا يليق به على طريق الذم أو عبره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه وهذا كله الإجماع عليه من العلماء بقتله . وقال اصبح من اصحاب مالك سرا اسر ذلك أو اظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف و روى عن مالك مثل ذلك في الكفر ولا يستتاب . وفي الشفاء للقاضي عياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابه فاضربوه، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف اليهودي فإنه يزدرى الله ورسوله ووجه اليه من قتله خارج حصنه غيلة دون غيره من المشركين وكذلك ابو رافع لأنه كان يزدرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أمر يوم فتح مكة بقتل ابن الأخطل و اجاز ابنتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم . وفي حديث آخر ان رجلا سبه فقال من يكفيني عذري قال خالد فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم لقتله . و اختلف فيمن سب الخلفاء رضي الله عنهم قيل اذا سبهم بالفواحش وقال لهم على ضلال قتل وقيل لا يقتل لأن رجلا سب ابا بكر فقام رجل و أراد قتله فقال له ابو بكر اجلس ، انما ذلك للنبي عليه السلام خاصة فأخبر انه انما يقتل للنبي عليه السلام خاصة ولم يخالفه احد . والفرق بين سب الله تعالى يقبل توبته وسب النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل توبته لأن النبي صلى الله عليه وسلم شر و البشر تتحقق المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته واولاد ذلك مشتركا غيره وليس كذلك الله تعالى للقطع على استحالة حقوق المعرة به تعالى و القطع على لا تجوز عليه جل و علا علوا كبيرا اذ ليس هو بذي جنس فيقاس عليه . انتهى .
نعوذ ،

الفسطاط إذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطيب وبالأوتاد،
 فإذا قام عمود الفسطاط انتفع بالطيب وبالأوتاد، وكذلك الصلاة
 في الإسلام . واعلم أن عدد الصلوات الخمس في السنة ألف صلاة
 وثمانمائة صلاة وركوعها خمسة آلاف ركعة ومائتا ركعة وخمس ركعات
 ٥ وسجودها عشرة آلاف سجدة وأربعمائة سجدة وعشر سجديات وتكبيرها
 أربعة^٢ و ثلاثون ألف تكبيرة وعشر تكبيرات، وفي اليوم والليله
 خمس صلوات والركوع سبع عشرة^٣ ركعة والسجود أربع^٤ و ثلاثون
 سجدة والتكبير أربع و تسعون تكبيرة، خمس منها فرائض والباقي سنن .
 فالصلاة خطرهما عظيم، وأمرها جسيم، وبالصلاة أمر الله تبارك وتعالى
 ١٠ رسوله، وأول ما أوحى إليه بالنبوة قبل كل عمل وقبل كل فريضة في
 آيات كثيرة منها قوله تعالى: "أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
 الصَّلَاةَ^١ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ^٧" وقال "وَأْمُرْ أَهْلَكَ

(١) في بن : ركعاتها .

(٢) من بن ، وفي الأصل : مائتان .

(٣) من بن ، وفي الأصل : أربع .

(٤-٤) في الأصل و بن : سبعة عشر - كذا .

(٥) في الأصل و بن : أربعة .

(٦) زاد في بن : وقال و اقم الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتباً موقوتاً
 وقال اقم الصلوة .

(٧) قرآن كريم ٢٩ : ٤٥ و بقيتها « و لذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون » .

بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا^١“ و خاطب جميع المؤمنين فأمرهم بالاستعانة على طاعته كلها بالصلاة فقال ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ^٢“ وقال ” و اوحيناً اليهم فعمل الخيرات و اقام الصلاة^٣“ فذكر الخيرات كلها و هي جميع الطاعات مع اجتناب جميع المعاصي ، و أفرد الصلاة بالذكر و أوصاهم بها خاصة ، و بالصلاة^٥ أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته عند خروجه من الدنيا فقال : الله الله في الصلاة و فيما ملكت أيمانكم ! فهي آخر وصيته صلى الله عليه وسلم ، و هي أول ما يسأل عنه العبد من [٥: الف] العمل يوم القيامة ، و هي عمود الدين و ليس بعد ذهابها دين و لا إسلام ، فتارك الصلاة يكفر عند الإمام أحمد بن حنبل ، إذا تركها جاحداً لوجوبها و جب قتله . ١٠ لا خلاف في مذهبه ؛ و أما إن تركها تهاوناً و تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها دعى إلى فعلها ، فان لم يفعلها حتى تضايق وقت التي تليها كفر و قتل بالسيف لكفره بعد أن يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد في الحالتين . و يكون ماله فيثا يوضع في بيت المال للمسلمين . و لا يصلي عليه . و لا يدفن في مقابر المسلمين . و عنه : لا يجب قتله في التهاون حتى يترك ثلاث صلوات ١٥

(١) قرآن كريم ٢٠ : ١٣٢ و بقيتها « لانسئلك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للمتقوى » .

(٢) قرآن كريم ٢ : ١٥٣ .

(٣) قرآن كريم ٢١ : ٧٣ و بقيتها « و آيتاء الزكوة و انوا لنا عبدين » .

(٤) في بن : عمه .

(٥) في بن : لم يفعل .

و يتضايق وقت الرابعة ، و يقتل حدا كالزاني المحصن ، و حكمه حكم
 أموات المسلمين ، و يورث ماله ورثته المسلمون . و قال الإمام أبو حنيفة :
 لا يقتل ولكن يحبس حتى يصلى فيتوب أو يموت فى الحبس . و قال
 الإمام الشافعى : يقتل بالسيف حدا و لا يكفر . و الدليل على كفره عند
 الإمام أحمد بن حنبل ما تقدم من الآيات و الأخبار و ما روى عن
 جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ما بين الرجل و الكفر
 و الشرك إلا ترك الصلاة . و روى عبد الله بن بريدة عن أبيه^٢ قال قال
 رسول الله صلى الله عليه و سلم : بيننا و بينهم ترك الصلاة ، فمن تركها فقد كفر .
 و روى جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أبصر
 ١٠ رجلا^٤ ينقر سجوده كما ينقر الغراب ، فقال : لو مات هذا مات على غير
 دين . و عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا
 ترك الرجل صلاته متعمدا كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها . و اعلم
 أن المتعبد على غير فقه كحمار الطاحون يدور و لا يبرح ، و ركعتان
 من عالم أفضل من سبعين ركعة من عابد غير فقيه ، و ذلك أن العالم
 ١٥ تأتيه الفتنة فيخرج بعلمه ، و تأتي العابد الغير فقيه الفتنة فتفسده نسا . و من

(١) فى بن : يرث .

(٢) من بن ، و فى الأصل : المسلمين .

(٣-٣) فى الأصل : زيد بن ابيه ، و فى بن : زيد عن أبى ؛ و التصحيح من مسند

احمد بن حنبل ٣٤٦/٥ و ٣٥٥ و جامع الترمذى ٣١٧/٢ .

(٤) من بن ، و فى الأصل : رجل - كذا .

فرائض (٥)

٢٠

فرائض الإسلام أيضا الزكاة، و سننها زكاة الفطر و شروطها حديث النبي صلى الله عليه و سلم : من أخرج زكاة الفطر طيبة بها نفسه و أيم الله لا يفعل ذلك إلا المؤمن، و الزكاة النماء و الزيادة من قوله : زكا الزرع - إذا نما و طاب و حسن، و زكت النفقة - إذا نمت و بورك فيها، و قيل لأنها تزكو عند الله و تنمو و تضاعف لصاحبها، و قيل لأن صاحبها [٥ : ب] يزكو بأدائها، و قيل تطهر الأموال و تطيبها، و قيل إن الزكاة التطيب، و قيل الطاعة و الإخلاص، و قيل إنما سميت بذلك لأنها صدقة من الصدق، إذ هي دليل على صدق إيمان مخرجها، و قيل لأنها لا تؤخذ إلا من الأموال النامية المتعرضة للنماء و الزيادة كأموال التجارة و الأنعام و الحرث، سميت بذلك - قاله عياض، و هي كوجوب الصلاة . و قال تعالى " فان تابوا و أقاموا الصلوة و أتوا الزكاة " " و ما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقسموا الصلوة و يؤتوا الزكاة " " قد أفلح من تزكى " و هي من إحدى دعائم الإسلام . و من فرائض الإسلام أيضا الصوم، و شرطه صوم يوم عاشوراء، و سننه حديث النبي صلى الله عليه و سلم : من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر؛ و اشتقاق اسم الصيام في اللغة الإمساك و الترك و الكف .

(١) زيد بن القاضى .

(٢) وردت الآية مرتين في سورة التوبة، قرآن كريم ٩ : ١١٠ .

(٣) قرآن كريم ٩٨ : ٥ و بقيتها « و ذلك دين القيمة » .

(٤) قرآن ٨٧ : ١٤ .

أمسك عن شيء تركه وكف عنه فهو صائم عنه ، قال الله تعالى ” فقولي
 إني نذرت للرحمن صوماً “ و هو الإمساك عن الكلام و الكف عنه .
 و من فرائض الإسلام أيضا الحج ، و شروطه العمرة ، و سننه حديث
 النبي صلى الله عليه و سلم : من حج البيت و لم يرفث و لم يفسق خرج من
 ذنوبه كيوم ولدته أمه . و ١ الإيمان على أربعة دعائم : على الصبر و اليقين
 و العدل و الجهاد ، فالصبر منها على أربع ٢ شعب : على الشوق و الشفق
 و الزهد و الترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، و من أشفق
 من النار اجتنب المحرمات ، و من زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ، و من
 ارتقب الموت سارع إلى الخيرات . قال أبو الوليد في المقدمات : اول
 الواجبات الإيمان بالله تعالى و توحيد اسمه و ما هو عليه من صفات
 ذاته و أفعاله و ملائكته و كتبه و رساله و ما جاء به من عند الله ، هو
 التصديق الخالص في القلب . قال تعالى ” و ما انت بمؤمن لنا “ أى
 بمصدق . و أما الإسلام فهو إظهار الإيمان و الإعلان به ، مأخوذ
 من الاستسلام و هو الانقياد لأن من أظهر الإيمان فقد انقاد و استسلم
 ١٥ لجريان حكم الله تعالى ، فكل مؤمن مسلم لأن من اعتقد الإيمان في الباطن
 فهو معلن به في الظاهر ، و ليس كل مسلم مؤمنا لأن المنافق و الزنديق

(١) قرآن كريم ١٩ : ٢٦ و بقية الآية « فلن أكلم اليوم انسيا » .

(٢) زيد في بن : اعلم ان .

(٣) في الأصل و بن : اربعة - كذا .

(٤) قرآن كريم ١٢ : ١٧ و بقيتها « و لو كنا صديقين » .

(٥-٥) من بن ، و في الأصل : مؤمن مسلما .

يظهر ان الإسلام و يخفيان الكفر^١ . و اليقين منها على أربع^٢ شعب : على تبصرة الفطنة ، و تأويل الحكمة ، و موعظة العبرة ، و سنة الأولين ، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ، و من تأول [٦ : الف] الحكمة تأول العبرة ، و من تبين العبرة عرف السنة ، و من عرف السنة كان من الأولين . و العدل منها على أربع^٣ شعب : على غائص الفهم^٤ ، و غور العلم ، و روضة الحكم ، و ساحة الحلم ، فمن فهم فسر جمل العلم ، و من علم شرح غرائب الحكم ، و من شرح غرائب الحكم دلت على معادن العلم فلم يضل ، و من حلم لم يفرط و عاش في الناس حميدا . و الجهاد منها على أربع^٥

(١) زيد في بن : فهما مسلمان في الظاهر كافرين في الباطن ، فالإسلام اعم من الإيمان ؛ قال الغزالي : المؤمن لا يخلو من قلة أو ذلة أو علة - انتهى . قال الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الأربعين في اصول الدين : الإيمان اقوى من الكفر فلما لم ينفع مع الكفر شيء من الطاعات وحب أن لا يضر مع الإيمان شيء من المعاصي فان الكافر إذا أسلم أزال ثواب إيمانه عقاب كفره ، فدل هذا على أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الكفر ، و عقاب الكفر لا شك انه أزيد من عقاب الفسق بكثير . و عند الجبر و المقابلة يفضل ثواب الإيمان لا محالة فوجب القطع بأن المؤمن اهل الجنة ، لا يقال إنه إذا كفر بعد إيمانه فعقاب كفره يزيد ثواب إيمانه ، لأننا نقول . . . انه إذا كان كذلك ، لكن يهده الطريق لا يظهر أن عقاب الفسق أزيد من ثواب الإيمان و بالطريق الذي ذكرناه يظهر أن ثواب الإيمان أزيد من عقاب الفسق فكان الترجيح الدائم و الله تعالى أعلم - نعود .

(٢) في الأصل و بن : اربعة .

(٣) في بن : الفكر .

(٤) من بن ، و في الأصل : شرع .

شعب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن،
 و شتآن الفاسقين؛ فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمنين، و من نهى عن
 المنكر أرغم أنف المنافقين، و من صدق في المواطن قضى ما عليه،
 و من شتأ الفاسقين فقد غضب لله، و من غضب لله غضب الله له
 ٥ و أرضاه يوم القيامة. و الكفر على أربعة دعائم: على التعمق و التنازع
 و الزبغ و الشقاق؛ فمن تعمق لم ينب إلى الحق، و من كثر نزاعه
 بالجهد دام عماء عن الحق، و من زاغ ساءت عنده الحسنة [و حسنت
 عنده السيئة - '] و سكر سكر الضلالة، و من شاق وعرت عليه طريقه،
 و أعضل عليه أمره، و ضاق مخرجه. و الشك على أربع شعب: على التماهي،
 ١٠ و القول، و التردد، و الاستسلام، فمن جعل المرء ديدنا لم يصبح ليله، و من هاله
 ما بين يديه نكص على عقبيه، و من تردد في الريب وطته سنا [بك - ']
 الشياطين، و من استسلم لهلكة الدنيا و الآخرة هلك فيها. سئل الإمام
 مالك رحمه الله عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، و الكيفية مجهولة،
 و الإيمان به واجب، و الجحد به كفر، و السؤال عنه بدعة، و أظنك
 ١٥ يا هذا صاحب بدعة. و كان إذا سأله رجل من أهل الأهواء و البدع
 يقول: أما أنا فإني على بينة من ديني، و أما أنت فشاك، اذهب إلى شك
 مثلك فخاصمه. قيل: إن أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري

(١) من بن .

(٢) في الأصل و بن : أربعة .

(٣) في بن : سأل رجل .

(٤) عاش سنة ٩٧٣ - ١٠٥٧ ميلادية .

كان شاكا في الإسلام؛ والدليل على ذلك قوله في شعره:
 في اللاذقية فتنة ما بين أحمد و المسيح
 هذا يحرك دليلة و الشيخ من خرق^١ يصيح
 كل يصح دينه ياليت شعري ما الصحيح^٢

يعنى بالدلة الناقوس الذي يضرب به في كنائس النصارى عند مواقيت ه
 صلواتهم، و يعنى بالشيخ المؤذن لمواقيت الصلوات الخمس^٣.

قال رويم بن أحمد: بلغنى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه سمع
 ضرب ناقوس فقال لأصحابه: تدررون ما يقول [٦: ب] هذا؟ فقالوا:
 لا، قال: إنه يقول:

سبحان الله حقا حقا إن المولى صمد يبقى
 و سمع بعض الصالحين قطانا^٤ يندف القطن بقوسه فقال لأصحابه:

أتدررون ما يقول هذا القوس؟ قالوا: لا، قال إنه يقول:
 هيبك عشت عمر نوح أو أضعف^٥ ضعف ذاك

(١) من بن، وفي الأصل «حرق».

(٢) وأبيات المعرى تروى هكذا:

في اللاذقية ضجة ما بين أحمد و المسيح
 هذا بناقوس يندق وذا بئذنة يصيح
 كل يعزز دينه ياليت شعري ما الصحيح

(٣) زيد بن: في مساجد الجماعات.

(٤) من بن، وفي الأصل: قطان.

(٥) شعر، وهو مرسل في الأصل.

(٦) في بن: ضعف.

ثم بعيد ذا تموت لم يف هذا بذلك
 وأما المؤذنون فقد جاء في الحديث أنهم أطول الناس أعناقاً يوم
 القيامة. قيل: إن بلال بن حمزة الحبشي لم يؤذن لأحد بعد النبي صلى الله عليه
 وسلم إلا يوماً واحداً أذانا واحداً وذلك مرجعه من الشام، ولم يكن للناس
 عهد بأذانه حيناً، فطلبه أبو بكر الصديق وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 [أن يؤذن -^١] فأذن، فلما سمع أهل المدينة صوت بلال وذكر النبي صلى الله
 عليه وسلم بعد طول عهد منهم بأذان بلال وصوته جدد ذلك في قلوبهم أمر
 النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم أذانه إليه، حتى قال بعضهم: بعث
 النبي صلى الله عليه وسلم شوقاً إلى رؤيته. ولما هيجهم بلال عليه^٢ بأذانه
 ١٠ جدد في قلوبهم من أمره صلى الله عليه وسلم حتى فرقوا -^٣ عند ذلك
 وبكوا واشتدّ بكاؤهم حتى خرج العواتق من خدورهن يبكين شوقاً
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمعن صوت بلال وأذانه وذكر
 النبي صلى الله عليه وسلم، ولما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، امتنع
 من الأذان فلم يقدر عليه، وسقط مغشياً عليه حباً وشوقاً إليه صلى الله
 عليه وسلم - انتهى.

نعود إلى ما كان يقوله أبو العلاء، قيل كان أبو العلاء يقول:

(١) في بن: ذاك.

(٢) من بن.

(٣) زيد في الأصل: السلام - كذا.

(٤) زيد في الأصل: وبن: و - كذا.

(٥) كذا، وفي بن: قرموا.

أبي جنى عليّ وما جنيت عليّ أجد - يعني أباه بتزوج أمه أوقعه^٤
في هذه الدار حتى صار إلى ما إليه صار، وهو لم يكن عليّ أحد بهذه
الجنابة لعدم تزويجه، وينشد:

نعذب في البطون وما جنينا ويذبح في حشى الأم الحوار
ونتظر البلبايا والرزايا وأما بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو أننا كنا نخير بعد ذا^٥ أو نستشار
وكما قال من حام حول هذا الأمر:

آباء أجسادنا هم سبب لأن جعلنا عوارض التلف
من علم الناس كان خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النطف^٦

(١) وفي سقط الزند (ص ٣) طبع بيروت سنة ١٨٨٤ م: قيل إنه أوصى أن
يكتب علي قبره:

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت عليّ أحد

(٢) زاد بعده في بن: جنى عليه.

(٣) من بن، وفي الأصل: بتزويجه.

(٤) زيد في بن: بذلك.

(٥) في الأصل: «لم يحنى» وصحته بحذف الياء.

(٦-٦) في بن: التزوج وانشد.

(٧) في الأصل: «بن: ان».

(٨) من بن، وفي الأصل: هذا.

(٩) زيد ما يلي في «بن» و«ع» فقط من «ر»:

والمعنى المذكور هو الذي يقول:

يقوا رب قد طاع المشتري فيا ليت شعري وماذا اشترى

= نهار يمرّ و ليل يسكرّ و نجم يغيب و نجم يرى

نموت كما مات الأولون و يبقى الزمان على ماترى

و كان الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية يقول: كان أبو العلاء المعري في حيرة من دينه، و يقال إنه أقلع عن هذا كله و قال يعتذر:

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل

و يرى نياط عروقها في نحرها و المخ في تلك العظام النحل

امن على بتوبة أمحوبها ما كان مني في الزمان الأول

قال العفيف التلمساني قد علمت بالعقل و الكتاب ما يقطعك فاطعه باطنا كالأخلاق و العقائد و الآمال، و ظاهرا كالأعمال، و عليك بالتأهب للموت ليكون عندك خير غائب منتظرا، و لا يصحب عند قدومه عليك علما، و لا تعتمد على عمل بل تقدم إلى مولاك فقيرا. و لهذا نقل عن ابن الفارض حين حضرته الوفاة أنشد يقول: إن كانت منزلتي في الحب عندكم ما قد علمت فقد ضيعت أيامي أمنية ظفرت نفسي بها زمناء و اليوم أحسبها أضغاث أحلام و المعري المذكور هو الذي يقول:

كم غادر الموت من صغير و عمرت بعده العجوز

و كان أبو العلاء ضليعا بفنون الأدب و من شعره:

و قالوا قد عميت فقلت كلا و إني اليوم أبصر من ...

(موضع النقاط بياض في الأصل، و لعله: بصير).

سواد العين زاد سواد قايي ليجمعنا على فهم الأمور

و قال بعضهم يرثي ... و دفنت:

بأحشائي وإن زعموا بقفر و في قلبي وإن قالوا ببيدا

و من عيني نقلت إلى فؤادي فصرت من السواد إلى السويداء

و لبعضهم سئل عن سرعة شبيهه فقال: =

= و قالوا شئت قلت لهم قفوا لي أحدثكم بشيء من ولوعي
 وحق هواكم ما شئت لكن غسلت سواد شعري بالدموع
 وكان مولد أبي العلاء المعري في يوم الجمعة مغيب الشمس اثلاث بقين من شهر
 ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وتوفي في ليلة السبت الثالث من شهر
 ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة، فكان عمره ستا وثمانين سنة إلا
 أربعة وعشرين يوما - انتهى .

نعود - والشرك هو إثبات الربوبية لاثنين فالشركة باطل . محض ، قال الله
 تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وقال تعالى : « ومن يشرك بالله فكأنما
 خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق » . و روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى : إني لأغني الأغنياء عن الشرك ،
 فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه و من عمه . و باطل مذموم أبدا ،
 قال الله تعالى : « ان الباطل كان زهوقا » ؛ وقال مالك رحمه الله تعالى : إذا ظهر
 الباطل على الحق كان الفساد في الأرض . و قال بعض المتصوفة : كل حق تشاركه
 باطل فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل ، فان الحق غيور . و في منظور
 الحكم : والله ما ذل ذو حق وان اتفق الحاكم عليه . ولا عز ذو باطل وإن طلع من
 جهة القمر . و قال بعض العلماء : لا يثبت الحق حتى يندحس الباطل ؛ و قال الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق عين حيوانه الدم

قوله تعالى « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآء آءى » الإساءة إنفاق المعنى في الباطل ،
 والسوآء آءى إنفاق رزقه في المعامى و إنفاق حياته في متابعة هواه . قوله تعالى :
 " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير هدى المأميين أتوه
 ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " . و روى الحسن بن الحسن عن أبي بصير
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إذ جاء رجل يقرأ " قل يا أيها الكفرون لا أعبد ما تعبدون " . إلى آخرها ، فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد برى من الشرك . وقال النبي صلى الله

[٧ : الف] وكان بعضهم يقول في دعائه : اللهم ! إني أعوذ بك من الشرك الذي لا توحيد معه ، ولا إيمان يصحبه ، ولا خير يتبعه ؛ و اغفر لي ما دون ذلك . و سمي الله تعالى الشرك "عظيم" فقال " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " لأن المشرك إذا تكلم بكلمة الشرك " تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًّا وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا " . و لأن الشرك أعظم الكبائر و ذلك أن جميع الخلائق يرحمون برحمة الله تعالى بالعفو و الرحمة ، " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " .

= عليه و سلم : الشرك في أمي أخفى من ديبب النمل ؛ و كان بعضهم يقول في دعائه : اللهم احفظ قلوبنا من الشرك الجبى ، و احفظ أرواحنا من الشرك الخفى ، و احفظ أسرارنا من الشرك الذى هو أخفى من الخفى ، و توفنا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ؛ و المراد بالشرك الخفى هو الالتفات إلى غير الحق ؛ سئل أبو العباس بن عطاء عن قوله تعالى " هل ادراك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى " قال قال آدم : بماذا أدبتى و إنما أكلت من الشجرة طمعا فى الخلود فى جوارك ؟ فقال عز وجل : طلبت الخلود من الشجرة لا منى و الخلود بيدي و ملكى فأشركت بى و أنت لا تشعر ! و لكن نبهتك بالخروج من الجنة حتى لا تنسانى .

(١) قرآن كريم ٣١ : ١٢ .

(٢) قرآن كريم ١٩ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) قرآن كريم ٤ : ١١٦ و بقية الآية « و من يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً » .

ولما كان المؤمن في الدنيا نسب الفعل لله تعالى ورحمه في أفعاله ولم ينسب فعلا لغيره نفعه ذلك في الدار الآخرة فلم يسلط كونا^٢ يغلب عليه . ولما كان الكافر و المشرك بالله تعالى نسب الأفعال لغير الله و ادعى إلهية غيره سلط عليه ما يغلب عليه من أليم العذاب و سوء العقاب جزاء لشركه به . ولما كان المؤمن العاصي أشرك بحسه و وحده بقلبه سلط الغير بالتعذيب عليه بحسب ذلك ما لم تنله شفاعته أو رحمة .

وسأذكر ما قيل في الروافض^٣ إن شاء الله تعالى ، أما الروافض فقد قال النبي صلى الله عليه و سلم : ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة : اثنتان^٤ و سبعون في النار ، و واحدة في الجنة و هي الجماعة . و سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن تلك الواحدة فقال : من^٥ كان على ما أنا عليه و أصحابي ؛ فالأمة ١٠ افرقت على هذا العدد . و أصل هذا الافتراق ينحصر في أربع^٥ طوائف : الواحدة القدرية و هي المعتزلة ، افرقوا في اعتزالهم^٦ على^٦ ثمانى عشرة^٦ فرقة ؛ و الطائفة الثانية [المرجئة -^٨] افرقوا في إرجائهم^٦ على^٦ ثمانى عشرة^٦

(١) في بن : ينسب .

(٢) في بن : ما .

(٣) زيد في بن : و سوء اعتقادهم .

(٤) وقع في الأصل و بن : اثنتان - كذا .

(٥) في الأصل و بن : أربعة - كذا .

(٦) في بن : افرقهم .

(٧-٧) في الأصل و بن : ثمانية عشر - كذا .

(٨) زيد من بن . و قد سقط من الأصل .

فرقة ؛ و الطائفة الثالثة الشيعة، افرقوا أيضا في تشيعهم على 'ثمانى عشرة' فرقة ؛ و الطائفة الرابعة الخوارج، افرقوا في خروجهم على 'ثمانى عشرة' فرقة؛ فهذه اثنتان ' و سبعون فرقة . و الثالثة و السبعون هي الناجية و هم أهل السنة و العلم، و هي الذى عنى الله عز و جل بقوله "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا" و حبل الله هو القرآن الذى أهدي الله به رسوله و أصحابه . و أما الذى عنى الله عز و جل بقوله "إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

(١-١) فى الأصل و بن : ثمانية عشر - كذا .

(٢) فى الأصل و بن : اثنان - كذا .

(٣) قرآن كريم ٣ : ١٠٣ و بقية الآية « و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

(٤) كذا فى الأصل ، و ليس فى بن .

(٥) زيد فى بن : أما المعتزاة فانهم راموا فلم يصح لهم ذلك فى القرآن لإجماع الأمة عليه فغيروا فى المصحف أشياء كثيرة . . . "من شر ما خلق" بالتنوين، و قراءتهم " قال عذابي اصيب به من أساء" بالسين المهملة قالوا فى قواه تعالى : " و لقد درأنا لجهنم كثيرا من الجن و الإنس " معناه دفعنا، و أنشد و المثقب العبدى :

تقول اذا درأت لها و ضينى أهدا دينه ابدا و دينى

و ليس كما فى الدفع ، درأت بدال مهملة ، و كذلك دروا بدال غير معجمة ؛ و قد روى ان قوما الفرس و غيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر و درج جميع الأمم و رأوا أنه لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة =

و كانوا (٨)

وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ^١“ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وروى ابن عباس أن النبي [٧ : ب] صلى الله عليه وسلم قال : سيكون
في آخر الزمان نبراً يقال لهم ”الروافض“ يرفضون الإسلام فاقتلوهم فانهم
مشركون ، فقال علي بن أبي طالب : وما علامتهم يا رسول الله ؟ فقال :
لا يكون لهم جمعة ولا جماعة ، ويشتمون أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً^٢ .
وسائر الصحابة أجمعين . واعلم أن فرقة الرافضة متفقون على تكفير
الصحابة ، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ، ويقع فيه الزيادة
والنقصان من قبل الصحابة ، ويزعمون أن لا اعتماد على الشريعة التي
في أيدي المسلمين ، وينتظرون إماماً يسمى ”المهدي“ يخرج ويعلمهم

= والمكيدة فأظهروا الإسلام من غير رغبة وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتشف ،
فلما حمد الناس طريقهم ولدوا الأحاديث والمقالات و فرقوا الناس فرقا وأكثر
ذلك في الشيعة ، كما يحكي عن عبد الله بن سبا اليهودي أنه أسد وانصل
بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه و صار من شيعته فلما أخبر بقتله وموته قال :
كذبتُم ، والله لو جئتمونا بدهاء لبعض صرة ما صدقناكم بموته .
ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا تعرف
أهاها بالشيعة .

(١-١) زيد من بن ، و بقية الآية «انما امرهم الى الله ثم ينجيهم بما كانوا يعملون»
قرآن كريم ٦ : ١٥٩ .

(٢) كذا في الأصل و بن ، وقد يعني به قليل الحياء ، و اعنه « نفر » .

(٣) في الأصل و بن : علي - كذا .

(٤) في بن : الروافض .

الشریعة ، و ليس مقصدهم هذا الكلام في الإمامة^١ و لكن مقصودهم إسقاط كلفة تكلیف الشرع على أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، و يعتدون عند الإمام بما يدعونه من تحريف الشفاعة و تغيير القرآن من عند الصحابة ، و لا مزيد على هذا النوع من الكفر؛
 ٥ فقد سئلت الروافض عن شر أمة محمد ، فقالت : أصحاب محمد ، فلا جرم يكون سيف الحق مسلولا عليهم إلى يوم القيامة ، و لا يرى لهم قدم ثابتة و لا راية منصوبة ، و لا ينصرهم أحد إلا صار مخذولا بشؤم بدعتهم ؛
 و العجب أنهم يتكلمون في الصحابة و يستخفون القول فيهم و لا يتأملون كتاب الله تعالى حيث^٢ أثى عليهم بقوله^٣ ” محمد رسول الله و الذين معه

١٠ أشدّاء على الكفار رحماء بينهم و تربهم ركعا سجدا يبتغون

فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود

ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل ” فأثى عليهم كما

ترى و أخبر أن صفتهم المذكورة في التوراة ثم أخبر أن صفتهم في الإنجيل

” كزرع أخرج شطاها فأزره فاستغليظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع

(١) في الأصل « الأمانة » و الغالب أنها « الإمامة » كما وردت فيما بعد في هذه الصفحة .

(٢) من بن ، و في الأصل : تغير .

(٣-٣) في بن : يقول .

(٤) قرآن كريم ٤٨ : ٢٩ انظر الحاشية التالية .

لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . حتى قال أبو إدريس المفسر: إن ظاهر هذه الآية
يوجب أن الروافض كفار لأن في قلوبهم غيظا من الصحابة و عداوة
لهم ، ألا تراه تعالى يقول "ليغيظ بهم الكفار"؟ فبيّن أن من كان في قلبه
غيظا منهم فهو من الكافرين .

و أما الخوارج فان الإمامة من الدين و الإيمان ، و فيها معنى التوحيد ه
الذي هو الاجتماع ، و لأن النبي صلى الله عليه و سلم أمر بطاعة الإمام ، ففي
طاعته طاعة الرسول ، و طاعة الرسول طاعة الله تعالى . و قد ثبت في الصحيح
عن علي بن أبي طالب رضی الله [٨ : الف] عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : يخرج من أمتي قراء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم ،
و لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . ١٠
و إما خرجوا من الدين و سموا "خوارج" بخرجهم عن طاعة الإمام ، فأداهم
ذلك إلى الخروج عن الدين . قال الإمام العالم نحر الإسلام الشاشي : الخروج
(١) قرآن كريم ، نفس الآية السابقة ، و بقيتها « وعد الله الذين آمنوا و عملوا
الصالحات منهم مغفرة و اجرا عظيما » و هي نهاية سورة الفتح .
(٢) ليس في بن .

(٣) في بن : الكفار ، و زيد بعده فيه : قال بعض أهل السنة من أبيات :

لعن الله أمة لنبي شتموا بعد موته أصحابه
زعموا أنهم يوالوا عليا كذبوا و الذي قرأت آيه
أنا عبد اعبد عبد علي غير أني أحب كل الصحابه

(٤) زيد في بن : الشيخ .

(٥) زيد في بن : الدين و .

على الإمام حرام . قال النبي صلى الله عليه وسلم : من نزع يدا من طاعة
فانه يأتي يوم القيامة ولا حجة له ، و من مات وهو مفارق الجماعة مات
ميتة جاهلية . و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : كانت بنو
إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما [هلك - ١] نبي أتى نبي خليفة ، فلا نبي
بعدي ، و سيكون بعدي خلفاء فيكثرون . قالوا : فيما تأمرنا ؟ قال : أعطوهم
حقوقهم ، فان الله سائلهم عما استرعاهم ، فان خرجت طائفة على الإمام و انفردت
بدار أو امتنعت بمنعة قاتلهم الإمام . روى ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فانه ليس أحد
يفارق الجماعة شهرا فيموت إلامات ميتة جاهلية ؛ و إن لم يخرج عن
قبضة الإمام و علم منه أنه يرى رأى الخروج لم يتعرض الإمام لهم ، لما
روى أن عليا كرم الله وجهه سمع رجلا من الخوارج يقول : لا حكم
إلا لله - تعريضا به في التحكيم يوم صفين ، فقال علي : كلمة حق أريد بها
باطل^٢ ، ثم قال : لكم علينا ثلاثة^٣ : لا نمنعكم مساجد الله تذكرون فيها اسم الله ،
و لا نمنعكم من الفء ما دامت أيديكم^٤ معنا ، و لا نبداكم بقتال - انتهى .

(١) زيد من بن .

(٢) في بن : الخوارج .

(٣) في الأصل و بن : باطلا - كذا ، و التصحيح من مجمع بحار الأنوار ٢ / ٢٢٧ .

(٤) في الأصل و بن : ثلاثا - كذا .

(٥) في بن : يدكم .

نعود إلى ذكر الرافضة وغيرهم - اعلم أن فرق الرافضة متباغضين^١ دائما، كل فرقة تبغض الأخرى، وهم يبغضون أهل السنة؛ وأهل السنة تبغضهم أيضا.

ومن العجائب في الصداقة^٢ والصحبة والمحبة سليمان التيمي إمام أهل السنة والفضل الرقاشي إمام المعتزلة، كانا صديقين^٣ إلى أن ماتا^٥ متصاهرين؛ [و - ٤] موسى بن يسار رئيس القدرية وداود بن أبي هند إمام^٥ السنة، كانا صديقين متصافين^٢ مدة خمسين سنة، لم يقع قط بينهما كلمة خبيثة؛ [و - ٤] هشام بن عبد الحكم^٦ إمام الرافضة والمجسمة وعبد الله بن يزيد إمام الإباضية من الخوارج، كانا من الصداقة والمحبة في حال لا يوجد بين الإخوة وكانا مع ذلك شريكين في البز في دكان واحد ولم يتغيرا إلى^{١٠} أن ماتا. ضدهم [ب : ٨] في ذلك - وهم لأب واحد - اليان وهارون وعلى بنو ازرياب^٧ كان^٨ هارون من أئمة أهل السنة واليان من أئمة الخوارج (١) كذا في الأصول كلها، والظاهر: متباغضون.

(٢) في بن: الصحابة.

(٣) في بن: متصافين.

(٤) اضيفت الواو ليستقيم الحديث.

(٥) زيد في بن: أهل.

(٦) في بن: الملك.

(٧) في بن: زرياب.

(٨) في بن: لأن.

و علي من أئمة الروافض و كانوا متعادين^١ [و-٢] جعفر بن مبشر
رأس المعتزلة و أخوه حنش من أهل السنة و كانا متعادين^٢ [و-٢]
السيد الحميري ، كيسانى شيعى ، و أخوه و أمه خارجيان ؛ يلعنهما
و يلعنانه .

٥ و أما اليهود فافترقوا فرقا كثيرة ، و المشهور من فرقهم الربانيون
و القراون و السامريون .

و أما النصارى ففرقهم أيضا كثيرة ، و المشهور من فرقهم الملكانية
و اليعقوبية و النسطورية .

فان قيل : ما سبب إيجاد هذه الفرق الكافرة من اليهود و النصارى
١٠ و عباد الأصنام و الأوثان و الشمس و القمر و الكواكب و النار مع
قدرة الله على أن لا يوجد لهم ؟ قال ابن الفارض فى ذلك :

و إن نار بالتنزيل محراب مسجد فما نار بالإنجيل هيكل يعصية
و أسفار توراة الكليم و قومه يناجى بها الأحبار فى كل ليلة
و إن خر الأحجار فى البذء عاكف فلا تعد فى الإنكار بالعصيّة

(١) من بن ، و فى الأصل « كانا » .

(٢) زيد فى بن : كلهم

(٣) اضيفت الواو ليستقيم الحديث .

(٤) فى بن : متعاديان .

(٥) فى بن : البد .

قال التلمساني في شرح هذه الآيات^١: البذ^٢ الصنم، و العاكف الساجد^٣
 الملازم، و الإنكار ههنا يريد به إنكار العقل على الحق في كونه أوجد
 الكفار مع قدرته على أن لا يوجد لهم، لأن الله تعالى لما خلق العقل
 قال له: اقبل - إشارة إلى فهمه عن الله و طاعته، فان قيل: فكيف ينكر
 بعد ما أطاع؟ قيل: من علم أن الحكمة في إيجاد الكفار كما هي في إيجاد
 المؤمنين^٤ زال^٥ إنكاره، و هو معنى " ما خلقنهما إلا بالحق"^٦،^٧ من فهم
 معنى قوله تعالى " الذي أحسن كل شيء خلقه"^٨ فهم حسن القبيح و رآه
 كرؤية المليح، و المراد لا تنكر ما رأته من عبادة غير الله في هذه الأمة
 المحمدية، ثم قال ابن الفارض^٩:

فما زاعت الأبصار في كل مسألة ولا راغت الإنكار في كل نحلة ١٠
 وما اختار^{١٠} من الشمس عن غرة صبا^{١١} و إشراقها من نور اسفار غرتي

(١) زيد في بن: الثلاثة .

(٢) أي بوذه أو Buddha، و في بن: البد .

(٣) في بن: العابد .

(٤) من بن، و في الأصل: المؤمن .

(٥) في بن: زاد .

(٦) قرآن كريم ٤٤ : ٣٩ .

(٧) زيد في بن: و .

(٨) قرآن كريم ٣٢ : ٧ .

(٩) زيد في بن: أيضا .

(١٠ - ١٠) في بن: عين للشمس من غيره ضيا .

و إن عبد النار المجوس و ما انطفت كذا جاء في الأخبار في ألف حجة
 فما قصدوا غيرى و إن كان قصدهم سوى و إن لم يضمروا غيرية
 أى بعبادتهم لى، و بيان هذا مثله: إن كان ذى هوى إنما عبد هواه،
 و هواه عبارة عن ذاته التى سوت له أن يعبد ما عبده، و إذا كان كل
 ٥ قاصد [٩: الف] من الضالين لم يقصد غير ذاته المخلوقة فقول ابن الفارض:
 فما قصدوا غيرى، بمعنى ما قصدوا غير مخلوق لا الخالق صحيح، و هذا من
 محتمل العبارة؛ و فى التعريف به معنى و هو أن يدخل فى زمرة الضالين
 من اعتقد أن الذات واحدة أعنى ذات العبد و الرب تعالى، فهذا لما
 ظفر بذاته المخلوقة فاعتقدها ذات الخالق فاته ذاته أيضا، لأنه اعتقدها
 ١٠ ذات الخالق فحسر نفسه و ربه، و يفهم أيضا من قول ابن الفارض أن
 كل غلط إنما قصده الإصابت بما عبده و إن كان غالطه و هذا صحيح
 و لكنه لا يفيد ذلك بل هو منهى عنه و مذموم به، كما قال تعالى عنهم
 " ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى " و بهذا كان زردشت الحكيم
 مخطئا إذ رأى النار مظهر النور، فسجد للنور لفرط رياضة كانت منه،
 ١٥ فسجد غيره معه و بعده للنار - انتهى .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر النصارى الملكانية^٢
 و اليعقوبية و النسطورية و كفرهم و قبائحهم فى مقالاتهم و الرد عليهم

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٣٠ .

(٢) فى بن : عنده .

(٣) فى بن : الملكية .

و تبدلهم دين عيسى عليه السلام و اختيارهم غيره باضلال بولص اليهودي المنتصر لهم و حيده بهم عن الحق إلى الباطل حتى انتقلوا من الحق إلى الضلال و من الإيمان إلى الكفر . فحمد الله تعالى و شكره على نعمة الإسلام و ما جاء به النبي عليه السلام ، [و - ١] يروى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه سمع رجلا و هو يقول : نحمد الله على نعمة الإسلام ، فقال له : إنك تحمد الله على نعمة عظيمة . و قال سفيان : لما أن جاء البشير إلى يعقوب بقميص يوسف عليها السلام قال له : على أي دين تركته ؟ قال : على الإسلام ، قال : الحمد لله تمت النعمة ؛ قال ابن الفارض :

و يوسف إذ ألقى البشير قميصه على وجه يعقوب عليه بأوبة
 رآه بعين قبل مقدمه بكى عليه بها شوقا إليه فكفت ١٠
 قال التلساني : رد البصر بالقميص على بعد أبلغ من رده بالمسح على
 قرب - انتهى .

و سأذكر ما قيل في الشكر إن شاء الله تعالى : قال بعض السلف
 الصالح في الشكر : إن للنعمة أجنحة كأجنحة الطيور فقيدوها بالشكر ، و قيل :
 الشكر وعاء النعمى و الوفاء معه صلاح العقبى . عن الحسن بن علي رضي الله ١٥
 عنهما أنه كان يقول : إلهي ! نعمتي فلم تجدني شاكرا ، و ابتليتني [٩ : ب]
 فلم تجدني صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، و لا أنت أدمت

(١) زيد في بن : متابعة .

(٢) زيد من بن .

(٣) زيد في بن : العفيف .

(٤-٤) في بن : فلنذكر الآن .

(٥) في بن : ابتليتني .

المصيبة بترك الصبر؛ إلهي! ما يكون من الكريم إلا الكرم، يا هذا! لا تسأل إلا الله، فانه إن أعطاك أغناك، تمام الكرم إتمام النعم، وشر الأشياء العدم عند الهرم .

قال كعب الأحبار: كان في بني إسرائيل غلام يتيم لا يفتر لسانه عن الشكر فبينما هو جالس على باب داره إذ أقبل إليه ثور سمين ناداه: يا فلان بن فلان! قم فاذبحني فأنا رزقك، فتحير الغلام و طرد الثور، فلما كان من الغد أقبل الثور يفعل كفعله في اليوم الأول، فعجب الغلام من ذلك فطرده و حدث والدته بذلك، فلما كان في اليوم الثالث لم يحس الغلام إلا و الثور قد برك و توجه للقبلة^٢ و قال: يا فلان بن فلان! قم فاذبحني (١) زيد في بن: فسبحان المرجو للنوازل يكشفها، و للنوائب يصرفها، هكذا عوائده الجميلة التي يالفها، و لطائفه الخفية التي لا يخلفها؛ مفرج الغمة، و محول النقمة، و مجدد النعمة، و يظهر القدرة، و يتدأرك بالرحمة؛ سبحانه لا إله إلا هو، و سبحانه المنفرد في قيوميته بوجوب الأزلية و البقاء، المتوحد في ديموميته بامتناع التغير و الفناء، المتعالى بجلال هوية صمديته عن التركيب من الأبعاد و الأجزاء، المنزه بسمو سرمديته عن مشاكلة الأشباه و مماثلة الأشياء، العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء، المحسن الذي لا ينقطع زاد كرمه عن عبده في ظهوري السراء و الضراء، و حالي الشدة و الرخاء، الجليل الذي غرق في بحار جلاله غايات عقول العقلاء، العظيم الذي تضاءلت في سرادقات كماله نهايات علوم العلماء، الحكيم الذي تحيرت في كنه حكمته في خلقه أصغر ذرة عن التحديد و الإحصاء، الذي تحيرت في كنه حكمته في خلقه أصغر ذرة من ذرات مبدعاته و مكنوناته ألباب الألباء و حكمة الحكماء .

(٢) ليس في بن .

(٣) في بن: الى القبلة .

فانى رزقك ، فلما سمعت والدته بذلك قالت : يا ولدى ! لو لم يكن رزقنا ما جاء ثلاثة أيام على الدوام يفعل هكذا و يكلمك بلسان فصيح ، قم يا بنى إليه فاذبحه فتحن جياح و لنا ثلاثة أيام ما طعمنا طعاما ، فعند ذلك قام الغلام إلى الثور فذبحه ، فلما ذبحه دخل عليه غلام فقال : إن هذا الثور لى فلم ذبحته؟ فلم يتكلم ، فأخذ بيده و مضى إلى داود فقال : يا خليفة الله! سل هذا الغلام لم ذبح ثورى بغير إذنى؟ فقال له داود : لم فعلت ذلك؟ فقال : يا نبى الله! حديثى عجيب ، فقال : حدثنى به ، فقال : إن هذا الثور له ثلاثة أيام يأتينى إلى دارى و ينادينى باسمى و اسم أبى و يقول : قم فاذبحنى فأنا رزقك ، و أنا أطرده كل يوم و قد ذبحته فى هذا اليوم ، فقال صاحب الثور : أنا لا آخذ ثمنه إلا عشرين ديناراً ، فقال داود : امضوا بنا إلى الثور ، فمضوا ١٠ إليه ، فدنا داود من الثور فقال : أيها الثور! ثور من أنت؟ فقال الثور بلسان فصيح : أنا ثور صاحب هذه الدار ، إن من أمرى أنى كنت مع صاحبى أب هذا الغلام - يعنى المدعى عليه - فقتل والد هذا الغلام المدعى صاحبى و أخذنى منه ؛ فلما سمع داود ذلك من الثور أخذ دية المقتول من تركة أبى الغلام المدعى^٥ والد القاتل^٥ [و-^٦] دفعها لابن المقتول الذابح للثور ، فاستغنى بدية ١٥

(١) فى بن : ذلك .

(٢) فى بن : فاخذه .

(٣) زيد فى بن : به .

(٤) فى بن : فضى - كذا .

(٥-٥) ليس فى بن .

(٦) زيد من بن .

والده؛ وذلك بركة شكره لله تعالى .

أو سأذكر ما قيل في الحمد والشكر إن شاء الله تعالى : نحمدك معناه
ثنى عليك بآتم وجوه الثناء كلها، [١٠ : الف] فیدخل تحته الشكر، والشكر
ثناء يقابل به معروف ؛ وفي الحديث : الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله
لم يشكره ؛ والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة ، والشكر ذكره بما له
من أفعال جميلة ، من قولهم : دابة شكور - إذا ظهر منها السمن فوق ما تأكله
من العلف ، ويقال : اشكر من بروقه ، وهي شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر .
ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد في مقابلة الذم والشكر في مقابلة الكفر ،
فاختلاف نقيضهما دليل على اختلاف في أنفسهما ؛ وقد ضمن الله المزيد
للشاكرين وما استثنى فقال عز من قائل : لئن شكرتم لأزيدنكم^١ ، فإذا كان
قد ضمن الزيادة على ما أعطاهم فكيف لا يديم لهم ما كان منحهم أولا ! ألا !
من أحب بقاء شيء قيده بعقاله خيفة زواله ، فقيدوا نعم الله فيكم بوجود
الشكر - انتهى .

نعود إلى ذكر صاحب قبرس لعنه الله وغضب عليه وجعل
دائرة السوء محيطة به ! وذلك أنه لما ظفر بالإسكندرية وفرح بما تحصل له
من غنائمها^٥ لم تفرح بذلك ملوك النصرانية ، وقد زعم أنه صار له بينهم^٥

(١) زيد بن : و بالتور أيضا .

(٢) سقطت العبارة من هنا إلى " بوجود الشكر - انتهى " .

(٣) قرآن كريم ١٤ : ٧ .

(٤) زيد بن : خبر .

(٥-٥) في بن : زعم انه صار له بين .

بذلك مزية ، أعقبه ' الله بعد ذلك ' الحزن الشديد ، الذي ليس عليه مزيد ، بما فعله^٢ المسلمون بجنده الأنجاس ، بطرابلس الشام و بلد آياس ، و^٥ سيأتي ذكر ذلك مفصلا في موضعه^٦ إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف^٧ غفر الله له و لوالديه و للاقربين إليه و لجميع المسلمين^٧ :

ولما كمل هذا الكتاب ' الذي هو نزهة لأولى الألباب ' سميته " كتاب الإمام بالإعلام^٨ ' فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية في رقعة الإسكندرية^٩ " مع ما أضفت^{١٠} إلى ذلك من الاستطرادات ' المفيدات ، و الموضوعات ' المستحسنات مما ستقف عليها إن شاء الله تعالى ، و بالله أستعين على جمعه ، و وضعه و نفعه^{١١} ، فمن وجد عيبا فليصلح ، و من أصاب

(١) في بن : فأعقبه .

(٢ - ٣) ليس في بن . (٣) وقع في الأصل و بن : فعلته - كذا .

(٤) وردت إشارة أخرى لهذه الحملة مؤخرا في ١٦٩ : ب و تفصيلها في مخطوط القاهرة .

(٥) في بن : كما .

(٦) زيد في بن : المستحق .

(٧ - ٧) في بن : رحمه الله .

(٨) ليس في بن .

(٩) هذا هو أول ذكر لامم الكتاب ، أما المؤلف فم يظهر إلا في مكانين سأحرج

من مخطوط برلين (انظر فيما بعد ، ١٢ : الف و راجع المقدمة .) و في أول

مخطوط بانكيبور « كتاب مرآة المعائب للنوري ، ذلك بالإمام فيما حرت به

الأحكام - الخ » .

(١٠) في بن : اضيف .

خطأ ' فليستح ، فالإنسان محل النسيان ، قال الشاعر :

وعين الرضى عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تبدى المساويا

(١) سقط من بن .

(٢) زيد في بن [١٠ ب] : « و اعلم ان عقول الناس مدونة في كتبهم لطر بهم وظاهرة في حسن اختيارهم ، و اختيار الرجل رائد عقله ، و كتاب الرجل قطعة من حكمه ، و القلم لسان اليد و رسول الضمير و وحى الفكر و قيد الحكم ، و صائغ الكلام يصوغ ما جمعه اللب ، و يسوغ ما سبكه القلب ، و الفكر بحر لؤلؤ الحكمة ، و الفواص عليها القلم ، و القلم شجرة ثمرتها الألفاظ ، و القلم ترجمان النظر و آلة الفكر ، و الكتاب نعم الجليس ، قال الشاعر :

ما نادى الطرف من نديم أحسن وجهها من الكتاب
من يك نطقه في لسان منه فيغنى عن الجواب
فحاضرا لا على مرأه و غائبا لا على ارتياب
..... حليف أمن في خطا كنت أو صواب

قال العتيبي . من صنف كتابا فقد اشترى للدح و الدم ، فان أحسن فقد استهدف للحسد و الريبة ، و إن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان ، و لو أنى كفت لسانى ، و لم أذكر ما عانانى ، لكنت إذا مستورا ، و لكن كان ذلك في الكتاب مستورا ، و سأذكر هنا بلسان التقصير و الخضوع ما قاله الشاعر في مجموع : يا من غدا - الخ .

' وقال غيره ' :

يا من غدا ناظرا فيما جمعت و من

أضحى يكرر فيما قلته النظرا

ناشدتك الله إن عاينت لي خطأ

فاستر عليّ نخير الناس من سترا ٥

[١٠ : ب] واعلم أن ' المجاميع الكبار ، كاللبساتين ذات الزهور

و الثمار ، و من شأنها تفرقها للهموم و الأفكار ، جلبها السرور للقلب ،

و شرحها للصدور و اللب ، و لله در القائل حيث يقول فيها :

إذا شئت أن تحظى من الكتب يافتي

بأحسن مروى و أطيب مسموع ١٠

فطالع تعاليق المجاميع إنها

تفرق من هم الفتي كل مجموع

و سأبتدئ بذكر الآيتين الكريمتين المتقدم ، ذكرهما إن شاء الله تعالى :

قوله عز وجل " آلم " غلبت الروم ، في ادنى الارض و هم من بعد غلبهم

(١ - ١) ليس في بن .

(٢) من هنا إلى « حيث يقول فيها » عبارة بن هكذا : « المجموع اللائق ، كشرح

الحدائق ، يجلب السرور ، و يشرح الصدور ، و يصف الغموم ، و يفرق الهموم ،

كما قال الشاعر .

(٣) ليس في بن .

(٤) في بن : المقدم .

سيغلبون هـ في بضع سنين^١“ إلى قوله ”العزیز الرحیم“، عن ابن شهاب قال:
 كان المشركون يجادلون المسلمين بمكة فيقولون: الروم أهل كتاب -
 يعنون الإنجيل - وقد غلبتهم الفرس و أتم تزعمون أنكم ستغلبون
 بالكتاب الذي أنزل عليكم، فستغلبكم فارس كما غلبت الروم؛ فأنزل الله
 عز وجل ”آلَمَ غَلَبَتِ الرُّومُ هـ فِي ادْنَى الْأَرْضِ وَ هُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ
 سَيَغْلِبُونَ هـ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلِ وَ مِن بَعْدِ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
 الْمُؤْمِنُونَ هـ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ هـ“^٢ . و قد كان
 بين الروم و الفرس حروب يطول الكلام عليها ، خلاصتها: أن مصر
 كانت بين الروم و الفرس نصفين بالسوية ، فهضت الروم على الفرس ،
 ١٠ أجلتهم عنها بعد أن ملكتها الفرس معهم سبع سنين ، فلم تزل مصر
 على ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على [يد - ٥] المسلمين بعد فتحهم الشام
 أرض القياصرة ، و فتحهم أيضا العراق أرض الأكاصرة ، فذلك قوله
 تعالى ” لله الامر من قبل و من بعد “ إلى ” الرحيم “ .

فائدة: اعلم أن تنوين إذ في ”يومئذ“ تنوين عوض . أصله: و يوم إذ
 ١٥ غلبت الروم يفرح المؤمنون . فحذف الجملة التي ”غلبت الروم“ و عوض منها

(١) سقطت عبارة ”بن“ من هنا إلى ورة بر ٢٥ : ب .

(٢) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٤ .

(٣) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٥ .

(٤) في الهامش « فأيده في مصر » .

(٥) [يد] ناقصة في الأصل .

التنوين وقد نقل إجماع العلماء على التوقف على علم العربية إذ الكتاب
والسنة عريان، والعربية هي النحو، والنحو معرفة كلام العرب والمراد
به صواب الكلام، وفائدته فهم معنى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم، ومنفعته تبين أحوال الألفاظ المركبة في دلالتها على المقصود
ورفع اللبس عن سامعها، فان القائل: ما أحسن زيد [١١: الف] - بالسكون، ه
يحتمل أحد أمور ثلاثة: التعجب من حسنه، والاستفهام عن أى شيء
منه أحسن، وسلب الإحسان عنه حتى يعرف فيتميز.

أر اعلم أن علم العربية لم يؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء
البلغاء منهم، وهم الذين لم يخالطوا غيرهم كهذيل وكنانة وبعض تميم
وقيس عيلان ومن يضاهيهم من عرب الحجاز وأوساط نجد، فأما
الذين صاقبوا العجم في لغاتهم وهؤلاء كحمير وهمدان
وخولان والأزد لمقاربتهم الحبشة والزنج، وطى وغسان لمخالطتهم
الروم بالشام، وعبد القيس لمجاورتهم أهل الجزيرة وفارس، والجزيرة
هذه معروفة بجزيرة بسى عمر بأرض العراق، ثم إن ذوى
العقول السليمة والأذهان المستقيمة رتبوا أصولها، هذبوا فصولها حتى
تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها، وكان إعراب كلام العرب
سجية لأنهم مفطورون على الفصاحة، فلما جاء الإسلام تألفت القلوب

(١) في الأصل «الأجسام» وصحته «الإحسان».

(٢) بالهامش «ماخذ علم العربية».

(٣) وقع في الأصل: أتى - كذا.

اختلطت الأمم بعضها ببعض فكادت العربية أن تتلاشى فدعا ذلك أمير المؤمنين عليا عليه السلام أن أصل فيها أصولا أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي وكان يراجعها فيها إلى أن حصل من أصولها ما فيه كفاية، ثم قرأ على أبي الأسود ميمون الأقرن، ثم عنبة المعروف بالفيل، ثم عبد الله ابن إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزاد فيه، ثم الخليل بن أحمد وعنه أخذ سيوييه، وهؤلاء أئمة البصريين وقد كان علي بن أحمد الكسائي رسم رسوما أخذها عنه أهل الكوفة وتهذب الفن وترتب، وكان الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الملقب بسيوييه بارعا في صناعة النحو، ومن شعره قوله:

١٠ عدت قلبي بهجر منك متصل يا من هواه ضمير غير منفصل
ما زادني غير تأكيد صدودك لي فما عدوك عن عطف إلى بدل
ولبعضهم في شاب فقيه:

أقول لشادن في الحسن أضحي لقد بلحظه قلب الكمي
ملكك الحب أجمع في نصاب فأد زكاة منظر ك البهي
١٥ وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهى
فقال أبو حنيفة: لي إمام وعندي لا زكاة على الصبي

[١١:ب] فان تك مالكي الدين ان من يرى رأى الإمام الشافعي
فلا تك طالبا منى زكاة فاخراج الزكاة على الولي

نظر معاوية إلى النجاد بن أوس العذري الخطيب النسابة في عبادة ناحية من مجلسه فانكر مكانه وازدراه، فتبين للنجاد ذلك في وجهه فقال:

(١) في الأصل «وذلك» ولا يستقيم بها الوزن.

(٢) هنا بالهامش «نسكتة».

يا أمير المؤمنين! إن العباة لا تكلمك وإنما يكلمك من فيها، وكان الرجل أدبه لا ثوبه - ثم أشد:

إني وإن كنت أثوابي ملفقة ليست بخزّ ولا من نسج كتان
فإن في المجد همتان وفي لغتي فصاحة ولساني غير لحان
انتهى.

نعود إلى ذكر لمع من أخبار الروم و الفرس - و ذلك أنهم كانوا أهل
العز الشامخ و الملك الباذخ، و مع ذلك فتح المسلمون بلادهم و أجلوهم
عنها، و قطعوا ديارهم منها، و ملكوا أرضهم و ديارهم و أموالهم، فاذا
كان المسلمون ملكوا أرض القياصرة و بلاد الأكاصرة، فما عسى فعل
صاحب قبرس الكافر اللعين بالاسكندرية ثغر المسلمين، و هو لم يكن
بين ملوك النصارى إلا كراعى غنم أو جزاز صوفها بجم، و لكنه أتى
الإسكندرية على حين غفلة من حماتها، نهبا و هرب عنها، و ما هكذا
عادة الملوك بل من عاداتهم أنهم إذا فتحوا مدينة لا يخرجون منها إلا
عن قهر و غلبة لا سرقة و هرب.

و سأذكر لعا من أخبار ملوك الفرس و الروم ليعلم بذلك قدرهم من
قدره، و قوتهم من ضعفه، و مع ذلك أباد المسلمون ما لا يحصى
و ملكوا بلادهم و أرضهم:

فمن ملوك الفرس: كيومرت، هو أول من وضع التاج على

(١) وقع في الأصل: فتحت - كذا (٢) وقع في الأصل: كانت - كذا.

(٣) وقع في الأصل: ابادت - كذا.

(٤) هذا الفصل في تاريخ ملوك الفرس مأخوذ عن المسعودي في كتابه

«مروج الذهب» انظر طبعة باريس ج ٢ ص ١٠٧ و ما يتلوها.

رأسه وكان ينزل مدينة إصطخر من أرض فارس وهو أول من أمر
بالسكوت على الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيأخذ البدن مما يرد عليه و تسكن
النفس عند ذلك و يأخذ كل عضو ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام ،
و ان الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط
من التدبير و جزء من التقدير إلى غير ذلك و وقع الاشتراك فأضر ذلك
بالنفس الحيوانية و القوى الإنسانية ، و إذا كان ذلك أدى إلى مفارقة
النفس الناطقة لهذا الجسد المرئي ؛ و عمر هذا الملك ألف سنة .

قال الحجاج بن يوسف الثقفي لبعض [١٢ : الف] الأطباء : صف لي
صفة أتفجع بها في أكل و شرب ، فقال له : أيها الأمير ! لا تأكل من اللحم
١٠ إلا قتيًا و لا تأكله حتى ينضج و ينعم ، و لا تأكل من الفاكهة إلا ما نضج
و طاب على شجره ، و لا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه ، و كل
ما أحببت و اشرب عليه و لا تسرف ، و إذا شربت فلا تأكل ، و لا تحبس
البول و لا الغائط و لا الريح ، و إذا أكلت بالنهار فتم ، و إذا أكلت في
الليل فامش قبل نومك ، و أطيب الطعام ما وافق الجوع ، و ألد الشراب
١٥ شربة ماء بارد تقطع بها غليلك ، و ان الإقلال من الطعام ينشط الهبوب
من المنام و تدوم معه سلامة الأجسام .

و قد صنف الشيخ أبو عامر محمد بن عبد العزيز الغرناطي^٢

(١) في الهامش « فائدة » .

(٢) وقع في الأصل : أبي - كذا .

(٣) راجع بروكلمان Brockelmann, GAL, T. II, p. 12, no. 15 أبو الوليد

اسماعيل بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن هاني بن عامر سري الدين اللخمي =

كتاباً في الأغذية سماه "كتاب البديع" فيه منافع الأغذية ومضارها والأشربة وغير ذلك - انتهى .

نعود - ثم ملك من الفرس أو شهنج الأقاليم السبعة وكان ينزل الهند؛ ثم ملك جم وكان ينزل أرض فارس، وفي أيامه أحدث النيروز، وكان ملكه ستائة سنة، قال بعض الشعراء يهنئ بعض الأكارب بالنيروز:
 أبشر بنيروز أتاك مبشراً بسعادة وزيادة ودوام
 واطرب فقد حلّ الربيع نقابه عن منظر متهلل بّسام
 وسيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل في النيروز والمهرجان والعنصرة إن شاء الله تعالى .

ثم أن جم الملك ادعى الإلهية ويزعمون أنه طلع إلى القللك . . ١٠
 ثم ملك افريدون، وكانت دار مملكته بابل وهي على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق وهو نهر النرس، وهذه المدينة خراب = الأندلسي الغرناطي المالكي، ولد بقرناطة سنة ٥٧٠ هـ، ثم جاء مصر ثم عين قاضياً مالكيًا على حماء، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٧٧ هـ، وألف «كتاب البديع في وصف الربيع» .

(١) راجع في موضوع «النيروز» ملحق دائرة المعارف الإسلامية وكذلك:
 H. Mas'ûd & J. M. Faddigon, Le Naurouz-Nâmê de Omar Khayyâm,
 Étude sur Nouvel Ann, dans "Annales Inst. Ec. Orient. Alger," III (1937),
 pp. 275-29.

(٢) عيد العنصرة عند النصارى يقع بعد عيد الفصح .

(٣) في الأصل «أرض» والصواب في المسعودي (مروج الذهب ج ٢ ص ١١٥):
 «انهار» .

(٤) في الأصل «وهي» .

الآن^١ . و ذهب الناس إلى أن فيها هاروت و ماروت^٢ و فيها جب يعرف
بجب دانيال التي تقصده اليهود و النصارى في أعيادهم ، و سيأتي فيما يرد
من هذا الكتاب خبر هاروت و ماروت إن شاء الله تعالى .

ثم ملك بهمن^٣ و هو الذي بعث بخت نصر إلى بني إسرائيل لما بلغه
٥ أن قوما أحدثوا ديناً و أمره بقتلهم و سبي ذراريهم ، و نفاهم عن بيت المقدس
و بددهم في البلاد ؛ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب خبر بخت نصر
إن شاء الله تعالى .

و هلك بهمن و خلف ابنه حملا في بطن أمه^٤ و عقد له التاج على
بطنها ، فلما ولد ملك مدة .

١٠ ثم ملك دارا فكان فظاً [١٢ : ب] غليظاً ، فقتله الإسكندر بخلاف
جيوش فارس لدارا ؛ و في زمنه جدو العزيز^٥ التوراة و بنيت أسوار
بيت المقدس و رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس ؛ و في زمنه كان
ابقراط^٦ و سقراط^٧ و دمقريط^٨ الفلاسفة .

(١) في الأصل « إلى الآن » .

(٢) انظر هذا الخبر فيما بعد (ورقة ٢٠٨ : الف) .

(٣) في الأصل « بهمن » بالياء ، و صوابه بالباء « بهمن » فصحح في هامش الصفحة .

(٤) في الهامش « بيان التوراة » . انظر أيضا ٢٠٤ : ب .

(٥) راجع Casanova, Idris et 'Ouzair, J.A., Oct.-Dec. 1924, pp. 356 et seq.

(٦) أي Hippocrates و يرد عادة في كتب العرب « بقراط » و هم يرجعون

عنده إلى ما قبل الإسكندر بقرن من الزمان و له عندهم صيت ذائع و مكانة رفيعة .

(٧) « سقراط » انظر فيما بعد ٢٠٣ : الف .

(٨) في الأصل « مقريط » و امله « دمقريط » و الدال ساقطة ، و ورد أيضا في =

ثم

ثم ملك توطر ، و في زمنه كان الحروب الموصوفة بصقلية .
 ثم ملك بعده ارشخشار ، و في زمنه كان ارسطاطاليس و افلاطون^٢
 الفلاسفة، و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر بيت المقدس و صقلية
 و ارسطاطاليس و افلاطون و الإسكندر إن شاء الله تعالى . و مات أفلاطون
 في دولة الملك ارشخشار ؛ و قيل لأفلاطون: أي شيء من فعل الناس يشبه
 أفعال الله تعالى ؟ فقال: الإحسان إلى الناس .

ثم ملك ساسان ، و كانت ملوك الفرس تحج البيت الحرام من بين
 سائر ملوك الأعاجم ، و كان ساسان هذا إذا طاف بالبيت زمزم على بئر
 إسماعيل فسميت " زمزم " لزمزمته و غيره من فارس ، و هذا يدل على
 ترادف هذا الفعل . و في ذلك يقول الشاعر :

زمزمت الفرس على زمزم . ذلك في سالفها الأقدم
 و بئر زمزم غورها ستون ذراعاً ، و هي شرقي الكعبة ، و في فورها
 ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود ، و عين حذاء جبل أبي قبيس ، و عين
 حذاء المروة ؛ و بئر زمزم عميق سخن ، فيه ملوحة ، هو^٣ داخل قبة عائشة
 = القلة من كتب العرب التي ذكرته " ديموقريطس " أو " ديموقريطس " .
 (١) كذا .

(٢) انظر فيما بعد م . ٢ : لف عن ارسطاطاليس و افلاطون .

(٣) في الهامش « صفة بئر زمزم » .

(٤) يلاحظ هنا استعمال المؤنث و المذكر على التوالي في الكلام عن « بئر » .

(٥) في الأصل « وهي » .

(٦) في الأصل « على » .

عن الأرض مبنية^١ بالأحجار و الرخام الأبيض، قد اخضرّ جانبه من طول مدته، و في الشرب منه الراحة لكثرة الرخام، و أفضل المياه ماء زمزم، فاذا أفرط عليه الصائم فليقل: اللهم اجعله علما نافعا و رزقا واسعا و شفاء من كل داء و سقم، و اغسل به قلبي و املاه من خشيتك، و ارزقني ٥ الإخلاص و اليقين و المعافاة في الدنيا و الآخرة. ثم ليقل بعد شرب ماء زمزم أو غيره من المياه: ذهب الظمأ و ابتلت العروق و ثبت الأجر إن شاء الله - رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم.

قال الحسن البصرى: الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعا: في الطواف و عند الملتزم و عند الميزاب و في البيت و عند زمزم و على الصفا و المروة و في المسعى و خلف المقام و في عرفات و في المزدلفة ١٠ و في منى و عند الجمرات الثلاث. و الدعاء المأثور أفضل من قراءة القرآن في الطواف على الصحيح من مذهب الشافعى رحمه الله. وكان الشيخ أبو العباس المرسي تلميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلى كثيرا ما ينشد:

١٥ [١٣: الف] مرّت لنا بمبنى و الخبير أوقات

و طيب عيش قطعناه و لذات

لا سلكنّ و لو أنّ الأسود بها

قوافلا و رماح الخط غابات

(١) في الأصل «مبنى».

(٢) في هامش الصفحة «الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء».

و لبعضهم :
 نزلوا بمكة من قبائل نوفل و نزلت بالبيداء أبعد منزل
 و تقلّبوا فرحين تحت ظلالها و طرحت بالبيداء غير مظلل
 و سقوا من الصافي المعتق ريّهم و سقيت دمعته و اله متمل
 يا قسمة قسمت و لم أعلم بها و قضية ثبتت فلّمراً الأوّل
 انتهى .

نعود إلى ذكر هدية ساسان ملك الفرس للكعبة - و قد أهدى
 ساسان هذا غزالين من ذهب و سيوفا إلى الكعبة و هي التي دفنت بزمرم ،
 وكان الذي دفنها عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي و هو رئيس
 جرهم ، كانوا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة ، ثم أن جرهم بغوا بمكة ١٠
 و استحلوا حرمتها و ظلّموا من دخلها و أكلوا مال الكعبة التي يهدى
 لها و لم يتناهوا عن منكر فعلوه ، حتى جعل الرجل إذا لم يجد مكانا
 يزني فيه دخل الكعبة فزنا فيها ، فزعموا أن إسافا بنى بنائلة فيها ، فمسخا
 حجرين ، و بعث الله على جرهم الرعاف و النمل فأفناهم . نزلت خزاعة
 أرض تهامة فخاربت الجرهميين و هزموهم . فلما أحس عمرو بن الهزيمة ١٥
 أمر بنيه أن يأتوا في ليلة مظلمة إلى موضع زمزم يحضروا ، و يعمقوا الحفر
 و يدفنوا هنالك غزالي الكعبة و الحجر الأسود و أسيافا قلعية . و طفق
 هو و من معه إلى اليمن . و لما كان في زمن عبد المطلب بن هاشم جد

(١) في الأصل « مضلل » و صحته بالظاء .

(٢) و مقابل الكلمة « في الأمر » .

النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رؤيا دلته على موضع زمزم، فخرها
 وأخرج منها الغزاليين والجوهر والأسياق والحجر الأسود، فضرب
 عبد المطلب في الباب الغزاليين، فكان أول ذهب حلّيته الكعبة. ولما خرجت
 جرهم من مكة قهرا لحقوا ببلاد جهينة، فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب
 بهم، وفي خروج جرهم من مكة حين أخرجهم منها ولد إسماعيل
 عليه السلام يقول عمرو بن الحارث بن مضاض:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجود العواثر
 وكنا ولاية البيت من بعد نابت نعزّ فما يحظى لدينا المكائر
 ١٠ ملكنا فعززنا وأعظم ملكنا فليس لحى غيرنا ثم ناصر

[١٣: ب] فان تنثنى الدنيا علينا بحالها فان لها حالا وفيها التشاجر

ولى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قاضيا على بعض النواحي
 فقيل لعمر بعد توليته له بمدة: إن ذلك القاضى عنده قينة غنته وهو
 يكتب بقلم فى قرطاس:

١٥ ترى فى الحكومة يا سيدى على من تعشق أن يقتلا

فرمى بالقلم من يده وصرخ وقال: لا، فلما سمع عمر ذلك عزله، وبلغ
 القاضى الخبر فقال: والله لو سمعها عمر طرب لحسن نغمتها وقال: اركبوني
 فاني مطية ابلغ قوله ذلك لعمر فادعى به وبالجارية، فقال لها القاضى: غنى له
 بأبيات عمرو بن الحارث، فلما حضرت بمجلسه أمرها عمر أن تقول شيئا

فاندفت

فاندفعت تقول الآيات:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فبكي عمر وأخذه الوجد، فلما فرغت من غناها قال للقاضي: ارجع
إلى عمك راشدا فقد هيّجت مني ما كان ساكنا.

واعلم أن الكعبة المشرفة يسعى لها كل شائق من المغارب والمشارك
يقصدها للحج، ثم إن أهل مكة تذكروا^١ عن بعضهم أنه قطع عمره كله
بغير حج وهو مقيم بها وهذا من أعجب العجب؛ قال بعضهم في المعنى:
يا كعبة حجّت إلى إجلالها عرب الشام وتركها والديلم
أمن المصائب أن يفوز بحجة من بالعراق ومن بمكة يحرم
وقد مدح بعضهم الكعبة بقصيدة منها:

يا كعبة الحسن لو لا لطف معنك لما سرى في الدجى ركب لمغناك
نعم ولو لا سواد الخال منك لما تسارع الناس في اليبدا للقياك
أرخی نقاب الحيا لا تسفرين فقد هام البرية من تكحيل عيناك
تبهى دلالا على العشاق قاطبة وهتك كل عبّاد ونساک
إن كان يرضيك موت الصبّ فيك جوى يا حبّذا كلّ من في الكون يهواك
تمايلي في الحلي فالركب من طرب قد هام فيك وما في القلب إلاك
ياربة السرتمشي في السواد ولا تخشى فنور البرايا من محياك
ترقى بوفود قد أتوك وهم شعنا وغبرا يروموا قصد رؤياك
يا جنة الخلد لا زلت مزخرفة وكل من في بقاع الأرض يهواك

(١) في الأصل: يدكروا.

[١٤ : الف] وحق حجرك و الميزاب يا أملي وخالك الأسود الزنجي وركناك

و بالمقام الذي صلى الخليل به و زمزم و حطيم بغية الحاك

و طيب عيش قطعنا معك في حرم و سعينا في صفاك ثم مرواك

إني و إن بعدت عني الديار و إن شط المزار تمنى الطرف رؤياك

و لبعضهم فيها :

رأيت يا سادتي في الأشهر الحرم عروسة جلست في قاعة الحرم

عذراء مخدرة تجلي محاسنها على الرجال كما تجلي على الحرم

و سأذكر ما جاء في فضائل الكعبة و مجيئها إلى المحشر إن شاء الله .

روى عن وهب بن منبه أنه قال : مكتوب في التوراة إن الله عز و جل

١٠ يبعث سبعائة ألف من الملائكة المقربين ، بيد كل واحد منهم سلسلة

من ذهب إلى الكعبة فيقول لهم : أذهبوا إلى الكعبة الحرام فزموها بهذه

السلاسل ثم قودوها إلى المحشر ، قال : فيأتونها فيزمونها بسبعائة ألف سلسلة

من ذهب ثم يمدونها و ملك ينادى : يا كعبة الله ! سيرى ، قال : فتقول : لست

بسائرة حتى أعطى سؤلي ، قال : فينادى ملك من جوس السماء : اسألي حاجتك ،

١٥ قال : فتقول الكعبة : يا رب ! شفعي في جيرتي الذين دفنوا حولي من المؤمنين ،

قال : فيقول الله عز و جل : قد أعطيتك سؤلك ، قال : فيحشر الله تعالى موتي

مكة من قبورهم بيض الوجوه كلهم محرمين ، فيجتمعون حول الكعبة يلبنون ،

قال : ثم تقول الملائكة : يا كعبة الله ! سيرى ، قال : فتقول : لست بسائرة حتى

أعطى سؤلي ، قال : فينادى ملك من جوس السماء : يا كعبة الله ! سألني حاجتك ، فتقول :

يا (١٥)

٦٠

يا ربّ! عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق شعثا غربا
تركوا الأهلين و الأولاد و الأحباب ، و خرجوا شوقا إلىّ زائرين مسلمين
طائعين ، حتى قضوا مناسكهم حيث أمرتهم ، فأسألك يا ربّ أن تؤمنهم
من الفزع الأكبر و تشفّعي فيهم و تجمعهم حولي ! قال: فيقول الله عزّو جلّ:
يا كعبتي ! إن فيهم من ارتكب الذنوب بعدك ، فيهم من أصرّ على الكبائر
حتى وجبت لهم النار، قال: فتقول الكعبة: يا ربّ! أنا أسألك الشفاعة لأهل
الذنوب العظام يا أرحم الراحمين ! قال: فيقول الله عزّو جلّ: قد شفّعتك
فيهم و أعطيتك [١٤ : ب] سؤالك ، قال: ثم ينادى مناداً من قبل الله
عزّو جلّ: ألا! من زار الكعبة فليعتزل من الناس ، قال: فيعتزلون ، فيجمعهم
الله حول الكعبة بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون و يلبّون ، قال: ١٠
ثم ينادى ملك من السماء: يا كعبة الله! سيري ، قال: فتقول الكعبة: لبيك اللهم
لبيك! و الخير كله بيدك، لا شريك لك؛ ثم تقودها الملائكة إلى المحشر .
و معنى الطواف حول الكعبة: عبد أبق من مولاه، فأضربه طول
بلواه، فجاء يلوذ بأركان بيته و فئانه، لما أمن من كرمه و سخائه .

قال بعضهم: بينما أنا أطوف بالكعبة ، إذا بامرأة معها صبي ، هي ١٥
تقول: يا كريم بحق العهد القديم إلا غفرت لي! فقلت لها: ما العهد القديم
الذي بينك و بينه؟ فقالت: يا أخي! أمرى عجيب، فقلت: قصّ عليّ بينك و بينه!

(١) في الأصل « حتى » و المقصود « حيث » ، يستقيم بها الاسم .

(٢) وقع في الأصل: العظام - كذا .

(٣) وقع في الأصل: منادى - كذا .

قالت : إني كنت في مركب و هي سائرة في البحر المملح ، فعصفت علينا ريح
فدمرت من كان في السفينة فلم ينج أحدا منها غيري و هذا الطفل
الذي معي ، فبقيت أنا و إياه على لوح و رجل على لوح آخر ، فلما أصبح
الصبح نظر الرجل إلى فجعل يدافع الماء بذراعيه حتى وصل إلى و استوى
معنا على اللوح و جعل يراودني على نفسي ، فقلت : يا عبد الله ! نحن في بلية
لا نرجو السلامة منها بطاعة الله فكيف بمعصيته ؟ فقال : و الله لا بد من
ذلك ! و مدّ يده إلى الطفل ، أخذه و رمى به في البحر ، فرفعت طرفي إلى
السماء و قلت : يا من يحول بين المرء و قلبه ! حل بيني و بين هذا الرجل
بحولك و قوتك ، إنك على كل شيء قدير ! و إذا بدابة من دواب البحر
١٠ قد فتحت فاهها و التقمته و غاصت به في البحر ، و بقيت الأمواج ترميني
يميناً و شمالاً إلى أن رميتني إلى جزيرة من جزائر العرب ، فقصصت عليهم
قصتي ، فتعجبوا من ذلك و قالوا : لقد أخبرتنا بأمر عجيب و نحن نخبرك
بأمر تعجبين منه ، و ذلك أن [كنا - ٤] نحن سائرين في هذا البحر و إذا بدابة
من دواب البحر قد اعترضتنا و وقفت أمامنا و إذا هذا الطفل على ظهرها ،
١٥ و سمعنا منادياً ينادي - نسمع صوته و لا نراه - يقول : لأن تأخذوا هذا الطفل
و إلا هلكتم ! فنزل واحد منا على ظهرها ، أخذه و طلع المركب ، فغاصت
الدابة في البحر و ها هو ! فأخرجوه لها فضمتها إلى صدرها و بكت و قالت :

(١) وقع في الأصل : احدا - كذا .

(٢) كذا ، والظاهر : و هو .

(٣) وقع في الأصل : أخبرتنا - كذا (٤) - قط من الأصل و لا بد منه .

هو ابني و الله ! فأخذته و ها هو ذا [١٥ : الف] طائف معي بالكعبة ، قال
الرجل : فتعجبت من أمرهما و استوهبت من المرأة الدعاء و دفعت لها
نفقة و انصرفت عنها - انتهى .

نعود إلى معنى التعلق بالأستار - أنا الذي هتسكت أستار سرايري
عندك بقيح الخلوات ، و افعال الكبائر الموبقات ، و الجنائيات الموجبات ،
فهب لي من جميل عفوك ، و تجاوزك و صفحك ، ما تستر به عورتى ،
و تغفر به ذلتى ، و تقيل به عثرتى ، و تسمع به دعوتى ، و تقضى به
حاجتى ، و تنجح به طلبتى ، فأنت قصدى و بغيتى و همى و إرادتى ؛ شعر :

حننت إلى مشاهدة الكرام فيا شوقى إلى البلد الحرام
يطوف الطائفون و لا أراهم و كنت أراهم فى كل عام
على البيت الحرام سلام صب يلاقى الشوق فيه مع الغرام
إذا ذكر الحجاز يراع قلبى فيا أسفى على ذاك المقام
و لبعضهم فى الكعبة :

كعبة الله كالعروس تجلّت و عليها من الجمال لثام
و لها فى مُقبَل الخدّ خال كم إليه بالشوق تسعى الأنام
قيل : من صافح الحجر الأسود فقد صافح الحق سبحانه ، تعالى ، لأنه
يمين الله فى الأرض ، و من قبله فقد قبلها .

قال ابن الفارض :

و منها يمينى فيه ركن مُقبَل و من قلتي فى للحكم قلتي
الضمير فى " و منها " ضمير الصفات ، المعنى أن حكم الشمع الماطن ٢٠

الذي هو كحكم الشرع الظاهر في تقبيل الحجر الأسود الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، أي من قبله فقد قبلها، وكما أن الحجر من القبلة فكذا فهي من قبلي، فله قبلي.

و معنى أيضا: تقبيل الحجر و مصافحته كأنه إذا فعل ذلك يدى بوفاء عهدي و إخلاص قصدى لا أنقض لك عهدا، و لا أخلف لك وعدا، و لا أعصى لك أمرا، و لا أفشى لك سرا، و لا أهتك من محارمك سترا، كل الجهات الست بمن فيها تتوجه إلى الكعبة من قرب و بعد، و لا شك أن المقصود بذلك كله رب الكعبة، لم يقل الله تعالى: وسعني الكعبة، بل قال: ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن، و المراد ليس جرم القلب بل انفس الكاملة، و نظر ابن عمر إلى الكعبة [١٥ : ب] فقال: ما أعظمك و أعظم حرمتك! و المؤمن أعظم حرمة عند الله منك.

و في بضع و أربعين و ستمائة هبت رياح عاصفة بمكة فمزقت ستارة الكعبة و ألقته، فما سكنت الريح إلا و الكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد، و كان هذا فألا على زوال دولة بني العباس و منذرا بما سيقع بعدها من كائنة التتر، و سيأتي فيما يرد من هذا لمعاً من أخبار التتر بما فعلته ببغداد مع الخليفة المستعصم بالله إن شاء الله تعالى. و لما تعرّت الكعبة من ستارتها بتمزيق الرياح لها استأذن نائب صاحب اليمن شيخ

(١) في الأصل: لمعاً - كذا.

الحرم في أن يكسو الكعبة، فقال : لا يكون ذلك إلا من مال الخليفة ،
 ولم يكن عند شيخ الحرم مال فاقترض ثلاثمائة دينار واشترى بها ثياب
 قطن و صبغها سودا و ركب عليها طراز الكعبة العتيقة و كسا بها الكعبة
 بعد أن مكثت إحدى و عشرين يوما عريانة . و سيأتي فيما يرد من هذا
 الكتاب ما قيل في الحجر الأسود و لما سمي بالأسود إن شاء الله تعالى .
 و لما حجت جميلة بنت ناصر الدولة كانت في تحمل عظيم يضرب
 المثل بحجها ، و ذلك أنها عملت أربعمئة حمل ، في كل حمل جارية ،
 فكان لا يدرى في أيها هي ، و لما وصلت إلى الكعبة في جواربها و كلهن
 زيا واحدا في الملبوس لثلا تعرف من بينهن نثرت عليها عشرة آلاف
 دينار انتهبتها الناس ، و كست المجاورين كلهم بالحرمين : حرم مكة و حرم
 المدينة ، و كانت إذا طافت لم تعرف من بين جواربها .

و في بضع و ستين و ستمائة احترق مسجد المدينة - على ساكنه أفضل
 الصلاة و السلام - و ذلك أن أحد القوم دخل إلى خزانة الحرم و معه
 نار فعلقت في الآلات و اتصلت بالسطح سرعة ، ثم عملت في السقوف

(١) انظر أيضا فيما يتعلق بكسوة الكعبة ٧٨ : الف ، ١٥٣ : ب - و من المعانوم
 من بعض الأصول التاريخية أن كسوة الكعبة صنعت سنة ١٥٩ هـ في تونس
 سنة ١٩١ هـ في طهطا - راجع سجل الكتابات العربية Repertoire Chronologique

d' Epigraphie Arabe ج ١ رقم ٨٠١٤٤ .

(٢) ناصر الدولة بن حمدان توفي في الموصل سنة ٣٥٧ هـ .

(٣) وقع في الأصل : القومة - كذا .

حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، و احترق سقف الحجرة النبوية و وقع بعض أساطين المسجد ، و كل ذلك قبل أن تنام الناس ، فجهز الملك الظاهر بيبرس سلطان الديار المصرية صناعا و أخشابا لعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد حريقه ، فطيف بتلك الأخشاب و الآلات بالقاهرة ثم أرسل بها إلى المدينة .

قال البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان المسجد على عهد النبي صلى الله عليه و سلم مبنا باللبن ، و سقفه الجريد ، و عمدته خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر رضى الله عنه شيئا ؛ و زاد فيه عمر رضى الله عنه و بناه على بنيانه فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم باللبن و الجريد و أعاد [١٦ : الف] عمدته خشبا ؛ ثم غيره عثمان رضى الله عنه فزاد فيه زيادة كثيرة و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و القصة و جعل عمدته من حجارة منقوشة ، و سقفه بالساج ، و القصة هى الجص .

قال الشيخ محي الدين النواوى : قوله صلى الله عليه و سلم : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام . معناه فيما يرجع إلى الثواب ؛ فتواب صلاة فيه تزيد على ثواب الألف فيما سواه و لا يتعدى ذلك إلى الإجزاء عن الصلوات الفوائت و هذا لا خلاف فيه ؛ و قال النواوى أيضا : و يستحب المجاورة بمدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم كالمجاورة بمكة ، فقد ثبت فى الصحيح عن (١) و كان ذلك فى سنة ٦٦١ هـ .

ابن عمر و أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من صبر على لأواء المدينة و شدتها كنت له شفيعا - أو شهيدا - يوم القيامة . و اختلف العلماء في المجاورة بمكة ، فقال أبو حنيفة و من وافقه: تكره المجاورة بها ، و قال أحمد ابن حنبل و آخرون: لا تكره بل تستحب ؛ و قد اشدت نكير القاضي أبي بكر ابن العربي على القائلين بالكراهة ؛ قال النووي: و إنما كرهها من كرهها هـ لأمور: منها خوف الملال و قلة الحرمة للانسان و خوف ملابسته الذنوب ، فان الذنب فيها أقبح منه في غيرها كما أن الحسنة أعظم منها في غيرها: و أما من استحبا فلما يحصل فيها من الطاعات كالطواف و تضعيف الصلوات و الحسنات و غير ذلك ؛ قال ابن عبد البر في كتاب التمهيد: عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، و في مسجدى بألف صلاة . و في مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة . قال النووي: و المختار المجاورة بمكة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحظورة . و قد جاور بها خلائق لا يحصون من سلف الأمة و خلفها . ممن يفتدى بهم . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب لمع من أخبار مكة ١٥ و المدينة و أسماء بعض مدن الهند و اليمن و العراق و الروم إن شاء الله تعالى - انتهى .

نعود إلى ذكر ملوك الفرس - ثم ملك سابور بن ذرديشير هو

(١) وقع في الأصل: ابو - كذا .

(٢) وقع الأصل: لمعا - كذا .

(٣) سابور بن ذرديشير هو سابور الأول ابن اردشير الذي حكم بلاد الفرس .

الذي يقال له: سابور الجنود، وهو الذي افتتح الحصن المعروف بالحضر من بلاد الموصل، وكان صاحب الحصن يسمى الضيزن وأقام سابور على حصنه أربع سنين لم يقدر على فتحه حتى تحركت النضيرة بنت الضيزن إلى بعض الأرباض، وكذلك يفعلون بنسوانهم، [١٦: ب] وكانت النضيرة من أجمل النساء فتعشقت سابور وعشقها، فقالت: انت الأثرثار - وهو نهر - فانثر فيه تبنا ثم اتبعه فانظر حين يدخل فأدخل الرجال منه، فان ذلك يفضي إلى الحصن؛ ففعل سابور ذلك وفتح عنوة - أي غلبة وقهرا، وقتل من فيه، واحتمل النضيرة، فعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور وفرشها الحرير المحشو زغب الطير، فقال: ما بالك؟ قالت: من الفراش، فقال: والله! ما نامت الملوك على ألين منه، فالتمس سابور ما كان يؤذيها، فاذا ورقة آسع ملتصقة بين عكنها، وكان سابور ينظر إلى مخ قصبها من لين بشرتها، فقال لها: أي شيء يغذيك أبوك؟ فقالت: بالزبد والمخ وشهد أبقار النحل وصفو الخمر، فقال: وأبيك لا أنا أحدث بك! فكان جزاء أبيك منك ما صنعت به فكيف آمنك على نفسي؟ فأمر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب شعر رأسها بذيله ثم همز الفرس فقطعها قطعا - هذا ما ذكره المسعودي في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الذي ذكر أنه ألفه في سنة اثنتين وثلاثين

= من سنة ٢٤١ الى سنة ٢٧٢ .

(١) «النضيرة» وردت في النص «النضيزه» - راجع مروج الذهب ١/٨٤ .

(٢) وقع في الأصل: ابوك - كذا .

٦٨ (١٧) و ثلاثمائة

و ثلاثمائة بعد تأليفه لكتاب "أخبار الزمان و من أباده الحدثان" من الأمم الماضية و الأجيال الخالية و الممالك الدايرة و الأمم الغابرة . و ألف أيضا كتاب "فنون المعارف و ما جرى في الدهور السوالمف" و كتاب "ذخائر العلوم و ما كان في سالف الأعصار و الدهور" و كتاب "نظم الجواهر في تدبير الممالك و العساكر" و كتاب "الاستذكار" لما جرى في سالف الأعصار" و كتاب "نظم الأعلام في أصول الأحكام" و كتاب "نظم الأدلة في أصول الملة" و كتاب "المسائل و العلل في المذاهب و الملل" و كتاب "المقالات في أصول الديانات" و كتاب "التعيين للخلفاء الماضين" و كتاب "التنبيه على تواريخ الأمم"، و كان تأليفه لهذا الكتاب المسمى بالتنبية كما ذكر بمصر سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة للهجرة في خلافة ١٠ المطيع و الملك على الروم قسطنطين بن لاون' و هي سنة ألف و سبعمائة و أربع سنين لبخت نصر' ، و بخت نصر هو الذي أخرج الديار المصرية و أقام النيل بسبب إخرابه لمصر و أرضها أربعين سنة يزيد و ينقص و لا يزرع عليه لخلو مصر و أرضها من الناس ، و قيل : إنه عمر سبعمائة سنة ، و قال المسعودي أيضا : و هذه السنة سنة ألف و مائتين ، ثمانين ١٥

- (١) سنة ٣٤٥ هـ تواريخ سنة ٩٥٦ و ٩٥٧ م و هي من سني حكم قسطنطين السابع المعروف باسم Constantin VII Porphyrogen'ete ابن ايون حكمه ما بين ٩١٣-٩٥٩ .
- (٢) تقويم بخت نصر هذا بدأ سنة ٧٤٧ ق . م . و على ذلك تكون السنة المشار إليها هنا ٤١٧ بدلا من ١٧٦٤ ، إذن يجب أن تكون القراءة « و أربع سنين » بدلا من « و أربع و ستين سنة » كما هو وارد في النص .

للاشكندر المقدوني وستمائة و ثلاثا^١ وسبعين^٢ لدقلطيانوس ملك
القبط و ثلاثمائة و أربع و عشرين سنة [١٧ : الف] لشهريار بن كسرى
ابرويز آخر ملوك فارس^٣ - انتهى ما قاله أبو الحسن علي المسعودي .

فلنذكر ما قاله قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان في تاريخه

المسمى بوفيات الأعيان في إنباء أبناء الزمان و من أباده الحدثان عن

الحصن المتقدم ذكره إن شاء الله تعالى - قال : إن الحصن المعروف بالحضر

إنما حاصره ازدشير بن سابور الجنود . ملك الفرس و كان لصاحب الحصن

ابنة يقال لها النصيرة بنت الضيزن و كانت في غاية الجمال فأشرفت ذات يوم

فأبصرت ازدشير الملك و كان من أجمل الرجال فهو يته ، فأرسلت إليه أن

يتزوجها و تفتح له الحصن ، فالتزم لها ما طلبت ، و كان في عليهم أنه لا يفتح

حتى تؤخذ حمامة و تخضب رجلاها بحمض بكر ثم ترسل الحمامة فتترك على

سور الحصن فيقع الطلسم فيفتح الحصن ، فدلّت النصيرة^٤ ازدشير^٥ على

(١) تقويم الإسكندر المقدوني يبدأ بسنة ٣٢٣ ق . م . بإضافتها إلى السنة

المشار إليها من حكم قنسطنطين السابع ينتج أن حساب المؤلف مضبوط في

سنة ١٢٨٠ ، ولكن في الأصل : ثمانين سنين - مكان : ثمانين .

(٢-٢) في الأصل : سنين ، و تقويم الشهداء بين القبط يبدأ بتبوية دقلديانوس الحكم

سنة ٢٨٤ م بطرحها من سنة ٩٥٧ م يكون الحاصل ٦٧٣ وليس ٦٠٣ كما ورد خطأ

في النص .

(٣) تقويم شهريار بن كسرى ابرويز و هو تقويم يز دجرد الثالث الذي

سقطت في عهده الأمبراطورية الساسانية يبدأ بسنة ٦٣٢ م ، و على ذلك يكون

التقدير الوارد في النص مضبوطا .

(٤) قد مر التعليق عليه .

(٥) في الأصل : ازد .

ذلك فقله و استفتح الحصن و أخربه و أباد أهله و سار بنضيرة^١ و تزوجها،
 فبينما هي نائمة على فراشها إذ جعلت تملل، ففتش فرشها فوجد عليه
 ورقة آس، فقال لها الملك: هذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم، قال: فما كان
 أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لي الديباج و يلبسني الحرير و يطعمني
 المخ و الزبد و يسقيني الخمر الصافي، قال: فكان جزاء أهلك^٢ منك ما صنعت^٣
 به أنت إلى، ثم أمر بها فربطت قرون شعر رأسها بذب فرس ثم سيق
 الفرس سوقا عنيفا فقطعها قطعا - انتهى .

و قال المسعودي أيضا: و في قتل سابور الجنود^٤ للملك الضيزن

يقول جرير العبسي:

ألم يخبرك و الأنباء تنمى بما لاقت سراة بني العبيد
 و مصرع ضيزن و بني أبيه و أحلاف الكتائب من يزيد
 أتاهم بالفيل و مجلات و بالأبطال سابور الجنود
 فهدم من بروج الحصن صخرًا كأن بناءه زبر الحديد

و سمي سابور الجنود لكثرة من تبعه من الجند و كان مسيره في جنود

فارس و غيرها من الترك و ملوك الأمم .

و في قتل سابور للنضيرة^١ بنت الضيزن و ما كان منها من الغدر بأبيها

و قومها و إرشادها سابور إلى أن دخل الحصن يقول عدى بن زيد العبادي:

(١) قدم التعليق عليه .

(٢) في الأصل: أبوك - كذا .

(٣) في الأصل: الجند .

(٤) من مروج الذهب ٢٨٥/١، وفي الأصل: تقاله - كذا .

والحضر صبّت عليه داهية من قعدة أبدت مناكبها
[١٧:ب] فأسلت أهلها ووالدها تنظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جسر الصبح دماء تجرى سبائبها

ومثل هذه الحكاية ما جرى للحارث بن عمرو الكندي جد امرئ
القيس وهو المعروف بأكل المرار، لأن عبد ياليل أغار عليه فأخذ
زوجته فيمن أخذ فأعجبت به وأحبته وخافت أن يستنقذها الحارث بن
عمرو منه، وكان عبد ياليل أسود أدم فقالت لعبد ياليل: انج بي قبل التبع
فكأنى بالحارث كأنه حمل آكل المراراً قد لحقك فاستنقذني منك؛ فما كان
إلا قليلاً حتى أدركهم الحارث فاستنقذها منهم، فقال لها: هل أصابك
عبد ياليل؟ قالت: نعم وما اشتملت النساء على مثله؛ فأمر أن تربط إلى
ذيل فرس ويركض بها، فربط شعرها لذيل فرس وركض بها حتى تقطعت
قطعا، فالحارث وبنوه هم ملوك كندة - انتهى .

فلنذكر الآن خبر سابور بن هرمز^٢ ذي^٣ الأكتاف - وسمى سابور ذا^٤
الأكتاف لخلعه أكتاف العرب وهو الذي بنى الإيوان العظيم البناء
١٥ وهو إيوان كسرى الذي هو أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه وهو بالجانب
الشرقي من المدائن، وكان ملكه - إلى أن هلك - اثنتين^٥ و سبعين سنة،
وكان خلفه أبوه الملك كسرى هرمز حملا في بطن أمه فغلبت العرب

(١) في الأصل: مرار .

(٢) وهو سابور الثاني حكم من سنة ٣١٠ إلى سنة ٣٧٩ م .

(٣) في الأصل ذو - كذا .

(٤) في الأصل اثنين - كذا .

على سواد العراق ، و قام الوزراء بأمر التدبير ، و كانت جمرة العرب
من غلب على العراق ولد إياد بن نزار ، و كان يقال لها " طبق " لإطباقها
على البلاد ، و ملكها يومئذ الحارث بن الأعز الإيادي ، فلما بلغ سابور
من السنين 'ست عشرة' سنة أعد أساورته للخروج إليهم و الإيقاع بهم ،
و كانت إياد تصيف بجزيرة بني عمر و تشتوا بالعراق ؛ و كان في جيش ٥
سابور رجل منهم يقال له 'لقيط' فكتب إلى إياد شعرا يندرهم و يعلمهم
خبر من يقصدهم فقال :

سلام في الصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من إياد
فان الليث يأتيكم دلافا فلا يحبسكم سوق النفاذ
أتاكم منهم سبعون ألفا يزجون الكتاب كالجراد ١٠
فلم يعباؤا بكتابه و سراياهم تكرر نحو العراق و تغير على السواد ، فلما
تجهز القوم نحوهم أعاد إليهم كتابا أن القوم قد عسكروا و حشدوا لهم
[١٨ : الف] و أنهم سارون إليهم ، ثم إن سابور أوقع بهم و عضهم
بالقتل و ما أفلت منهم إلا نفر لحقوا بأرض الروم ، و خلع أكتاف كثير
منهم فسمى بذلك سابور " ذا الأكتاف " و قد كان سابور في مسيره في ١٥
البلاد أتى على بلاد البحرين و فيها يومئذ بنو تميم فأمعن في قتلهم ،
و هربت بنو تميم و شيخها يومئذ عمره بن تميم بن مر ، و له يومئذ ثلاثمائة

(١-١) في الأصل : ستة عشر - كذا .

(٢) في الأصل : يشتوا - كذا .

(٣) وقع في الأصل : ذو - كذا .

سنة ، و كان يعلّق في عمود البيت في قفة قد اتخذت له ، فأرادوا حمله فآبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم و قال : أنا هالك اليوم أو غدا ! و ما ذا بقي من عمري ؟ و لعل الله ينجيكم من سطوة المسلّط على العرب بتركي ؛ فتركوه و مضوا ، فلما صبحت خيل سابور الديار ألقوها خالية ، فلما سمع الشيخ عمرو سهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذ و جىء به إلى سابور ، فلما وضع بين يديه نظر إلى دلائل الهرم و مرور الأيام عليه فقال له سابور : من أنت أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو ابن تميم بن مرّ و قد بلغت من الكبر ما ترى و قد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، و آثرت الفناء على يدك ليقى من مضى من قومي ، و لعل الله تعالى يجرى فرجهم على يدك ؛ و أنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ! فقال له سابور : قل نسمع ، فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك و رجال ؟ العرب فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا من بلادى و أهل مملكتى ، قال عمرو : فعلوا ذلك و لست عليهم بقيم ، فلما بلغت وقفوا بما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ، قال سابور : و أقتلهم لأننا نجد في مخزون علمنا و ما سبق من أبناء أوائلنا أن العرب ستدال علينا ، قال عمرو : و هذا تتحققه أم تظنه ؟ قال : بل أتحققه و لا بد أن يكون ، قال عمرو : فلم تسيء إليها ؟ و الله إن تبقى على العرب و تحسن إليها فيكافون عن قومك عند إدالة الدولة لهم باحسانك ، و إن أنت طالمت بك المدة كافوك عند مصير الأمور إليهم إن كان حقا ، و إن كان باطلا فلم تتعجل الإثم و تسفك دماء رعيتك ؟ قال سابور : و الرأي ما قلت ، و لقد صدقت في القول و نصحت ؛

فنادى منادى سابور بأمان الناس و رفع السيف، ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن و قتل خلائق من الروم و قال لمن معه: إني أريد أن أدخل أرض الروم متكرراً لأعرف أخبارهم و سيرهم و بمالك بلادهم، فإذا بلغت من ذلك [١٨: ب] حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود، فحذروه التخريب بنفسه فلم يقبل قولهم، فسار متكرراً إلى القسطنطينية ه فصادف وليمة بالقصر لقيصر و قد اجتمع فيها الخاص و العام، فدخل في جملةهم و جلس على بعض موائدهم، و قد كان قيصر أمر مصوراً أتى عسكر سابور، فصور شكل صورته، فلما جاء إلى قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب و الفضة و أتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم إلى الصورة التي على الكأس التي بيد سابور و سابور مقابل لها على المائدة، فعجب من اتفاق الصورتين و تقارب الشبهين، فقام إلى الملك فأخبره فمثل بين يدي الملك فسأله عن خبره، فقال: أنا من أسيرة سابور و هربت منه لأمر خفته فيه، فلم يقبلوا ذلك منه، و قدم إلى السيف فأقر بنفسه، فجعل في جلد بقرة و سار قيصر في جنوده حتى توّسط العراق فافتتح الحصون و شن ١٥ الغارات و عقر النخل و انتهى إلى مدينة نيسابور و قد تحصن بها، حوّه فارس فنزل عليها، و حضر عيد النصاري فأغفل الموالئون بأمره و أخذ فيهم الشراب، و كان بالقرب من سابور أسارى من فارس، و راضتهم

(١) في الأصل: لارض - كذا .
(٢) في الأصل: الذي - كذا .
(٣) وقع في الأصل: فافتح - كذا .

بالفارسية أن يحل بعضهم بعضا، و شجعهم و أمرهم أن يصبوا عليه زقاق
الزيت ففعلوا، فلان عليه الجلد نخرج منه و أتى المدينة ليلا فرأى الحرس
فوق سورها فراطنهم فعرفوه و رفعوه إليهم بالحبال، ففتح أبواب خزائن
السلاح و خرج بأساورته إلى الروم و هم مطمئنون قد عمل فيهم خمار الشراب،
فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس فانهزم الروم و أتى بقيصر أسيرا،
فاستحياء و أبقى عليه و ضم إليه من أسر من أصحابه و أخذهم بغرس الزيتون
بالعراق بدلا من النخل الذي عقروه، و لم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك.
و في فعل سابور و تغريه بنفسه و دخوله إلى الروم يقول بعض
المتقدمين من شعراء الفرس:

١٠ إذ كان بالروم جاسوسا يحول بها حزم البرية من ذى كيد مكار ١٥
فاستأسروه و كانت كبرة غجبا و زلة سبقت من غير عشار
و أصبح الملك الرومى مقتربا أرض العراق على هول و أخطار
فراطن الفرس فى الأبواب فامترقوا كما تجاوب أسد الفار فى الغار
[١٩: الف] فجز بالسيف أصل الروم فامتجقوا لله درك من طلاب أوتار

١٥ إذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا من النخيل و ما أحفوا بمنشار ٢٠

ولما مات سابور ملك بعده ابنه بهرام بن سابور، ثم ملك بعد
بهرام ابنه يزدجرد^(١) و هو المعروف ببهرام جور، ثم ملك يزدجرد بن
بهرام جور بعد أبيه، و أحضر حين ملك رجلا من حكماء عصره فقال

(١) فى الأصل: يزدجرد.

(٢) فى الهامش: نكتة.

له: أيها الحكيم الفاضل! ما صلاح الملك؟ قال: الرفق بالرعية و أخذ الحق منهم في غير مشقة و التودد إليهم بالعدل و أمن السبل و إنصاف المظلوم من الظالم، قال: فما صلاح أمر الملك؟ قال: وزراؤه و أعوانه، إن صلحوا صلح و إن فسدوا فسد ثم هلك، و تنازع الناس بعده، ابنه فيروز و هرمز، فقتله فيروز ثم أن فيروز غزا اخشوار ملك الهياطلة^١ و هم بين ه بخارى و سمرقند، فاحتال عليه ملك الهياطلة حتى أخذه أسيرا. و سأذكر تلك الحيلة العجيبة في موضعها إن شاء الله تعالى. ثم ملك قباد بن فيروز بعد قتل ملك الهياطلة لفيروز. ثم ملك بعد قباد ابنه كسرى انوشروان فقتل ملك الهياطلة بجده فيروز بعد أن غزاه و أسره.

و "انوشروان"^٢ تفسيره: حديد الملوك، فعظم شأنه و كبر سلطانه ١٠ و هادته ملوك الهند و الصين و الشمال و الجنوب و كانت مدة ملكه ثمانيا و أربعين سنة، وهو الذي بنى سور لباب الأبواب^٣ و جعل مبدأ السور من جوف البحر مقدار ميل و بناه على الزقاق المنفوخة

(١) « الهياطلة » انظر أيضا ٢٣ : الف - راجع المصادر الآتية :

Noeldeke, *Gesch. d. Perser u. Araber*, pp. 118 et s.

Glochet, *Les Pays de Tchata et les Eptalites*, "Reud. Acc. Lincei. Yc.

Mo. Hist. Filol.", VI ser., Vol. I, Mai-Juin 1925.

R. Ghirshman, *Les Chionites—Hephtalites*. 1948. (Me'm De'le'g. Franc.

Afghanistan, Tome XIII), fol. XIII-156, p. 70 fig. 8 pl.

(٢) في الهامش: كسرى انوشروان.

(٣) وقع في الأصل: سور الباب و الأبواب - كذا، و باب الأبواب أبواب الحديد قريب من مدينة دربند في الدغستان.

بلبن الحديد والرصاص، فكلما ارتفع البناء نزلت به الزقاق إلى أن استقرت
 في قعر البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الغواصون حينئذ بالخناجر
 إلى تلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الأرض في قعر البحر .
 ووصل هذا السور من البحر في البر أيضا على جبل الفتح أربعين فرسخا
 ٥ حتى انتهى إلى طبرستان و جعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور
 بابا من حديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب وما
 يليها من السور، وذلك لدفع الأمم المتصلة بذلك الجبل، وهم أنواع من
 الأمم منهم الخزر واللان والترك والبرغز وغيرهم، ولما بنى انوشروان
 هذا السور هابته الملوك وراسلته وهادته، فكان فيمن ورد عليه كتاب
 ١٠ ملك الصين، وكتب إليه: من بغفور^١ ملك الصين - صاحب قصور الدر
 والجوهر الذي يجرى في [١٩: ب] قصره نهران يسقيان العود والكافور
 الذي توجد رائحته على فرسخين والذي تخدمه بنات ألف ملك والذي
 في مربطه ألف فيل أبيض - إلى أخيه كسرى انوشروان، وأهدى له
 فارسا على فرس من ذهب منضد بالجوهر النفيس عينا الفرس والفارس من
 ١٥ ياقوت وقائم سيفه من سنن نابت منضد بالجوهر وثوب حرير صينيا
 فيه صورة الملك جالسا في إيوانه وعليه حلته وتاجه وعلى رأسه الخدم
 بأيديهم المذاب والصورة منسوجة بالذهب، وأرض الثوب لازوردى في

(١) في الأصل: يعفور، وفي (٢١: ب) يعبور، وبعفور هي بعفور باللغة
 الصينية ومعناها ابن السماء (انظر مروج الذهب للسعودي ج ٢ ص ٢٠٠ تحت
 فعفور).

(٢-٢) في الأصل: الصورة .

سقط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلأّلاً جمالا وغير ذلك مما
تتهادى به الملوك؛ وكتب إلى انوشروان أيضا ملك الهند وعظيم ملوك
المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت إلى أخيه ملك فارس
صاحب التاج والراية وأهدى إليه ألف من العود الهندى يذوب
في النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع، وجاما من الياقوت ه
الأحمر فتح فيه شبر مملوء درّاً وعشرة أمانان كافور كالفسق، وأكبر
من ذلك، وجارية طولها سبعة أذرع كأن بين أجزائها لمعان
البرق مع إتقان شكلها مقرونة الحاجبين، ولها ظفائر شعر تجررها، و فراشا
من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه في
لحاء شجر يعرف بالكاذى مكتوب بالذهب الأحمر، وهذا الشجر يكون ١٠
بأرض الهند والصين لحاؤه أرق من القرطاس الصينى ذولون عجيب
لازوردى، ورائحته عجيبة يكاتب فيه ملوكها، وكتب إليه ملك التبت
من ملك تبتان ومشارك الأرض المتاخمة للصين والهند إلى أخيه الخمور
السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة الأقاليم السابعة أنوشروان، وأهدى
إليه أنواعا مما يحمل من عجائب الأرض، منها مائة جوشن تبتية ومائة ١٥
ترس مذهبة وأربعة آلاف من مسك في نوافج غزلانه، وكان
لأنوشروان مائة من الذهب مكتوب عليها " ما أكلته وأنت تشتهييه فقد
أكلته، وما أكلته وأنت لا تشتهييه فقد أكلك". وسيأتى فيما يرد من
(١) في الأصل: التبت.

هذا الكتاب صفة مائدة سليمان عليه السلام و صفة كرسية و ما قيل في الأكل على موائد الملوك .

و سأذكر الآن ما قيل في نفع قلة الأكل و ضرر كثرتة^١ : اعلم أن قلة الأكل لها منافع و كثرة الأكل [٢٠: ألف] يحصل به مضار كثيرة ، أما قلة الأكل فليكن ما تأكله على نية سدّ خلة الجوع و إعطاء النفس قوامها لإنهاضها بالعبادة ، و ليحذر التأتق في المآكل و متابعة النفس في شهواتها فان ذلك لا ينتهى إلى حد ، و لله در القائل حيث يقول :

خذ من طعامك للقوام فكل ما يتجاوز الحلقوم يذهب طيبه و اجعل طعامك من نصيبك إنه إن لم يكن قصدا فانت نصيبه

١٠ و الأكل للإنسان راحته و في إكثاره من أكله تعذيبه

و ليترك الإنسان الطعام و فيه بقية ، فان لم يفعل ذلك أكثر شرب الماء و حصل له الثقل و التمدد و أعقبها النوم و الكسل و الضعف و ضاع عليه زمان عبادته ، قال الله تعالى ”كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا“

فبين سبحانه أن المباح من الأكل هو ما لا يمنع من العمل الصالح ، ثم

١٥ قال ”و الذين كفروا يتمتعون و ياكلون كما تاكل الانعام و النار

مشوى لهم^٢“ و أما إطعام الطعام ففيه أجر كبير ، كما قيل : ليس شيء

من أعمال البر أقرب برهانا و لا أظهر نجحا في الوقت من إطعام الطعام ،

(١) في الهامش : قلة الأكل و منافعها و كثرتة و مضارها .

(٢) قرآن كريم ٢٣ : ٥١ .

(٣) قرآن كريم ٤٧ : ١٢ .

وله خمس كرامات : أحدها يزيد ويزداد إلى يوم القيامة ، قوله تعالى
 ” يمحى الله الربوا ويربى الصدقت “ ، والثاني يظهر من المرض والوصب ،
 قال عليه السلام : داووا مرضاكم بالصدقة ، والثالث يحفظ المال ، قوله
 عليه السلام : حصنوا أموالكم بالزكاة ، والرابع الخلف في الدنيا لعشرة أمثالها
 وفي الآخرة بسبعائة ضعف ، والخامس يدفع سبعين بابا من سوء - انتهى . ٥
 نعود - و كان يفرش لأنوشروان في الإيوان الكسروي بساط
 من الحرير الملون المشجر كالرياض الخضرة المزهرة و كان ذلك البساط
 في قدر سعة الإيوان ، و كان أنوشروان يجلس في صدر الإيوان على
 سرير ملكه ، و على رأسه تاج من الذهب مرصع بأنواع اليواقيت
 و الجواهر ، قيل كان زنة تاجه - كما حكاه أبو عبيد القرظي في كتاب المسالك ١٠
 و الممالك - سبعون قطارا تحمله سلسلة من الذهب معلق بها أصلها في
 سقف الإيوان ، و التاج محكم على جبينه حين جلوسه على سريره ، و هذا
 الإيوان أحد عجائب الدنيا لعظم شأنه و ارتفاع بنيانه ، و أنوشروان
 هو الذي قال [٢٠ : ب] فيه أحد شعراء العرب :

ملك حوى رتب المعالي كلها بسمو مجد حبل في إيوانه ١٥
 مولى به شرف الزمان و أهله و بتاجه العالی علی تیجانہ
 و نزل أمير المؤمنين هارون الرشيد على قرب من إيوان كسرى وسمع
 بعض الخدم من وراء السرادق يقول : هذا الذي بنى هذا الإيوان أراد
 أن يصعد عليه إلى السماء ، فأمر الرشيد بضربه و قال : الغيرة حملتني على

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٧٦ .

أدبه اضيائه الملك وما يلحق الملوك للملوك ، و ذكر أن هارون الرشيد بعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكى وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الإيوان ؛ و البرمك هو سادن بيت النار التى تعبدها المجوس ، و كان جد يحيى من البرامكة و هم السدنة أى الخدمة لوقودها ، كما قال ابن الفارض :

وإن عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة
فلما أتى رسول الرشيد إلى يحيى الوزير بعث إليه : لا تفعل ، فقال
لمن حضره : إن المجوسية فى نفسه و الحنو عليها من المنع من إزالة
آثارها ، فشرع فى هدمه ، فاذا به يلزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تضبط
١٠ كثرة ، فأمسك عن ذلك و كتب إلى يحيى الوزير يعلمه بذلك ، فجاوب
أن ينفق على هدمه ما بلغ من الأموال و يحرص على محو أثره ، فتعجب
الرشيد من تناقض كلامه و بعث إليه يسأله ، فقال : أما الكلام الأول
فانى أردت بقاء الذكر لأئمة الإسلام و أن يكون من يرد فى الأزمان
يرى مثل هذا الأثر العظيم فيقولون : إن أمة قهرت قوما هذا بنيانهم
١٥ فاحتوت على ملكهم لأمة عظيمة الشدة ، و أما قولى الثانى فأخبرت أنه
قد شرع فى هدم بعضه فأردت نفي العجز عن ملة الإسلام و أن لا يقول
قائل : إن هذه الأمة عجزت عن هدم ما بنته فارس ؛ فلما بلغ الرشيد
قوله قال : قاتله الله ! فما سمعت له قط قولا إلا صدق فيه ، و أعرض عن
(١) ورد هذا البيت سابقا بالورقة [٨ : ب] فى صدر الكلام عن المجوس
أو عبدة النار .

هدمه ، ولما بلغ الرشيد موت يحيى استرجع وقال : مات أعقل الناس .
وسياتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع^١ من أخبار الرشيد إن شاء الله تعالى .
وكان انوشروان عادلا في رعيته ، فمن عدله أن رسول ملك
الروم قيصر قدم عليه بهدايا ، فنظر الرسول الرومى إلى إيوان كسرى
[٢١ : الف] انوشروان وحسن بنائه ورأى اعوجاجا في ميدانه ه
فقال : كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا ! قيل له : إن عجوزا لها منزل^٢
في جانب الاعوجاج وإن الملك أرادها على بيعه وأرغبها في الثمن
فأبت فلم يكرهها وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى ، فقال الرومى :
هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء . قال المؤلف غفر الله له ولوالديه
وللأقربين إليه ولجميع المسلمين : سألت الشيخ أباعبد الله محمد بن يوسف ١٠
البغدادى معلم دار الطراز^٣ بالإسكندرية : هل رأيت إيوان كسرى ؟ قال :
نعم ، قلت : كم بينه وبين بغداد ؟ قال : مثل الإسكندرية وبلد فوه ، وذلك
مسيرة يوم و ليلة^٤ و مكانه يعرف بالمدائن و يقال له بلغة الفرس " زيران " ؛

(١) في الأصل : لمعا - كذا .

(٢) في الأصل : منزلا - كذا .

(٣) في الهامش : إيوان كسرى وصفته .

(٤) انظر فيما يتعلق بدار الطراز بالإسكندرية ما بعد ١٠٩ : ب ، ٢٦٧ : الف
وعلى وجه أخص مخطوطة القاهرة ١٤٢ : ألف و مايتاوها .(٥) انظر أيضا ٨٨ : ألف . . ٩٠ : ألف - وعلى وجه التمثيل نذكر أن الرحالة
سيمان السمعاني (Symon Semeonis) في أكتوبر سنة ١٣٢٣ م قطع المسافة بين
الإسكندرية وفوه بطريق الخليج والنيل (فرع رشيد) في يوم واحد
(راجع : Geogr. J., LI, February 1918, pp. 79-80 وكذلك Golubovich, III, pp. 263-64)

قلت: صفه لي، قال: رأيتُه عاليا مرتفعا مقبيا و قبوه كهيئة الجمون،
و في قبوه ما يزيد على ألفي طاق كطيقان جامات الحمام يخرق منها الهواء
فيه، والشق الذي انشق فيه ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في سنام ذروته،
يرى الذي يدخله السماء من ذلك الشق، قال بعض مداح النبي صلى الله
عليه وسلم:

إيوان كسرى شق عند ظهوره و انحط عنه التاج عند المولد
و كذلك نيران الأعاجم أخذت لظهوره و خبا لهيب المعبد
و قال الآخر:

و نيران كسرى أخذت بعد ما وهى بميلاده إيوانه المتعالى
١٠ و أخبر أن لا قصر بعد قصر و دولة كسرى آذنت بزوال
ثم قال لي الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف البغدادي المذكور: و قد قست
عرض حائط الإيوان فكان سبعة أذرع و هو مبني بالطوب و الآجر
الأبيض اللون و هو مستقبل الشرق، قال: و قست عرضه بخطوتي فكانت
خمسة و أربعون خطوة، و طوله داخلا مثلي عرضه و أكثر، فقلت له:
١٥ و ما سبب استقباله الشرق و الشمس ترمى جرمها فيه؟ قال: قيل إن الملك
إذا جلس على كرسيه و رأى الشمس قد بدا حاجبها خر ساجدا هو و حاشيته
لها، و ذلك من دأب المجوس لأنهم يعبدون النار و الأنوار كالشمس و القمر
و الكواكب النيرة، فإذا انقضى سجودهم مدوا الستائر على وجه الإيوان
لتمنع حر الشمس عنه، ثم قال: رأيت رعاة الأغنام تأتي بأغنامها
٢٠ تستظل فيه وقت [٢١: ب] القيلولة من الحر و قد صار بحر الغنم فيه

كثيرا لكثرة تردها إليه - انتهى .

فلنذكر ما قاله أبو الفرج ابن الجوزي في سيرة العمرين : عمر بن الخطاب ،
وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما - أن المسلمين لما فتحوا مدائن كسرى
وجدوا في جملة الغنائم بساطا كانت ملوك الأكاسرة تتوارثه خلفا عن
سلف . وكان البساط المذكور منسوجا بالذهب الأحمر ، طوله مائتي ذراع ٥
و عرضه كذلك ، وهو منظوم بالجواهر الملونة من الياقوت و الزمرد و اللؤلؤ
و سائر أحجار الجواهر ، و قد نمش فيه سائر الأشجار و الأزهار و الثمار
و الأطياف ، فكان في الشتاء عند عدم الرياحين يفرش و يجلس عليه
كسرى و خواصه في وسطه للشرب فكأنهم جالسون في رياض البساتين ،
فلما غنمت المسلمون الغنائم حين فتح مدائن كسرى كان البساط ١٠
المذكور فيها ، فلما أرادوا قسمته لم يجدوا من يقوم بثمنه و لا يعلم قيمته
فقال لهم الأمير سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ما رأيكم معاشر المسلمين
في هذا البساط ؟ فقالوا : أنت الأمير و الرأي رأيك . قال : أرى من الرأي
أن تطيب أنفسكم و تبعث به مع الخمس إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
يضعه حيث يرى ، فلما أُر قدم المال المدينة وقف المسلمون على المال المغنوم ١٥
فأجمع رأيهم على أن يقطعوا البساط قطاعا . فقطعوه ، فاقوه على المسلمين فأتى
علي بن أبي طالب قطعة و ما كانت بأجود القطع وباعها بسبعة عشر ألف
درهم ، و لما فتحت المدائن حمل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه سوارى كسرى ، فقال عمر : من سرافه بن جعشم ؟ فقال : ها أنا ، فقال : خذ
(١) في الأصل : جالسين .

هذين السوارين فالبسهما و قل : الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن الهرمزان و ألبسهما أعرابيا من بني مدلج بوالا على عقبه ؛ و كان سراقا أشعر اليدين رقيقهما ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم قال له : كأتى بك يا سراقا و قد لبست سوارى كسرى بن الهرمزان ؛ فلذلك ألبسهما عمر لسراقا .
 تصديقا لقول النبي صلى الله عليه و سلم ذلك في حياته لسراقا - انتهى .

فلنذكر الآن ما قيل في بستان ملك الصين المصنوع شجره من الحرير كما صنع في بساط كسرى المتقدم ذكره - حدث بعض التجار قال : أدخلني بغير ملك الصين بستانا له حسنا كبيرا فرأيت فيه الرجس و السوسان و شقائق النعمان و الورد [٢٢ : الف] و اليانمين و الريحان و النسرين و جميع النواير ، ففجبت من اجتماع أنوار الصيف مع أنوار الشتاء في وقت واحد فقال لي : كيف رأيت ؟ فقلت : ما رأيت شيئا إلا و هذا أحسن منه و لا طرفة إلا و هذا أطرف منها ، و لكن كيف اجتمع نوار الشتاء مع نوار الصيف هنا ؟ فقال لي : جميع ما ترى منها مصنوع من الحرير الصيني قد قص بالمقاريض و سوى به ، فكل من رآه لم يشك إلا أنه مما أنبتته الأرض ؛
 ١٥ قال : فتعجبت منه و من لطيف صناعته - انتهى .

نعود إلى ما وجد في غنائم الكسروية - و ذلك أن رجلا اشترى منها قدر نحاس ، فلما صارت في خوزه علم أنها قدر ذهب ، فقالوا له : ارجع

(١) بغير أو بغير كما ورد في [١٩ : ب] هو بغير في لغة أهل الصين .

(٢-٢) في الأصل : مع اجتماع أنوار الشتاء .

(٣) في الهامش : الغنائم الكسروية .

بالقدر إلى الغنائم ليققسمها^١ المسلمون، قال: إني اشتريتها و صارت في يدي لا أردّها حتى تتكاتبوا أمير المؤمنين عمر فيها؛ فكاتبوه فرد الجواب بأنكم تحلفوا الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فان حلف فهي له، وإن نكل عن اليمين ردها للغنائم تدخل القسمة، فحلف الرجل أنه لما اشتراها لم يعلم أنها ذهب، فتركوها له، فكان زنتها أربعين ألف دينار^٥ و ذكر ابن ابنه بعد ذلك بمدة طويلة أنه كان يقول: إن هذه الأموال التي بأيدينا أصلها من تلك القدر؛ فانظر يا هذا إلى ملوك الأكامرة كيف دارت عليهم الدائرة و أبادتهم السنوات الغابرة! و انظر إلى إيوانهم و ما كان فيه من عزة سلطانهم كيف ركب الهوان و الاذلال حتى صار مأربى للاغنام و الأزبال! فسيحان من ليس له زوال! ١٠
قال بعضهم:

أيا جامعي الدنيا لمن تجمعونها
وكم قد رأينا من ملوك تحصنت
و قال الآخر:

اصبر على مضض المسرى فكم أمم
ظنوا التمكن في الدنيا يدوم لهم
و في مشور الحكم: الدنيا لمن له
عبارة خيال الستارة^٦، أشدها:
رأيت خيال الظل أكبر عبدة
لمن كان في أوج الحقيقة راقى
شخوص و أشكال تمرّ و تغتدى
و تسمى جميعا، المحرك باقى

(١) وقع في الأصل: لتقسمها - كذا.

(٢) في الأصل: اربعون - كذا.

(٣) في الأصل: دينار - كذا.

(٤) أي «خيال الظل» انظر فيما بعد في شعر ابن الفارض.

[٢٢ : ب] و قال ابن الفارض :

ولا تك باللاهى عن اللهو جملة
و إياك و الإعراض عن كل صورة
فطيف خيال الظل يهدى إليك فى
٥ ترى صوراً الأشياء تجلى عليك من
تجمعت الأضداد فيها بحكمة
صوامت تبدى النطق وهى سواكن
و تضحك إعجاباً كأعجب^١ فارح^٢
و تندب إن أنت على سلب نعمة

فهزل الملاهى جد نفس مجدة
مموهة أو حالة مستحيلة
كرى اللهو ما عنه الستائر شفت^٣
وراء حجاب اللبس فى كل خلعة
فأشكالها تبدو على كل هيئة
تحرك تهدى النور غير ضوية
و تبكى انتحاباً مثل ثكلى حزينه
و تطرب إن غنت على طيب نعمة

١٠ و لبعضهم فى خروج الإنسان من الدنيا بالكفن لا بغيره :

كل نفس عند ميبتها حظها من ماها الكفن

كان جعفر بن يحيى بن خالد أبرمكى وزير أمير المؤمنين هارون
الرشيد من الرشيد بمكانة و كان له دنيا عريضة طويلة ، و لما قتله الرشيد
و صلبه و أزال نعمة أبرامكة صارت أم جعفر فقيرة مسكينة ؛ قال
١٥ محمد بن غسان قاضى الكوفة : دخلت إلى^٤ أمى فى يوم عيد الأضحى ، فرأيت

(١) فى ديوان ابن الفارض ص ٥٧ : شقت .

(٢) فى الديوان : صورة .

(٣) فى الديوان : لحكمة .

(٤) من الديوان ، و فى الأصل : سواكت .

(٥) فى الديوان : كأجدل .

(٦) من الديوان ، و فى الأصل : فارح .

(٧) كذا فى الأصل ، و الظاهر : على .

عندها عجوزا في أطمار رثة و إذا لها بيان و لسان ، فقلت لأمي : من هذه ؟
 قالت : هذه عتابة أم جعفر البرمكي فسلمت عليها ، فسلمت عليها و قلت :
 أصارك الدهر إلى ما أرى بعد العز الضخم و الملك الغزير ؟ قالت : نعم يا بني !
 إنما كنا في عوار ارتجعا الدهر منا ، فقلت : حدثيني ببعض شأنك ، قالت :
 مضى عليّ عيد أضحي مثل هذا و على رأسي أربعمئة و صيفة و أنا أزعم أن
 ابني جعفر عاق لي و قد جتكم اليوم أطلب جلدي شاتين : أجعل أحدهما
 شعارا و الآخر دثارا ، قال : فغمي ذلك و أبكاني ، فوهبت لها دنانير
 كانت عندي فكادت تطير فرحا بها . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب
 قتل الرشيد لجعفر إن شاء الله تعالى - انتهى .

١٠ نعود إلى ما قيل في الغفلة عن ذكر الموت - قال بعضهم :
 يا آكلا كل الذي يشتهي كأنه في كلاء ثور
 و ناهضا إن يدع داعي الهوى كأنه من خفة الطير
 [٢٣: الف] إن كؤوس الموت بين الوري دائرة قد حثها السير
 و قد تيقنت و إن أبطات أن سوف يأتيك بها الدور

١٥ و لبعضهم :

الدنيا دنيا و آخرها انقطاع ادفني في كوم و قل ذا القبر ضاع
 فقد تضيع القبور في الدنيا و لكن أهلها لا يضيعون في الآخرة ،
 سيعيدهم خالقهم كما أبادهم ، و يحييهم كما أنشأهم أول مرة ، قال ابن الفارض :
 فسبحان من يحيي بقدرته الذي يميت كما أنشأه أول مرة - انتهى .
 (١-١) كذا في الأصل ، و وزن الشعر ليس بمستقيم .

نعود - و بما افتتح انوشروان بالشام حلب و حمص و انطاكية
 و كان فيها جنود قيصر ، و صاهر خاقان ملك الترك و استعان به
 على الهياطلة^١ و قتل اخشوار ملك الهياطلة بجده فيروز و غلب على
 مملكته ، ثم ملك بعد انوشروان ابنه هرمزد^٢ في ملكه كانت وقعة
 ٥ ذى قار^٣ بين بكر بن وائل و الهامرز صاحب كسرى لأربعين سنة من مولد
 النبي صلى الله عليه و سلم . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا أول
 يوم انتصفت فيه العرب من العجم و نصرت بي ، و قيل في قوله تعالى " الّسم " *
 غلبت الروم * في ادنى الارض^٤ : " إنها نزلت في كسرى ابرويز ملك فارس
 و هرقل ملك الروم ، ثم هزم الله ملكهم بالإسلام ، و كانت مدة مملكة
 ١٠ الفرس أربعة آلاف سنة و ائتمسا و أربعين سنة ، فأبادهم الحام ، و أفتتهم
 الليالى و الأيام .

قال بعض الخطباء في المعنى : قهر القوم العباد فرأسوا ، و ملكوا
 البلاد فبنوا و غرسوا ، و تصرفوا في الأجساد فجلدوا و قطعوا و حبسوا ،
 (١) المعروف ان كسرى الأول انوشروان خرب مدينة انطاكية سنة ٥٣٨ م
 و استولى على حلب سنة ٥٤٠ م .

(٢) انظر ١٩ : الف .

(٣) في الأصل : هرمز ، و المقصود هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ إلى ٥٩٠ م .

(٤) حدثت وقعة ذى قار في عهد كسرى الثاني (٥٩٠ - ٦٢٨ م) الذي استولى
 على اورشليم و فتح مصر ، و ليس في حكم هرمزد بن انوشروان .

(٥) قرآن كريم ٣٠ : ١ - ٢ .

(٦-٦) في الأصل : خمسة و اربعون - كذا .

و شيدوا

٩٠

و شيدوا الحصون فعلوا و احترسوا، و زخرفوا القصور و لبسوا و جلسوا،
ثم دهمهم الموت فهمدوا و همسوا، و أسلموا للهوام فنهشوا و نهسوا،
و سئلوا عن الجواب فأفحموا و خرسوا، و كانوا فبانوا، كأنهم ما كانوا.
قال الشاعر في المعنى :

نادا القبور تبك بالهملان دمع بدا لتواتر الأحزان ٥
كم في القبور من الذين عهدتهم متجبرين بعزة السلطان
أضحوا رميا في التراب و سربلوا حلل الصدا بتنهش الديدان
[٢٣:ب] هل كنت تعرف لورايت وجوههم بعد الثلاث مضين في الأكفان
بليت غضارتها و كانت غضة و تغيرت كمتغير الألوان
أقصر هديت عن البطالة و الصبا واحذر هجوم طوارق الحدثان ١٠
و اخضع لربك و أظهرن تواضعا فلعن أن يلقاك بالغفران
و اختلف الناس في الفرس و أنسابها، فمن الناس من زعم أنهم من
فارس بن سام بن نوح عليه السلام و هذا قول هشام بن محمد، و منهم من
زعم أنهم من ولد يوسف الصديق، و منهم من زعم أنهم من ولد هدرام
ابن ارغشيد بن سام بن نوح، و أنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان
فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية، و في ذلك يقول خطاب بن المعلى:
و بنا سمي الفوارس فرسا نا و منا مناجب الفريسات
و منهم من زعم أنهم من ولد بوان بن ايران بن الأسود بن سام بن نوح
عليه السلام، و بوان هذا ينسب إليه شعب بوان، هو أحد لمواضع
(١) في الأصل: نادى.

المشهوره بالحسن وكثرة الأشجار و تدفق المياه، وفيه يقول الشاعر:

إذا أشرف المكروب من رأس ثلعة على شعب بوان أفاق من الكرب

و أهاه قطر كالحزيرة مسه و مطرد يجرى من البارد العذب

وطيب ثمار في رياض أنيقة و أغصان أشجار جناها على قرب

٥ فبالله يا ريح الجنوب تحملى إلى شعب بوان سلام قى صب

وكان الفرس أهل العز الشامخ و الشرف الباذخ، و الرئاسة و السياسة،

فرسانا في الوغى، صبرا عند اللقاء، انقادت إلى طاعتهم الأمم خشية سطوتهم

و كثرة جنودهم، فهلكوا كأنهم ما ملكوا، و كانت الفرس ثلاث طبقات:

الأول، و ملوك الطوائف، و بنو ساسان، قال الشاعر في فعل الليالي والأيام:

١٠ و استرجعت من بنى ساسان ما وهبت و لم تدع لبنى يونان من أثر

فانظر يا هذا إلى ملوك الأكاسرة و ما كانوا فيه من المنعة و القوة و الملك

الضخم، و لم أذكر سوى بعض ملوكهم و لمعة نزره من أخبارهم، و مع

ذلك قهرهم المسلمون و احتووا على ممالكهم و أورثهم الله أرضهم

و ديارهم و أموالهم .

١٥ و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب أسماء ملوكهم، [٢٤ : الف]

و حكمهم في أقوالهم مع غيرهم من ملوك الترك و الهند و الجاهلية و ملوك

الإسلام - إن شاء الله تعالى .

فاذا كان المسلمون أزالوا^٣ ملك الكسروية بالسيوف المشرفية،

(١) في الأصل: قهرتهم .

(٢) في الأصل: كانت .

(٣) في الأصل: أزالوا .

و الصوارم الهندوانية ، فماذا عسى فعل صاحب قبرس بالإسكندرية ، و خروجه منها سرعة هاربا ، خوفا من وقوعه في البلية ، فلو كان ملكا كما يزعم قابل جيوش الديار المصرية ، ليرى ما تفعله به و بجنوده الخرياطية ، لكنه دخلها لصا و خرج منها سريعا ، خوفا من أن يصير بسيوف المسلمين صريعا ، بل خطف و طار و حمل بلصوصيته بين الملوك العار و الشنار ، ثم انه جرى له من الذل و الخزي بأرض الرومانية بسبب ما ضيع بالإسكندرية أموال الجنوية لأنها قد كان بها متاجرهم فنهبت ، و بضائعهم فذهبت - انتهى .

نعود إلى ذكر ملوك الروم إن شاء الله تعالى - كانت القياصرة ملوك الروم بالشام في عز شامخ و عيش باذخ ، فلم يشعروا إلا و قد دهمهم المسلمون ، قهروهم و دمروهم و أجلوهم من ديارهم و أوطانهم حتى احتموا بحزر البحر الملح ، و لولا البحر حجز بينهم و بينهم لم يبق للفرنج باقية ، و كانوا عن آخرهم بسيوف المسلمين حلوا الجميع في أمهم الهاوية . و سأذكر ما تيسر ذكره من أخبار ملوك الروم إن شاء الله تعالى .

فمنهم أغسطس ملك روما^(٢) و كان أول من سمي بقيصر و إليه تنسب القياصرة و معنى قيصر "بقر" و كان هذا الملك يفتخر بأن النساء لم لده ، و حقيقة هذه اللفظة "جيشر" قيل : إنما سمي جيشر لأنه ولد بشعر يبلغ عينيه و اسم الشعر باللغة الرومية جشارية^(٣) ، فعرب قيصر : قيصر .

(١) جنوه و الجنوية - انظر ٢٤ : الف ، ١٦ : الف ، ١٠٨ : ب ، ١٢٣ : الف ، ١٥٠ : الف ، ١٦٦ : الف ، ١٦٨ : الف - الخ (راجع الفهرس) .

(٢) روما أو رومه - انظر ٢٥ : الف ، ٣٣ : الف .

(٣) مرادفها باللغة اللاتينية Caesaries .

ولاثنين و أربعين سنة من ملكه ولد المسيح عليه السلام ، و سيأتي خبر ولادته - إن شاء الله تعالى .

ثم ملك أغسطس و هو القاتل للملك انطونيوس اليوناني زوج قلابطره ' الملكة اليونانية ، فتحلت عليه قلابطره حتى كادته و قتلته ، و لها قصة عجيبة في قتلها إياه بحية جعلتها له في الرياحين ، فلما اشم تلك الرياحين قفزت عليه الحية ، قتلته بعد أن قتلت هي نفسها بنهش الحية لها ، حتى لا تصير أسيرته يتحكم فيها باختياره ، و كانت هذه الملكة قلابطره آخر من ملك من اليونانيين . ثم ملك طباريوس ' و ثلاث سنين من ملكه رفع المسيح ، و كان جالينوس ' [٢٤ : ب] الطبيب في زمن المسيح عليه السلام ، و لما بلغه أن نبيا ظهر يسمى عيسى بن مريم يرى الأكمة والأبرص فقال : ليس ذلك بكبير أمر ، إن كان يرى من الحمى المثلثة في زمن الشتاء فهو نبي ، فقيل : إنه يحيي الموتى ، فقال : هذه درجة عالية ليس لي قدرة عليها . و لا على المثلثة في الشتاء ، و شرع على لقائه و التمسك بهديه فسار إليه فمات في طريقه قبل الاجتماع . قال المؤلف غفر الله

(١) Cleopatra و في الأصل دائما : فلا بطره .

(٢) Tiberius و في الأصل : طهار يوس .

(٣) جالينوس اشتهر عند العرب في الطب ، و قد جاء ذكره فيما بعد (٤٢ : ب)

عند الكلام عن الزنوج ، عاش في عصر الأمبراطور سبتيموس ساويرس

(Septimus Severus) ١٩٣ - ٢١١ م . و على ذلك يكون تاريخه المضبوط

أحدث بكثير مما ذكره النووي بالنص .

له و لوالديه و للاقربين إليه و لجميع المسلمين : وقفت على كتاب لسكندف^١ الفيلسوف فرأيت فيه أن جالينوس كان بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة ، و ذكر فيه حليته فقال : كان جالينوس أسمر اللون ، حسن التخاطيط ، عريض الأكتاف ، واسع الرجلين ، طويل الأصابع ، حسن الشعر ، معتدل المشية ، ضحوك السن ، نقي الثياب ، طيب الرائحة ، و كان محبا للنزهة مدآخل للملوك و الرؤساء ، مات وله سبع و ثمانون سنة - انتهى .

نعود - ثم اختلفت بعد الملك طباريوس الروم و تخربت فأقاموا على اختلاف الكلمة و التنازع في الملك نحو ثلاثمائة سنة و هم في ذلك لا يعرفون غير عبادة الأصنام ، ثم ملكوا على أنفسهم بعد تلك المدة ملكا يقال له : قلدس^٢ ، و هو قاتل بطرس الحواري و بولس^٣ المذكورين ١٠ في سورة يس ، و لم يزل هذا الملك قاتلا للنصارى و أتباع المسيح و كان أكفر من مضى قبله و أجمعهم لخلال الشر . و في زمنه تفرقت^٤ الاثني عشرة في البلاد و تلاميذه الاثني و سبعين . ثم أفضى الملك إلى بشبانس^٥ فأرسل ابنه طيطيس^٦ إلى حرب نبي إسرائيل ثلاثمائة ألف ، و تفرقت

(١) لم نعثر على ما يدلنا على شخصية هذا الكاتب .

(٢) في الأصل : قاورس .

(٣) انظر فيما (بعد ٢٠٦ . ب) .

(٤-٤) في الأصل : الاثني عشر .

(٥) بشبانس أي قسپسيان (Vespasianus) و حكمه من ٦٩ الى ٧٩ ميلادية و يمدد في النص : بشبسيان ، خطأ مكان : دومشيان (Domitianus) و حكمه من ٨١ الى ٩٦ م . و بشبسيان اصح المرادفات العربية للاسم اللاتيني .

(٦) في الأصل : طيطاس . و في هامش الصفحة : حراب بيت المقدس .

بنو إسرائيل في البلاد و خرب طيطيس بيت المقدس و محأ أثره و عفا
 رسمه ، فعاقب الله الروم من يوم تخريبهم لبيت المقدس بأن جعل سببى
 منهم في كل يوم سبى إلى من طاف ببلادهم من الأمم ، فلا يوم من أيام
 السنة إلا و السبى واقع بهم قل ذلك أو أكثر ، و فعل ذلك بيت المقدس
 ٥ لتمام أربعين سنة من رفع عيسى ، و الله أعلم . ثم ملك دمشقاني فكانت
 دولته جامعة لكل شر و نفي يحننا الحواري إلى بعض الجزائر . ثم ملك قيصر
 أنطونيس فأصلح ما أفسد الذي قبله و أخرج يحننا من الجزيرة و صرف
 النصارى إلى كورهم . ثم ملك طريان^٢ و كان أندلسيا و قيل : إن الذي
 بنى الأندلس يقال له اندلس بن سام بن [٢٥ : الف] نوح عليه السلام .
 ١٠ ثم أفضى الملك بعد ملوك كثيرة إلى دقيانوس^٣ فأمن في قتل النصرانية ،
 و منه هرب أصحاب الكهف ؛ لما آمنوا بربهم ، قال الله تعالى : ” إنهم فتية
 آمنوا بربهم و زدناهم هدى^٥ ، فسامهم الله تعالى ” فتية ” لأنهم أطاعوا الله
 بغير واسطة .

(١) في الأصل : بشبشيان (راجع الحاشية رقم ٣ من هذه الصفحة) .

(٢) في الأصل وبن : و طريان - انظر أيضا (٢٧ : ب) و المقصود الأمبراطور

تراجان (Trajanus) و حكمه من ٩٨ الى ١١٧ م .

(٣) مروج الذهب للسعودى ج ٢ ص ٣٠٦ : دقيوس (Decius) و حكمه من

٢٤٩ الى ٢٥١ م .

(٤) انظر أيضا فيما بعد ٢٥ : ب ، ٧٧ : ب ، ٢٠٦ : ب .

(٥) قرآن كريم ١٨ : ١٣ .

ثم ملك قسطنطين^١ المؤمن بعيسى عليه السلام، وهو الذي بنى مدينة سرقسطة^٢ بالأندلس، ومدينة مارِدِه^٣ ومدينة إشبيلية ومدينة قرمونه^٤ في ذلك العصر، وهو الذي يحكى عنه في الإنجيل: ان أكثر أهل الدنيا خضعت له ملوكها كخضوعها للإسكندر، وأمه يقال لها: هلاقي، خرجت إلى الشام فبنت البيع والكنايس وطلبت الخشبة التي صلب عليها عيسى بزعمهم، وعذبت على إظهارها اليهود، حتى خبّرها شيخ منهم عنها تحت سباطة هناك - والسباطة المزبلة - فاستخرجتها فحلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وسمتها "صليب الصلبوت" واستخرجت المصلوب^٥ من مكان مزبلة وحملته إلى القسطنطينية، وإنه بالقسطنطينية إلى الآن. ويقال: إن اليهود طلبت عيسى عليه السلام، فدلهم عليه أحد الحواريين، وأخذ منهم ثلاثين درهما،

(١) اعتاد كتاب العرب أن يتبعوا ملوك روما بملوك بيزنطة من غير تمييز بينها، أما نسبة تأسيس المدن المشار إليها للإمبراطور قسطنطين فهو نسج من خيال المؤلف ولا اصل له من الصحة.

(٢) في الأصل: سرقطه - ويادها باللاتينية Caesaria Augusta ومعناها جماعة عسكرية او حامية منسوبة الى اغسطس.

(٣) في الأصل: رمادة - وهي مدينة قديمة انشئت سنة ٢٣ ق. م. واسمها اللاتيني Augusta Emerida أو Emerita.

(٤) باللاتينية Carmo وهي مدينة قديمة وكان بها قصر عظيم في عهد يوليوس قيصر.

(٥) كذا في الأصل، والمقصود «الصليب» طبعا.

فألقي الله تعالى شبهه على الذي دل عليه ، فأخذوه فثلوا به و قتلوه و صلبوه و صلبوا عن يمينه و شماله لصين ، و قد صلب حيا حتى مات ، فأخذت هلائي ذلك المصلوب تزعم أنه عيسى - و ليس هو كما زعمت - و حملته إلى القسطنطينية ، و استخرجت هلائي الكنوز و الأموال من بلاد مصر و الشام و ذخائر الملوك ، فصرفتھا إلى بناء الكنائس و تشييدها ، فكل كنيسة بالشام و مصر و بلاد الروم من بنائها ، و اجتمع في ملك قسطنطين ثلاثمائة و ثمانية عشر أسقفا و أربعة بطاركة ، و تناظرا على مقالات النصارى ، و قنوا القوانين و أقاموا دين النصرانية ، و كان دخول قسطنطين في النصرانية لرؤيا رآھا ، و ذلك أن ملك برجان^١ كان مظفرا عليه ، فرأى في منامه أن يرفع الصليبان في رماحه ، ففعل ذلك فظفر بملك برجان ، و قيل : إنها تنصر لأنه كان به جذام فأبرأه منه أسقف رومه^٢ فبنى القسطنطينية و إليه تنسب و كان اسمها بزنتية ، و لم يزل الأمر في بيت قسطنطين بن هلائي إلى أن وليهم ثيداسيس^٣ الأكبر ، و في [٢٥ : ب] زمنه استيقظ أصحاب الكهف^٤ من نومهم

(١) مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م و اول المجامع المسكونية (انظر ايضا ٢٣١ : الف) .

(٢) يعنى ملك بلغار او البلغار .

(٣) رومه و وردت روما ايضا (انظر ٢٤ : الف) .

(٤) في الأصل : اسمه .

(٥) في الأصل : بيداسيس ؛ و صحته : ثيداسيس ، و هى أقرب الأوضاع الى

ثيودوسيوس الأول او الكبير Theodosius I (٣٧٩ - ٣٩٥ م)

(٦) كان اضطهاد اهل الكهف في عهد الإمبراطور دقيوس Decius ٢٤٩ - ٢٥١ م =

بعد أن ناموا ثلاثمائة سنة و تسع سنين كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز فقال " و لبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين و ازدادوا تسعا " ١ .
 ثم ملك ثيداسيس ٢ الأصغر، و في زمنه افتقرت النصارى و بدلوا دين عيسى عليه السلام و غيروا ما جاء به . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ٣ ذكر فرق النصارى و سبب تبديلهم و تغييرهم و ذكر الأناجيل الأربعة ، ٥ و رسالة أبي الفرج الراهب المقدسى للشيخ عبد الرحمن الفارس الأسلمى يوبخه فيها على تركه لدين النصرانية و دخوله في الملة الحنيفة و جواب الشيخ عبد الرحمن الفارس عن رسالة أبي الفرج الراهب ٦ و ذكر مناظرة الشيخ عبد الله المسلم الأسير للقسيس و لبشير ، و إطلاق سبيله بقوة دليله إلى غير ذلك من أكاذيب ٧ الذين أضلهم بولس اليهودى بدخوله في ١٠

= و صحوهم في عهد ثيداسيس سالف الذكر، و لكن عدد السنين التي نص عليها هنا و قدرها ٣٠٩ سنة تتعارض مع ذلك التاريخ .

(١) قرآن كريم ١٨ : ٢٥ .

(٢) في الأصل : ثيداسيس - و صحته بالعربية : ثيداسيس ، أى Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠ م) - راجع حاشية سابقة .

(٣) انظر ٩ : الف، ٩٤ : الف - ب، ١٣١ : ب - و يلاحظ أن المؤلف لم يعالج الموضوع فيما يرد من كتابه على حد قوله .

(٤) الراهب ابو الفرج هو المؤرخ ابن العبرى Bar Hebraeus - حرجس أو غريغوريوس أبو الفرج (١٢٢٦ - ١٢٨٦) السريانى اليعقوبى و هو من اصل اسرايلى .

(٥) زيد بن : جمال الدين بن محمد .

(٦) زيد بن : النصارى .

دينهم و قبولهم منه ذلك - انتهى .

نعود - ولم تزل الروم يتوارثون الملك إلى أن أفضى الأمر إلى هرقل ، و لسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلى الله عليه و سلم [و بقي هرقل حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم -] و خلافة أبي بكر و عمر . ثم ان المسلمين غزوا الشام ففتح الله عليهم ، و هرب هرقل منهم إلى جزر البحر . و سيأتي خبر ولده قسطنطين ابن هرقل و إتيانه بالمراكب طالبا الشام ، فكسرها الله تعالى بالريح العقيم . فاذا كان المسلمون كسروا الفرس و الروم و أخرجوهم من ديارهم و أوطانهم و ملكوا بلادهم فماذا عسى فعل القبرسي الملعون الكلب ١٠ الدون بالإسكندرية التي دخلها لصا و خرج منها لصا ، فلو قابل عساكر الديار المصرية لابتلى بأعظم البلية .

(١) من بن ، و في الأصل : لم يزالوا .

(٢) زيد من بن .

(٣) وقع في الأصل و بن : غزت .

(٤) في بن : جزيرة .

(٥) زيد في بن : لحرب المسلمين .

(٦) في الأصل و بن : كانت .

(٧) من بن ، و في الأصل : كسرت .

(٨) زيد في بن : و أموالهم .

(٩) من بن ، و في الأصل : الذي .

(١٠) زيد في بن : منهم .

(١١) في بن : بلية ، و زيدات بعده [١١ : الف] العبارة : و كان فتح المسلمين

الشام في سنة سبع عشرة من الهجرة النبوية .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عمّا
قصدناه من خبر الإسكندرية - فلنذكر الآن المنامات التي رؤيت قبل
الوقعة 'بها إن شاء الله' .

ذكر المنامات^٢

٥ التي رؤيت قبل وقعة الإسكندرية

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين :

أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن صالح التاجر المصري قال : كنت

(١) زيد في بن : وقعة .

(٢-٢) في بن بمدة يسيرة . والى هنا تنتهي مقدمة النويري بما فيها من المستطردات
الطوال ، و فيما يلي كلامه و مشاهداته القيمة عن سير الحرب الصليبية التي
ترعّمها بطرس الأول ملك قبرس ضد الإسكندرية في سنة ١٢٦٥ ميلادية وما
تلى ذلك منه تطورات و أحداث .

(٣) ليست هذه السلسلة من المنامات (٢٥ : ب إلى ٢٦ : ب) هي الوحيدة
بالكتاب ، و إن القارى ليجد غيرها فيما بعد ، مثال ذلك مندم الملك هوج والد
بطرس لوسيجنان (انظر ٧٩ : ب ، ٨٠ : الف) ، و منام سيدي شطا (انظر
٩٦ : الف - ب) و عدة منامات أخرى في مواضع متفرقة (انظر ١٣ : الف ،
٣٤ : الف ، ٣٥ : الف ، ٣٦ : ب ، ١٢٢ : الف ، ٢١٠ : الف و ب) عن مختلف
الأحداث الواردة في النص - راجع في موضوع تعبير الرؤيا و حساب الأرقام
و رموزها :

J. de Somogyi: *The Interpretation of Dreams in Damiri's Hayat al-Hayawan*, JRAS, January 1949, pp. 1-20.

و في هذا البحث يوضح المؤلف أن الدميري اعتمد في ذلك على الكتاب

المعروف باسم "Oneirocritica" تأليف Artemidoros Daldianos.

بالإسكندرية قبل الواقعة بأيام قلائل، فرأيت في المنام أن رحبة الجامع الغربي صارت بحرا طافحا، وإذا بالسما قد مطرت جمرا يتوقد، فشرب الجمر ذلك البحر^١ بكماه و صار الجمر على حاله يتقد، ثم مطرت^٢ [٢٦: الف] السماء بعد ذلك ماء فأطفئ ذلك الجمر فصار فخما أسود^٣، قال: فمددت يدي إلى فحمة لأتناولها فانفلقت فلقنتين: الواحدة كبيرة و الأخرى صغيرة، فتناولت الصغيرة، فلو لا ألقيتها سريعا احترقت أصابعي من شدة حرارتها، قال: فاستيقظت من نومي فزعا بما رأيت؛ فجرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

و أخبرني^٥ الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد المؤدب قال: رأيت في المنام قبل وقعة الإسكندرية بأيام قلائل كأن سبابتى^٦ احترقتا بالنار،

(١) انظر هـ ١٠: الف في ذكر ما فعلت الإفرنج بالإسكندرية، و كان هذا الجامع يسمى أيضا الجامع الأخضر و هو جامع عمرو بن العاص أو جامع الألف عمود - راجع مجلة الجمعية الملكية للآثار بالإسكندرية :

Bulletin de la Socie'te' Royale d' Arche'ologie d' Alexandrie'

المجلد ٣٤ (سنة ١٩٤١) ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) في بن: الماء .

(٣) في بن: امطرت .

(٤) في الأصل: اسودا، و موضعه بياض في بن .

(٥) هذا القسم من « و أخبرني » الى « بالإسكندرية » ساقط من « بن » .

(٦) احتراق السبابتين له دلالة الخاصة في هذا المقام لأنها يستعملان في الصلاة

و عند النطق بالشهادة - راجع رسالة أبي زيد القيرواني طبع بولاق ١٣١٩ هـ

ص ٤٧ - ٤٨، و قد اشار لذلك بعض الرحالة و الكتاب الغريون القدامى =

فعبّر المذموم المذكور بأن الإسلام يحدث فيه حدثاً ، فحدث أمر القبرسي
بالإسكندرية .

و أخبرني الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد التاجر السفار قال :

= والمحدثون ومن بينهم :

SCHILTBERGER, *Bondage and Travels* ed. Hakluyt, pp. 74-75; Von
HAMMER-PURGSTALL, *Histoire de l'Empire Ottoman*, vol. XVI, p. 61;
Leontius MAKHAIRAS, *Chronicle of the Sweet Land of Cyprus*, ed.
Dawkins, II, p. 52, note 23; *Der Islam*, 1932, p. 29 and note 1.

(١) في الأصل : حدثاً - كذا .

(٢) يسبق هذا في « بن » وهو ساقط من « بر » [١١ : الف وب] ما يلي : قال
أبو سعيد نصر بن يعقوب الدينوري في كتاب التعبير له : رأى سيف بن ذي يزن
الحميري ملك اليمن في منامه كأن نارا هوت من السماء إلى أرض عامرة
وسقطت في كل دار من دورها جمره منها وانطفت فصارت لحمه ؛ وقصها على
معبري مملكته ، فقالوا : إن الحبشة تستولى على بلدك ، فكان كذلك . وسيأتي
خبر سيف بن ذي يزن مع الحبشة الذين ملكوا بلاده إن شاء الله تعالى .
قال أبو سعيد أيضاً : من رأى في منامه نارا نزلت من السماء فأحرقت كل شيء
أنت عليه في موضع ليس لها دخان أصاب أهلها ضرر وخوف من قبل سلطان
بقدر ما أحرقت ، وربما كانت مصيبة وضرراً فادحاً ، فإن أخذ جمرها من وسط
النار فإنه يصيب مالا حراماً من قبل السلطان ، فإن رأى مع النار ريحاً فإنه قتال
وحرب بالسيوف ، فإن أصابه حريق فإنه غم يناله في الشتاء والصيف ، فإن
وقعت في بيته فإنه مصيبة في أهله . رأى رجل في منامه كأن نارا أوقدت في
بلدته فقص رؤياه على معبر ، فقال : تقع فتنة وحرب بين الناس لقوله تعالى : كما
أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله : [قرآن كريم ه : ٤٥] معرض أن حرا ووق
في بلدته . سأل رجل ابن سيرين فقال : رأيت كأنني أصلي خلفي بالنار ، فوقع أحدها
في النار فاحترق (وفي بن : فأحترقت) وأصاب النار من الآخر سفعاً .

كنت بالإسكندرية فرأيت في المنام قبل الواقعة بخمسة عشر يوما
 كأنى في قصر عظيم على ساحل البحر الملح وجماعة كثيرة من الرجال
 والنساء خارج القصر وكأنهم أحسوا بعذاب ، فصارت النساء يلطمن
 خدودهن و يقان : واه واه ! قال : فقلت لهن : قولوا : يا رسول الله ! نحن في
 حسابك ، نحن في جيرتك . ثم قال : و رأيت طائفة من الفرج مسلسلين
 داخلين الإسكندرية و فيهم جنس لهم أذنان كأذنان القروذ ، قال :
 فانتبهت من نومي مذعورا بما رأيت ، فخرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

= فقال ابن سيرين : ان لك بأرض فارس ماشية قد غير عليها و ذهب نصفها
 و بقي من النصف الآخر شيء قليل فكان كذلك في أمثال العرب ، مضى فلان
 و ليس معه إلا خف حنين ، و حنين كان إسكافا من اهل الحيرة ساومه اعرابي
 بخفين فاختلفا حتى اغضبه ، فأراد حنين أن يغيظ الأعرابي فلما ارتحل الأعرابي
 على ناقته أخذ حنين الخفين فألقى فردة في طريق الأعرابي ثم مضى فألقى الفردة
 الثانية على طريقه ايضا ، فلما رأى الأعرابي فردة الخف الأولى قال : ما أشبه هذه
 بخف حنين ولو كان معه آخر لأخذه ، فرماه ، فلما مر بالفردة الأخرى ندم
 على ترك الأولى ، و قد كنى له حنين فلما نزل الأعرابي ابصر (و في بن : مصره
 كذا) الفردة الأخرى و ثب حنين على راحلته و ذهب بها و ليس معه غير فردة
 خف حنين . و من رأى في منامه شررا متناثرا عليه فانه يسمع كلاما قبيحا -
 انتهى . يتلوه ذلك : « نعود واخبرني الشيخ الصالح ابو عبد الله - الخ » و قد نقلنا
 الفقرة السابقة حرفيا من المجلد المنسوخ في الهند عن مخطوط « بن » و قد لا يكون
 لهذا النص علاقة مباشرة بالموضوع فاكتفينا بذكره في الحاشية .

(١) في « بر » [٢٦ : الف] : بعذا ، و في « بن » : بعذاب .

١٠٤ (٢٦) و أخبرني

و أخبرني علي بن راشد الحجازي المقيم بالإسكندرية و المدير برقع
التجار على الدواوين يكتبون عليها خطوطهم ، قال : رأيت في المنام قبل
الوقعة بنصف شهر نسوة طوال القامات ، عليهن الأزرا^٢ البيض ، فسألت
إحداهن عنهن ، فقالت : إنهن أولاد الأنبياء و الشهداء و الصالحين ، ضمن^٣
آباؤهن خارجين بهن من الإسكندرية ، فقلت : ما سبب ذلك ؟ قالت : ه
إن الإسكندرية مسخوط عليها ، قال : فضربت يدي الواحدة على الأخرى
و إذا أنا أسمع حس رجال و لا أراهم ! ثم إن النسوة اختفين عني
و كن بشارع قاعة رماة القرافة^٤ و مدرسة البليسي^٥ ، قال : فانتبهت من
نومي مرعوبا ، فخرى بعد ذلك وقعة الإسكندرية .

و أخبرني الشيخ الصالح ریحانی الحبشي و ذكر أن له سبع غزوات
في الفرنج ، قال : بينما أنا نائم بدمشق في شهر رمضان سنة ست و ستين

(١) هذا اصطلاح غريب و ربما كان المقصود أن عليا هذا كان القائم على
الوثائق (رقع) التجارية التي يوقع عليها التجار .

(٢) في الأصل وبن : اليزر .

(٣) في الأصل و بن : ضمنهن .

(٤) زيد في بن « تلك » .

(٥) « القرافة » اسم معروف و هو يدل على المقابر الواقعة في جنوب مدينة

القاهرة ، و لكن هذا الاسم أيضا ورد ذكره في الإسكندرية في « المراصد »

ج ٢ ص ٣٩٠ و « المشترك » ص ٣٤١ دون اشارة الى موضعها من المدينة

و النويري يحقق هذا المكان بدقة في العبارة الواردة بالنص ، فقرأوة

الإسكندرية على ذلك تقع بين سور المدينة و جزيرة المنارة - انظر أيضا ١٠٤ :

الف - ب ، ١٠٥ : الف ، ١٠٩ : ب .

(٦) هذا الاسم غير معروف ، و لعل المقصود مدرسة النابلسية التي ورد ذكرها

فيما بعد ١٠٩ : الف .

وسبعائة وإذا بقائل يقول: قم و امض إلى الإسكندرية لتصلي على أهلها، قال [٢٦: ب]: فانتبهت من نومي و أنا متعجب من ذلك فسافرت منها إلى القاهرة، فأقمت بها أياما و توجهت إلى الإسكندرية في أول المحرم سنة سبع و ستين و سبعائة، فلما علمت أن الفرنج ظفروا بالإسكندرية اختلطت بهم لمعرفتي بلغتهم بعد أن تزيت بزيتهم و توصلت إلى الملك القبرسي، فصرت مع جملة خدمه، فاخترت أحد مهاميز الذهب، فصار عندي إلى أن بعته بثلاثمائة درهم نقرة، ثم قال: و كانت الفرنج تستخدم رجال المسلمين في النهب يحملونه لهم و قالوا لهم: نعتقكم بعد ذلك، فلما فرغ النهب أخذوا سبعين رجلا منهم و ربطوهم بالسلاسل في صاري مركب كان ملقى بالجزيرة ١٠ و أطلقوا فيهم النار فاحترقوا و ماتوا شهداء - رحمة الله عليهم أجمعين .

ذكر ما قيل في الملحمة من قدوم الفرنج إلى الإسكندرية

و الشام بسبب الحرب

قال المؤلف غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين: وقفت على ملحمة الشيخ الفاضل جمال الدين يوسف الباجري،

(١) زيد في بن: لى .

(٢) زيد في بن: ففهموا عنى انى من نصارى الحبشة حيث ما ساء... لهم على المسلمين و اختلست .

(٣) من بن، و فى الأصل: مهاميزه .

(٤) فى الأصل و بن: درهما .

(٥) زيد فى بن: و القتال .

(٦) فى الأصل: بجربقى و بجر بقة - و صحته فى معجم ياقوت، و فى المراد =

وهذه النسبة لبلدة بالعراق يقال لها "باجربقة" فرأيت ذكر فيها الملوك
وكنى عنهم بالحروف وما يكون في المستقبل من وقائعهم فأشكنت على
الحروف فحذت بعضها وتركت الباقي، وسأذكر بعض آياتها فمنها قوله:
في شهر شعبان من عام ثلثه تراه يخلع ميم الملك في الزمن

= (ج ١ ص ١١٤) حيث ترد باجربق بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة
وقاف قرية بين النهرين كورة بين البقعاء ونصيبين .

(١) يشتمل النص هنا على ١٩ بيتاً من تلك الملحمة (انظر ٢٦ : الف ، ٢٧ : الف ،
٣٧ : الف - ب ، ٤٠ : الف ، ٥٧ : الف ، ٥٨ : ب ، ٦٨ : الف ، ٦٩ : الف) .
وهي إحدى الملاحم المعروفة بين الكتاب ، فابن خلدون مثلاً في « المقدمة »
(طبعة كاترمير Quatrem'ere ج ٢ ص ١٩٣ - ٢٠١ من النص و كذلك ج ٢
ص ٢٢٦ - ٢٢٧ من الترجمة يتعرض لموضوع التنبؤ و يقتبس عدة أبيات من
هذه الملحمة كما يذكر بعض المعلومات عن مؤلفها استخرجها من « تاريخ » ابن
كثير ، و يسجل فيها أنه مات في ليلة الأربعاء ١٦ ربيع الثاني سنة ٧٢٤ ، وقد
جاء هذا التاريخ أيضاً في « الدرر الكامنة » لابن حجر ج ٤ ص ١٢ - ١٤ كذلك
يؤرخ لحياته محمد بن شاكر الكتبي ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ (طبعة بولاق
١٢٩٩ هـ) أو ج ٢ ص ٢٧٩ (طبعة ١٢٨٣ هـ) تحت اسم : محمد بن عبد الرحمن
ابن عمر الباجربقي الجزري الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدين . و المقرئ
في « السلوك » ج ٢ ص ٢٥٨ يشير إلى الملحمة الباجربقية . و قد ورد في
« شذرات الذهب » ج ٦ ص ٦٤ ما يلي : « وفيها (ربيع سنة ٧٢٤) توفي
شمس الدين محمد بن الإمام جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجربقي الشافعي ،
قال الذهبي : الضال الذي حله القاضي المالبي بضرب عنقه مدة بعد احرق ثبوت
امور نظيمة وكلمات شنيعة فتغيب عن دمشق وأقام بمصر « لجمع الأرهرو وتردد
إليه جماعة وكان الشيخ صدر الدين يردد إليه ويهت في وجهه ويخاس بين

يعنى بميم الملك - والله أعلم - الملك المنصور بن الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون فإنه خلع من ملك مصر في شعبان ثالث سنة من توليته و ملك بعده الملك الأشرف شعبان بن

= يديه وكان يرى الناس بوارق شيطانية وكان له قوة تأثير وشهد عليه أيضا بما ابيح دمه و منهم مجد الدين التونسي فسافر إلى العراق ثم سعى اخوه بحماة حتى حكم الحنبلي بعصمة دمه فغضب المالكي و جدد الحكم بقتله و كان اولاً فقيها بالمدارس ثم حصل له كشف شيطاني فضل به جماعة و كان يتنقص بالأنبيا و يتفوه بعتا ثم قدم القابون مخفياً و سكن بها إلى ان مات في ربيع عن ستين سنة . و يتضح من كل ذلك ان الباجري كان معروفا بين اهل عصره بعلم الغيب و علم سر الحروف كما يظهر في ملاحمته عن الإسكندرية . و يذكر النويري آخر من اصحاب الملاحم اسمه ابن ابي جمعة في مخطوط القاهرة ١٢٣ : ب و ملاحمته في ٧٨ بيتا . و فيما يتعلق بالإسكندرية على وجه اخص يمكن الرجوع الى « كتاب محاضرة الأبرار » تأليف محي الدين ابن العربي ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٩ « فصل : ذكر خراب البلاد الذي يكون في آخر الزمان و قد درس المستشرق الألماني هرثمان هذا الفصل في البحث الآتي :

R. Hartmann, *Eine Islamische Apokalypse aus der Kreuzzeit*. Ein Beitrag zur Gafliteratur, 1924.

قارن في هذا الصدد أيضا النبوات العربية التي انتقلت الى الصليبيين في اثناء حصار دمياط سنة ١٢٤٩ م في المراجع اللاتينية الآتية :

Quinti Belli Scriptores Minores, ed. Rochricht, pp. 202-203.

(١) السلطان الملك المنصور محمد بن المظفر حاجي (٧٦٢ - ٧٦٤ هـ) - انظر ٢٢٦ : الف .

(٢) السلطان الملك الأشرف شعبان (٧٦٤ - ٧٧٨ هـ) - انظر ٢ : ب : ١٠٣ : الف ، ١٧٠ : الف ، ٢٣٦ : الف - الخ ، و يرد اسمه كثيرا في النص لا سيما في مخطوط القاهرة ١٢٩ : ب و ما يتلوها حيث يصف الكاتب زيارته الإسكندرية .

الحسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون - كما قال الباجريقي:
من 'بعد ما' خلعوا المنصور واحربا

وأجلسوا الشين في شعبان ذي الفطن

وقوله:

شين و شين و ياء الملك يعضده نعم و ميم أتاه لزا في قرن ه
و ينصب الشين ابن الحاء موضعه يكنى بعمّ أبيه فاتح الحصن
يعنى - والله أعلم - بالشين و الشين الملك الأشرف شعبان، و الياء يلبغا
الخاسكى^٢، و الميم منكلى بغا^١ الشمسى رأس الميمنة، و الشين بن الحاء - يعنى
به شعبان بن الحسين بن الملك الناصر محمد، فانه ولى ملك مصر بعد

[٢٧ - الف] الملك المنصور محمد المخلوع، و قوله:

١٠

(١ - ١) فى الأصل: بعدهم - و صحته فى « بن » بعد ما .

(٢) كذا .

(٣) يلبغا الخاسكى و هو من أشهر امراء المماليك، و ورد ذكره سابقا فى ٢ : ب،
و تردد اسمه كثيرا فيما بعد (راجع الفهرس) .

(٤) الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى نائب الشام فى بداية حكم الأشرف

شعبان سنة ٧٦٤ (راجع ابن اياس ج ١ ص ٢١٣) و تنقل فى حكم مدينتها حيث

عين أميرا على صفد و طرابلس و حلب و دمشق، ثم اصبح أتاك العساكر (ابن

اياس ج ١ ص ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٤٠، ٢٠٤، و النجوم

الزاهرة لابن تفرى بردى طبعة Popper ج ٦ ص ٧٩٨، ٨١٧، و خطط المقرئى

ج ٢ ص ٣٩٩) و قد كان الأمير سيف الدين من انسياء السلطان الأشرف

شعبان .

يكنى بعم أيه فاتح الحصن

يعنى به الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون وهو عم الحسين والد الملك الأشرف شعبان فاتح اعكا سنة تسع وثمانين ، وقيل سنة تسعين وستمائة . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب فتحه لها وكم أقام عليها بعساكره حتى فتحها - إن شاء الله تعالى .
و فتح أيضا صور و صيدا و بيروت و عدة قلاع بسواحل الشام ، و قتله الأمير بيدرا بأرض تروجة كما قال الباجريقي :

(١) السلطان صلاح الدين خليل (٦١٩ - ٦٩٣) - انظر ٢٢٤ الف الى ٢٢٥ : ب ، ٣٣٧ : الف .

(٢) هذه الناحية من البحيرة معروفة في كتب التاريخ لحدوث مقتل السلطان بها ، وعلى مقربة منها قبض العثمانيون فيما بعد سنة ١٧١٥/٩٢٢ على طومانباي ، كما تردد ذكرها في مناسبات اخرى ، منها أن الروم (البيزنطيين) زحفوا من الساحل حتى بلغوها في جمادى الثانية ١١٧ (Kindi, Governors, ed. Guest, p. 79)

وفي ربيع الأول سنة ٢٥٣ حدث قتال عند تروجة (النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٧٣) وكذلك في سنة ٢٩٢ - ٢٩٣ (نفس المرجع ص ١٥٨ - ١٥٩) و ذكر الكندي (ص ٢٨٨) ان المغاربة انهزموا عندها سنة ٣٢٤ . و إنه قبل فتح مصر يقف القائد جوهر الصقلي عندها (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٤٠٧) .
و في القتال الذي نشب بين ابن رزيق و شاور يظهر الأخير بقاءه في تروجة قبيل استيلائه على القاهرة في ٢ محرم سنة ٥٥٨ (ابن خلكان ، ترجمة دي سلان . ج ١ ص ٦٠٨) ، و في حملة امورى الثالثة على مصر سنة ١١٦٧ م يتعقب امورى جيش شركوه و صلاح الدين الأيوبي و يعسكر ما بين تروجة و دمنهور كما جاء في تاريخ غليوم الصورى :

(Toroge et Demenehur) (Guillaume de Tyr, ed. P. Paris, II, liv, XIX, ch. 27, p. 297.)

خاء و لام و الباء يقتله يرى مجدل بين السهل و الحزن
كان قتل الأمير بيدرا للملك الأشرف صلاح الدين خليل في
يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة ، و سيأتي فيما
يرد من هذا الكتاب خبر مقتل بيدرا بسبب قتله للملك الأشرف
إن شاء الله تعالى ، و قول الباجري :

و بعد هذا ستأتي الروم يقدمهم عالج عفيف بفلك البحر ممتكن
العالج من الفرنج^٢ هو الوغد الشديد البأس و جمعه علوج ، يعنى به
- و الله اعلم - رير بطرس صاحب قبرس فانه عمّر المراكب الحربية و قدم
بها إلى الإسكندرية حارب أهلها و ظفر بها ، كما قال الباجري :

= و في سنة ٦٦١ هـ بينما كان السلطان بيبرس في رحلة للصيد بالبحيرة يقف عند تروجة
و يأمر بحفر أبار للياه فيها (السلوك للقرنيزي ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٨ - ٥٠٠) ثم
يعود إليها من جديد سنة ٦٦٢ (نفس المرجع ص ٥٢٠) كما يمر بها السلطان
الناصر محمد سنة ٦٩٩ (زيرستين Zettersteen ص ٩٠ و كترمير Quatremere
ج ٢ ص ١٨١) و يقف عندها سنة ٧٠٣ كترمير ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥١ .
و يذكر أبو الفداء في الكلام عن حياته (ص ١٨٢) أنه مرتلك البدة في طريقه
من الإسكندرية إلى مصر ، و قد زارها و وصفها ابن بطوطة في رحلة
(ص ٤٨ و ٤٩) و خراجها و ارد في « التحفة السنية » (ص ١٢٤) - راجع
زيادة على ذلك ياقوت في طبعة وستنفلد (Wustenfled) ج ١ ص ٨٤٥ و حطاب
على باشا مبارك ج ١٠ ص ٢٢ و ما يتلوها .

(١) كذا .

(٢) زيد في بن « المذكور » .

(٣) في بن : الروم .

ووقعة ثم بالإسكندرية في وقت الصلاة فيا للدين من ومن
يا صيحة عمت الإسلام واحربا يوم العروبة في وقت الغروب كن
أتى صاحب قبرس' بأسطوله في يوم الخميس الحادى والعشرين من
المحرم سنة سبع وستين و سبعمائة فأرسى بيحرر السلسلة وهى المينا
الغربية^٥ بظاهر الإسكندرية؛ فلما كان يوم الجمعة ثانياه زحف الملعون إلى
الساحل ونزل البر بعسكره وقاتل أهل الإسكندرية و ظفر بها في اليوم
المذكور، و يوم الجمعة يقال له في لغة العرب: العروبة، قال الشاعر:
يوم العروبة لا تخفى فضائلها لأن ذلك بين الناس مشهور
و المراكب الحربية المجتمعه يقال لها: أسطول، و يقال لها أيضا

١٠ افروطة، قال الشاعر:

اسطول غربان و افروطة تهباً - للحرب ثم القتال

(١) زيد بن بن: الى الإسكندرية .

(٢) المينا الغربية أو بحر السلسلة - انظر أيضا ٩٥ : الف ، ١٠٢ : الف وبصفة

خاصة ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و مخطوط القاهرة ٢٧٦ : ب ، ٢٧٩ : الف .

(٣) زيد بن بن : غربان و .

(٤) من المعلوم أن كلمة « اسطول » مشتقة من الكلمة اليونانية 6τολος ، أما

« افروطة » فاشتقاقها من لغة الفرنجة "flotte" كما جاء في معجم السفن العربية

تأليف كندرمان ص ١ (Kindermann, Schiff in Arabischen) ولكن يجب إن

نضيف إلى ذلك ملاحظة هى ان استبدال الراء باللام والعكس بالعكس في نطق بعض

الألفاظ أمر جائر في لغة العامة وأمثلة ذلك كثيرة منها (مندلينه = Mandarina)

وفي كتابات بعض الرحالة الغربيين نجد Matalie مرادفة للطرية و Sansal بمعنى =

غربان

(٢٨)

١١٢

[٢٧: ب] غريان بين اندرت بالفراق يا ويلها كم اهلكت من رجال
 فلم يكن ظفر القبرسي بالإسكندرية بحوله وقوته ، بل بقضاء الله
 وقدرته ، لما سبق ذلك في علمه ، حتى أنفذه بحكمه ، وإلا القبرسي
 أضعف الملوك ، وأذلها وأقلها والصقلي الجبار الذي لا يكون القبرسي
 في رجله إلا كقلامة الأظفار ، أتى قبله إليها فنكست أهلها أعلامه بخيلها ه
 ورجلها ، وسيأتي ذكر^٢ فعلهم به^٤ إن شاء الله تعالى . و سأذكر أيضا ذلة
 القبرسي بين ملوك النصرانية و جبابرة الرومانية و ضعف مملكته و بلاده
 بين ممالكهم و مدنهم إن شاء الله تعالى .

اعلم أن صاحب قبرس ليس هو بين ملوك النصرانية إلا في
 الدرجة السفلى الحقيرة و ما هو بينهم إلا كراعى قردة في جزيرة . ١٠
 و ليس هو كقيصر طريان^٥ الذي أذل أجناسا كثيرة ، و عبر الفرات
 و غلب على كور العراق و الحيرة ، و ليس هو كملوك نصارى الأندلس
 = سمسار حيث نقلوها بالسباع - الخ ، انظر أيضا ٢٧ : ب . ، ٤ : الف ، ٩٥ : الف .

(٥) في بن : قدهياً (٦) في بن : للقتال .

(١) في بن : ملوك النصرانية .

(٢-٢) في بن : لم يكن .

(٣) في بن : صفة .

(٤) زيد في بن : فيما يرد من هذا الكتاب .

(٥) في الأصل و بن : وطريان - انظر أيضا ٢٤ ، ب - وهو الامبراطور الروماني

Trajan و الإشارة هنا إلى حملته على العراق سنة ١١٤ م .

الذارقة^١ الذين^٢ إذا ركب الملك منهم صارت^٣ الشواهد في الهواء^٤ تظله^٥ ،
و مع ذلك قهرهم^٦ المسلمون و فتحوا أرضهم و سكنوا معهم في جزيرة
الأندلس و صاروا^٧ يماربونهم و يقتلونهم و يأسرونهم^٨ ، و ملكوا مدنهم
و أموالهم و صارت نساؤهم إماء لهم ، كما سيأتي ذكر ذلك فيما يرد من
هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و ليس صاحب قبرس كهرقل ملك الشام و مصر قبل^٩ ظهور
الإسلام و بعد ظهوره^{١٠} ، و مع ذلك قهره^{١١} المسلمون و ملكوا منه
الشام بأجمعه و مهد الله لهم أرضه و هرب^{١٢} منهم^{١٣} إلى جزر البحر بعد

(١) «لذارقة» جمع «لذريق» أي «رذريق» أو Roderic بن ثيوفريد Theofred
آخر ملوك القوط في اسبانيا هزمه العرب بقيادة طارق بن زياد ٩٢ هـ / ٧١١ م -
لاحظ أيضا قلب الراء لاما مع الإشارة إلى حاشية سابقة - كذلك انظر ٢٧ :
الف ، ٩٥ : الف .

(٢) في الأصل : الذي ، و في بن : التي .

(٣) في بن : سارت .

(٤) في بن : الجو .

(٥) زيد في بن : بأجنحتها .

(٦) في الأصل و بن : قهرتهم .

(٧-٧) من بن ، و في الأصل : يماربونهم و يقتلونهم و يأسرونهم .

(٨-٨) من بن ، و في الأصل : و بعد ظهور الاسلام .

(٩) في الأصل و بن : قهرته .

(١٠) في بن : فر .

(١١) زيد في بن : هرقل .

أن أفنى^١ المسلمون جنوده، و نكسوا أعلامه و بنوده، و ليس صاحب قبرس كالمقوقس^٢ صاحب مصر^٣ و الإسكندرية و كان المقوقس وجهه هرقل أميراً على مصر و جعل له حربها و جباية خراجها، فكان ينزل الإسكندرية صيفا و مصر شتاء، و كان رجلاً عاقلاً مصدقاً بأن نبياً^٤ من العرب اسمه أحمد سيظهر لما صح عنده بما وقف عليه من الكتب القديمة^٥، فلذلك صالح المقوقس لعمر و بن العاص على مصر بسبب القبط، و لم ترض^٥ الروم^٦ بالإسكندرية توافق المقوقس على الصلح استضعافاً لرأيه في مصالحته العرب، فلذلك قتله ولده رسطوليس خفية^٧. و كان النبي

(١) في الأصل و بن: افنت .

(٢-٣) في بن: ملك القبط بمصر .

(٣) في بن: نبينا .

(٤) في بن: المتقدمة .

(٥) من بن: و في الأصل: لم ترضى - كذا .

(٦) زيد في بن: التي .

(٧) كذا في « بر » و في « بن »: [١١٣ الف] زيدت الفقرة الآتية في هذا

الموضع: « و جرى لسطوليس بعد ذلك مع المسلمين أمور عجيبة، سيأتي ذكرها

إن شاء الله تعالى. و قيل أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما قدموا إلى مصر

يريدوا (كذا) فتحها جمع المقوقس أرباب دولته و قال: ما ترون في أمر عدونا

العرب؟ قالوا: نرى أن تجمع لهم من كل جانب و مكان، لا تعطوهم الاين و يطعموهم

في ملكك كما طعموا في الشام و غيره، فلما انتهى كلامهم قال لهم: يا أهل دين

النصرانية و بنى ماء المعمودية ليس الملك بالكثرة و الغلبة بل بالسياسة و التدبير،

فمن ملك عقله ملك امره، و من ملك امره امن من حوادث الدهر. والله والله

صلى الله عليه وسلم في زمن حياته كتب كتابا وأرسله إلى كسرى ملك فارس، فلما وقف على الكتاب ورأى ما فيه [٢٨ : الف] من الإذعان والانقياد إلى الإسلام وتركه عبادة النيران غضب ومزق الكتاب، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تمزيقه لكتابه دعا عليه بتمزيق ملكه، ه فكان تمزيق ملك فارس على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وفي تلك السنة فتحت دمشق وكورها إلى حمص، ولما أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبها بعود ويقول: والله! إن

= لقد كان هرقل أكثر مني جندا وأوسع مني بلادا فما قدر أن يردّ القدر، وتعلموا (كذا) أن محمدا بعث في أيامه فدعاه إلى دينه فاستدل على صدقه بما ظهر من معجزاته، وأول من عاداه قومه بمكة فأخرجوه من بين أظهرهم، فأظهره الله عليهم، فلما سمعت القبط كلامه أطرقوا رؤسهم وقالوا: الأمر ما أشار به الملك. فكان خلاصة ذلك بعد أمور يطول شرحها أن صالح العرب على مصر فاذلك قتله ولده رسطوليس خفية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم - الخ - .

(١) زيد بعد «حمص» في «بن» [١٣ : الف ، ب] ما يلي: « وقال الإمام نجر الدين في كتاب الأربعين في أصول الدين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب إلى كسرى ملك العجم كتابا مزق الملك كتابه وبعث إليه حفنة من تراب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم! مزق ملكه، ثم قال للصحابة: إنه بعث إلينا من تراب بلدته وهذا يدل على أننا نملك بلاده؛ ثم كان الأمر كما قال صلى الله عليه وسلم. قال أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة! ما اعتمدت في خبر فتوح الشام وأرض الأكرسة إلا الصدق لأثبت فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرغم بذلك أهل الغرض =

الذي أدى هذا لأمين . فقال ' رجل : يا أمير المؤمنين إن ' أمين الله يؤدّن^٢ إليك ما أدبت إلى الله فاذا رتعت رتعوا ، قال : صدقت .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيصر عظمه و بجله ، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه و تبجيله لكتابه قال : ثبت الله ملكه ! فكان كما قال .

فان قيل ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . وقد وجد قياصرة كثيرة و أملاكهم باقية ، و وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فارس و الشام ، فأغزى أبو بكر رضي الله عنه من أغزى حتى فتح الله لعمر الشام كله ؛ قيل معنى قوله : فلا قيصر بعده - يعني بأرض الشام كله ، كما هلك قيصر المخبر بهلاكه و انقطع ذكره . . ١٠

= و الخارجين عن الإسلام إذ أولاهم بمشيئة الله عز وجل لم تكن بلاد مسلمين ولا انتشر علم الدين ، فله درهم أنهم جاهدوا و صبروا و ثبتوا للقاء العدو و بذلوا جهدهم و ما قصروا حتى زحزحوا جند الشر و الطفيان و تهباً (كد) لمسيرة و أذلوا كسرى و قيصر و الجندى بن كركر حتى علا الإسلام و ظهر . لا جرم أن الله تعالى قال : فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر [قرآن كريم ٢٣ : ٢٣] و لما أنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - الخ .

(١) في « بن » كالآتي : « قال رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله تؤدّن إليك ما أدبت إلى الله الذي أدى هذا لأمين » .

(٢) في بن : انت .

(٣) في بن : يودون .

(٤) زيد في بن « كتابه » .

ولما بعث النبي كتابه إلى المقوقس^١ صاحب مصر تلقى كتابه بالقبول
 وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية سنية ، و كان في أول الكتاب الذي
 كتبه النبي صلى الله عليه وسلم : ” بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله
 إلى صاحب مصر ، أما بعد ، فإن الله تعالى أرسلني رسولا ، وأنزل عليّ
 قرآنا مبينا ، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يقولوا :
 لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقد دعوتك إلى ملتي والإقرار برسالتي ،
 فإن أنت فعلت سعدت ، وإن أبيت شقيت “ فلما قرأه المقوقس كتب
 كتابا أوله : ” باسمك اللهم ، من المقوقس إلى محمد ، أما بعد ، بلغني كتابك
 وفهمته ، وأنت تقول : إن الله أرسلك رسولا ، وفضلك تفضيلا ،
 ١٠ و أنزل عليك قرآنا مبينا ؛ فكشفنا يا محمد عن خبرك فوجدناك أقرب
 داع إلى الحق ، ولو لا أني ملكت ملكا عظيما لكنت أول من آمن بك ،
 لعلمي أنك خاتم النبيين ، وإمام المرسلين والسلام عليك ورحمة الله
 وبركاته إلى يوم الدين “ و أرسل إليه هديته ، وذلك فرسا^٢ [٢٨ : ب]
 من خيول مصر الموصوفة مسرجا ملجها وهو فرسه المأبون^٣ و حمار يقال

(١) بشأن المراسلات المتبادلة بين النبي صلى الله عليه وسلم وملك الفرس وهرقل
 ملك الروم و المقوقس صاحب مصر - راجع :

Hamidullah, Documents sur la Diplomatie Musulmane, Paris 1935, pp. 40 et s.

و للكتاب ترجمة عربية طبعت بالقاهرة سنة ١٩٤١ (انظر ص ٢٩ و ما يتلوها)

و موضوع هذه الرسائل وارد في كل الكتب التاريخية العربية .

(٢) كذا .

(٣) في بن : المأبور .

له يعفوراً و بغلة يقال لها الدلدل و جارية سوداء اسمها بريزة و جارية بيضاء من أجمل بنات القبط يقال لها مارية معها أختها، فتسرى النبي صلى الله عليه وسلم بمارية فأولدها إبراهيم، و أهدى أختها لحسان بن ثابت الأنصاري فأولدها حسان عبد الرحمن، و عاش حسان بن ثابت هذا مائة و عشرين سنة منها ستين سنة في الجاهلية و ستين سنة في الإسلام، و عاش ٥ أبوه و جده كل واحد منهما مائة و عشرين سنة، و مات حسان سنة خمسين من الهجرة - انتهى .

نعود - و كان في الهدية التي أهداها المقوقس للنبي عليه السلام عسل^٢ فأعجبه فسأل عنه فقال: من أين هذا العسل؟ فقيل له: من قرية يقال لها: بنها، فقال: اللهم بارك في بنها و في عسلها! فعسلها إلى يومنا هذا ١٠ خير عسل أهل مصر، و صارت تعرف بينها العسل، و هي بالشرقية من أعمال بلبيس .

و كان من جملة الهدية أيضا غلاماً - اسمه مأبور و كان محبوباً - و طيباً و عوداً رنداً و أفابيه (!!) و مسكاً و عمامة و قباضى .

- (١) كذا في « بر » و في « بن » [١٤ : الف] : يعفور؛ و قد يكون « تغير » .
 (٢) كذا .
 (٣) في الأصل و بن : عسلا - كذا .
 (٤-٤) مقط من بن، و في الأصل : مأبوراء - مكان : مأبور .
 (٥) في « بن » [١٤ : الف] : محبوب .
 (٦) كذا، و في الأصل : وندا .
 (٧) القباطى هي الثياب المنسوجة في طرس مصر، و قد جاء في الواقدي (ح ١٠) :
 عمام و قباطى .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ كتبه بيسم الله الرحمن الرحيم .

(١) سقط من « بر » وورد قبل هذه الفقرة في « بن » [١٤ الف ، ب] ما يلي : « وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا للقبط في دنياهم فقد عرفوا الصواب ، و اوضحوا الخطاب ، وللقبطين أخبار عجيبة من احداث البنيان و اتخاذ المدن ، و انقادوا الى العدل و أحبوه و الى حسن الأحدوثة و الذكر الجميل بالثناء الحسن . وكانت الملوك الذين ملكوا البلاد و اطاعتهم الأمم و حكموا على الطوائف يخافون ملوك مصر و يهادونهم هيبة و مخافة منهم . و لقد بلغ من عدل الملوك القبطيين بمصر أن أحد ملوك النوبة عدى على ملك من ملوك النوبة أسره و سجنه و نهب ماله فأرسل النوبي المسجون إلى سريان ملك مصر كي ينصره و يأخذ له بحقه ممن ظلمه فمضى ملك القبط مع وزيره و كان وزيره عالما عاقلا حسن الرأي جيد الحدس فدخل مدينة النوبة متنكرا فكتب الى ملك النوبة أن بياك إنسانا مظلوما قد عدى عليه و خصمه معه فقال ملك النوبة : أدخلوه هو (كذا) و غريمه ، فدخل ملك مصر و وزيره ، فلما وقع عين ملك النوبة عليه هابه و قال : لك الخير ! من ظلمك ؟ فأشار ملك مصر الى وزيره الذى أتى معه و قال : أيها الملك ! هذا ظلمنى و عدى على و أخرجنى من بلدى و جعل مالى نهبا فما زلت اطلبه فى البلاد إلى أن بلغنى أنه و افى مدينتك هذه فاتبعته لما علمت من حسن عدلك و حبك فى الحق و أهله ، فقال الملك النوبى لغريم الملك سريان و هو لا يعرفهما : انصف من نفسك و ارجع الى الحق و إلا نكلت بك ، فقال له الوزير : لا أنصف من نفسى حتى تنصف أنت من نفسك أيها الملك و تعطى الحق و تأمر به ، فقال له : ويك ! و من ظلمت حتى تخاطبني بهذه المخاطبة ؟ لو لا جلالة الذى معك لنكلت بك و عاقبتك بالمعاقبة التى يعاقب بها أمثالك ، فقال الوزير : لا تعجل أيها الملك فانك قد ذهبت الى ملك النوبة فزعت عنه ملكه و استبحت اهله و أورثته الذل =

و قد روى أنه كان يكتب أولاً: "باسمك اللهم" حتى نزل قوله تعالى "بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسُهَا" فكان يكتب: "بسم الله" حتى نزل

و أودعته السجن وجعات ماله نهياً واشتمت به اعداءه و لا حكم لملك يجور على ملك مثله . فقال له ملك النوبة : ما كلفتك انت في هذا ونحن الملوك نعز من اردنا عزه و نذل من تكبر علينا . فقال له الوزير : لا أنصف من نفسى لغريمى هذا او تنصف أنت من نفسك و ترد من ظلمت ابلده و ملكه . فقال لقهارمته : دونكم لهذا المخالف الطاعة المارق من الحق الذى اقر على نفسه لغريمه و لم ينصف منها و تعرض لأحكام الملوك . . . على ججوده الضرب المبرح و نكلوا به التنكيل الذى ينكل به من كان مثله . فقال سريان القبطى ملك مصر ما احوج العقوبة ان تحمل بك و احراك بالتنكيل المؤلم و العقاب الشديد لأنك . . . حق الواجب علينا مع المظالم و نصر المظلوم ، أتعلم من انا ؟ انا سريان الملك اتيت بوزيرى هذا لأنظر بنفسى ما عندك من العدل و الحلم فأمرت بنكاله دون بينة شهدت عليه و ذكر (سوء) اعمالك و قبيح افعالك فلم تعبأ به و ليس يكون مثلك ملكاً يحكم فى العامة و يدخل تحت حكمه الخاصة لأن لك بطش الجهة و وحدة الاعمار و غضب لعامة . فلما سمع ذلك ملك النوبة سجد بين يديه و قال له : حكك ايها الملك فانى عائد بك منك . فقال له : منذ كم سجن هذا الملك المظلوم ؟ قال : منذ مدة مديدة . فأمر سريان ملك مصر الملك الظالم ان يسجن فى بلاد المظلوم . فاذا تم الأجل و انقضت المدة صرفه الى ملكه و رده الى حالته بعد ذل و هو ان يرتجل راجلاً الى مدينة المستجير به ؛ فكان الحاكم فى ايام الملك سريان أن لا يمدى احد على احد فكانت ملوك مصر القبطيين (ليس عندهم) طام و ان يعدلوا فى رعيتهم - انتهى .

نعود ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم - الخ "

(١) قرآن كريم ٤١ : ١١ .

قوله " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ " فكان يكتب: "بسم الله الرحمن"
 حتى نزل قوله تعالى " إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " .
 و الأصل فيها قوله صلى الله عليه وسلم : من قال "بسم الله الرحمن الرحيم"
 دخل الجنة . و قال ابن مسعود : من أراد أن يقية الله من التسعة عشر
 ٥ زبانية فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فان فيها تسعة عشر حرفاً ، كل
 حرف يقية من زبانية . و قال الثعلبي : لما نزل قوله "بسم الله الرحمن الرحيم"
 ذهب الغيم من المشرق [إلى المغرب - ٣] و سكنت الرياح و هاجت البحار
 و صغت البهائم بأذانها و رجمت الشياطين من السماء ، فقسم رب العزة
 ألا يذكر اسمى هذا على شيء إلا بورك فيه و لا [على - ٢] عليل إلا شفى .
 ١٠ و قال صلى الله عليه وسلم : كان الله و لا شيء قبله ، و خلق النور فخلق منه اللوح
 و القلم ، فأمر القلم أن يكتب ، فقال : و ما أكتب ؟ قال : اكتب "بسم الله
 الرحمن الرحيم" فكتبها ، فجعلها الله أماناً لخلقها [٢٩ : الف] فجري القلم بما هو
 كائن ، و أنزلت على آدم ، فقال آدم : الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار
 ما داموا يقرؤن "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم رفعت و أنزلت على إبراهيم
 ١٥ فقرأها فنجاه الله من النار و كانت عليه برداً و سلاماً كما قال الله تعالى .

(١) قرآن كريم ١٧ : ١١٠ .

(٢) قرآن كريم ٢٧ : ٣٠ .

(٣) زيد من بن .

(٤) في الأصل : بجري .

(٥) زيد في بن : النار .

ثم رفعت و أنزلت على سليمان فقالت الملائكة: الآن تم ملك ابن داود فأمره الله تعالى أن ينادى في الأسباط وهم بنو يعقوب و يقرأ عليهم كلمة الإيمان التي هي البسملة، فجمعهم و قرأها عليهم، ثم رفعت و أنزلت على عيسى، ثم رفعت و أنزلت على النبي صلى الله عليه و سلم .

و روى أن عيسى عليه السلام مرّ بقبر و فيه دخان و عليه ملائكة العذاب فلما كان بالغد مرّ عليه فرأى عليه ملائكة الرحمة و بأيديهم مناديل من نور فصلى ركعتين و دعا الله تعالى فقال: يا رب! ما هذا؟ يعذب أمس و اليوم يرحم! فأوحى الله إليه: يا عيسى! كان الرجل كثير المعاصي فترك ولدا في بطن أمه فالיום أدخلته المكتب فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فاستحييت أن أعذب أباه في بطن الأرض و ولده يذكر اسمي على ١٠ وجه الأرض .

و روى عن بعض العارفين و قيل له: بما ذا ترى ظهر اسم الإمام الشافعي و غلب ذكره؟ فقال: إن ذلك باظهاره اسم الله في المسألة .

و أما قول جبريل عليه السلام لما أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم في غار حراء و قال "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ" ٢ " على أنها أول ما أنزلت من ١٥ هذا القرآن، قال أبو الحسن القصار: هذا رد على الشافعي في قوله: "بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة" و هذا أول سورة نزلت عليه

(١) زيد بن سليمان .

(٢) وفي بن: البسملة... وفي أول كل سورة في الصلاة .

(٣) قرآن كريم ١٦ : ١ .

لم يذكر فيها بسم الله الرحمن الرحيم .

واعلم أنه ما من شيء يخرج من العدم إلى الوجود إلا ببركات

اسم الله تعالى حركة كانت أو سكونية نظرة كانت أو خطرة في السواء

والأرض فعلا كان أو ذاتا فالغيب مغلقا على الأشياء، حتى يفتح بابه

بقدرة الله تعالى وعظم تدبيره كما قال تعالى " وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ "

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ " فأعلمك ' تعالى أن ' مفاتيح الغيب هذه ' يفتح بها

أبواب غيبه فيخرج ما يشاء من العدم إلى الوجود وقد سمي نفسه

الفتاح العليم . وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي في حزب البحر له :

باسم الله بابنا ، أي باسم الله تعالى نستفتح كل شيء من حرركاتنا

١٠ و سكناتنا و أفعالنا و إرادتنا و ما يفتح علينا .

(١) قرآن كريم ٦ : ٥٩ .

(٢-٢) في بن : بذلك الى .

(٣) في بن : عنده .

(٤) زيد في بن : من امر ظاهر و باطن يكون ذلك مقرونا باسم الله تعالى وعلى

السنة العوام يقولون : افتح اللهم لي باب هذا الأمر ، و افتح لي باب خير و باب

علم و باب سفر ، ولا يريدون الباب المشهور . . . وجاء في الحديث أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل المسجد : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ،

و إذا خرج قال : اللهم افتح لي أبواب فضلك ، وقد قال تعالى « بسم الله مجربها

و مرسها » أي بسم الله تجرى و ترسى ، و اعلم ان كل آية . . . عن تضمنين

لم يذكر باسم أو صفة فمن ذلك بسم الله الرحمن الرحيم قد تضمن التعليم لاستفتاح

الأمور على جهة التبرك به و التعليم لله عز و جل بذكره و انه ادب من آداب =

[٢٩ : ب] نعود إلى ذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالقبط - روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله عز وجل يستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم ذمة ورحما - أما الرحم فهاجر أم إسماعيل بن إبراهيم من القبط من قرية نحو الفرما^٢، يقال لها: أم العرب، وأما الذمة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من القبط مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين كما ذكر عز وجل في كتابه "وأزواجه أمهتهن"^٥، والقبط أخوالهم من قبل مارية، فصارت العرب كلهم من مصر بأهمهم هاجر لأنها أم إسماعيل وإسماعيل فهو أبو العرب،^٧ وكان مولد إسماعيل لست وثمانين سنة من عمر إبراهيم الخليل عليهما السلام، واختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن تسع وتسعين سنة، وكانت هاجر جارية سمراء شعلاء كحلاء مفلجة الشايبا عربية اللسان،

= الدين وشعار المسلمين وأنه اقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي في اجر نعمه وأنه كلقب الخائف ومعتد المستجيب.

- (١) في الهامش: وصية النبي بالقبط.
- (٢-٢) في بن: وكانت.
- (٣) الفرما انظر أيضا: ٩: ب، ١٢٣: ب، ٢١٠: ب، ٢١٦: الف فيما بين الف.
- (٤) في بن: قال.
- (٥) قرآن كريم ٣٣: ٦.
- (٦) في الهامش: هاجر أم العرب.
- (٧) زيد في بن: قال المؤرخون.

قال وهب بن منبه: و إبراهيم أول من أضاف الضيف، و أول من ثرد الثريد و أطعمه المساكين، و هو أول من قص شاربه و استحد و اختن و قلم أظفاره و استاك و فرق شعره و تمضمض و استنثر و استنجى بالماء، و هو أول من شاب و هو ابن مائة و خمسين سنة، و ذلك لأن سارة زوجته لما ولدت إسحاق قال الكنعانيون: ألا تعجبون لهذا الشيخ و العجوز و جدا غلاما لقيطا فتنبياه، فصور الله إسحاق على صورة إبراهيم فلم يكن يفصل بينهما، فوسم الله إبراهيم بالشيب، فعلم الكنعانيون أنه ولده بالشبه و إبراهيم والده بالشيب.

و اختلف في الذبيح^١ من هو، فقال ابن عباس: الذبيح إسماعيل لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال: أنا ابن الذبيحين، و قال ابن عمر: هو إسحاق. قيل: إن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أرسل [٣٠: الف] إلى رجل كان عنده بالشام يهودى أسلم فحسن إسلامه و كان عند عمر من علمائهم فسأله عن الذبيح: هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ فقال له: إسماعيل بلا شك و الله يا أمير المؤمنين! إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يكتمونونه و يحسدونكم ١٥ عليه معاشر العرب أن يكون أبوكم إسماعيل هو الذى كان من أمر الله فيه ما كان و صاحب الفضل الذى ذكر الله منه لصبره لما أمر به، فهم يحقدونه ذلك و يزعمون أنه إسحاق لأنه أبوهم، و قد كان كلا منهم مطيعا طيبا، "وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ"^٢ فجعلها له آية و فينا سنة، و عجبنا لليهود تآعى

(١) في الأصل و بن: فعلت.

(٢) في الهامش: الذبيح.

(٣) قرآن كريم ٣٧: ١٠٧.

في ذلك لإسحاق ذلك و لو كان كذلك لذبحوا أولادهم فكيف مواشيهم !
و إنما هي للعرب الذين امثلوا^١ - انتهى .

نعود - و صاهر إلى القبط من الأنبياء عليهم السلام يوسف بن يعقوب ، زوج زليخا ابنة صاحب عين شمس التي ذكرها الله عزّ و جلّ في القرآن فقال " وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ " قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ " هـ
و كانت زليخا من أجمل نساء أهل زمانها مع ما تزينت به من زينة الملوك و يوسف عليه السلام في عنفوان شبابه ، فامتنع منها حراماً فوجه الله بها حلالاً ؛ و العنفوان بداية الشباب - انتهى .

نعود إلى ذكر ذلة صاحب قبرس بين ملوك النصرانية و وضاعة^٢ قدره بين أقدارهم العلية ، فليس هو كرسطوليس بن المقوقس الجبار و جنوده ١٠ الفجرة الكفار ، و مع ذلك قهرهم^٣ المسلمون و ملكوا منهم^٤ مصر و أعمالها و الإسكندرية و بلادها ، و هرب منهم رسطوليس المذكور في المراكب و من تبعه إلى جزر البحر ، و ذلك بعد قتله لأبيه المقوقس خفية لمصلحة أبيه للمسلمين^٥ ، و جرى له بعد قتله لأبيه أمور يطول شرحها تركتها خشية الإطالة ، و الدليل على مصلحة المقوقس للمسلمين^٦ أن عمرو بن العاص ١٥

(١) في بن : امثلوها .

(٢) قرآن كريم ١٢ : ٢٣ .

(٣) في بن : وضع .

(٤) في الأصل و بن : قهرتهم .

(٥) في بن : منه .

(٦) زيد في بن : على مصر .

رضى الله عنه بينما هو سائر في سفح الجبل المقطم^١ ومعه المقوقس فقال له عمرو: ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام؟ ولو شققنا في سفحه نهرا من النيل و غرسناه أثلا! فقال له المقوقس: وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال أشجارا ونبثا^٢ و فاكهة وكان هو منزل المقطم بن مضر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كان الليلة التي كلم الله فيها موسى أوحى الله إلى الجبال إني مكلم نبيا من أنبيائي على جبل منكن^٣، فسمت الجبال و تشاخخت إلا [٣٠ : ب] جبل بيت المقدس فانه تضاهل^٤، و هبط، فأوحى الله تعالى: لِمَ فعلت ذلك - و هو به أعلم؟ فقال: إعظاما و إجلالا لك يا رب، فأمر الله الجبال أن يجوه كل جبل مما عليه من النبات^٥ و جاد له المقطم بكل ما عليه من النبات حتى بقي كما ترى؛ فأوحى الله إليه: إني معوضك على فعلك بشجرة الجنة أو غراس^٦ الجنة، فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب إليه عمر: إني لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين فاجعله لهم مقبرة، ففعل، فغضب المقوقس من ذلك و قال لعمر: ما هكذا صالحتى، فقطع له عمرو قطيعا، فدفن فيه النصارى. و روى أسد بن موسى قال: شهدت

(١) انظر فيما بعد ١٨٩ : الف - ب «فصل في المقطم» .

(٢) في بن : نباتا .

(٣) في بن ١٦ : الف «تضاحك» .

(٤) في بن : النبات .

(٥) في بن : بشجرة .

(٦) زيد في بن : من .

جنازة مع ابن طيبة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل فقال: إن عيسى [بن -] مرَّ مرَّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد شد وسطه بشريطاً و أمه إلى جانبه فالتفت إليها فقال: يا أمه! هذه مقبرة أمة محمد عليه السلام - انتهى .

نعود - و إن رسطوليس بن المقوقس لما قتل والده بسبب صلحه هـ للمسلمين توجه إلى الإسكندرية فخرى له بها أموراً خلاصتها هروبه خوفاً من المسلمين إلى جزر البحر، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب سبب هروبه منهم إن شاء الله تعالى، فالتفت ملوك النصارى و بطارقتهم و جنودهم من الشام و مصر و الإسكندرية و الصعيد و البحيرة إلى الجزر، و أقام من أقام من النصارى تحت الذمة و الجزية يعطون الجزية عن يدهم ١٠ صاغرون. و سأذكر ما قيل في الصعيد و البحيرة إن شاء الله تعالى.

(١) زيد من بن .

(٢) في بن : بشرطة .

(٣) زيد في بن : يطول شرحها .

(٤) زيد هنا في « بن » [١٦ ، انف - ب] و هو ساقط من « بر » ما بين : قال القاضي عبد الوهاب : و تؤخذ الجزية من الكفار البالغين الأحرار كانوا أهل ذمة أم لا لقوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر إلى آخر الآية [قرآن كريم ٩ : ٢٩] ، فأوحى أخذها ممن يقاتل و ذلك في البالغين الأحرار و لا تؤخذ من النساء . قال ابن عمر و لا من الصبيان ، و لأن كل من جاز لنا قتالهم فلنا أخذ الجزية منهم إذا قدرنا إلا إقرار قريش فانهم يقاتلون حيث وجدوا و لا جزية عليهم . و اختلف لم ذلك ، قيل لما كانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم و قيل لأنهم أسلموا يوم فتح مكة ثم ارتدوا بعد ذلك فأبينا

سمى الصعيد صعيدا لأنه أعلى وادي مصر ، وقيل : الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب أو لم يكن ، قال الشاعر ١ :

فأصبح نُورُ نَورِ النَّبْتِ زَاهُ ٢
يَدْبُجُ رَقْمَهُ وَجْهَ الصَّعِيدِ

وقيل : سمي الصعيد لأنه نهاية ما يصعد إليه ٣ من باطن الأرض ولا خلاف

٥ بين أهل اللغة أنه وجه الأرض . و أصل التيمم القصد يقال : تيممت -

أى قصدت له . قال الله تعالى : فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ٤ " أى اقصدوا الصعيد

الطيب . ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه

= وجدوا قتلوا ولا جزية على مرتد . وقال الشافعي : لا جزية الا على اهل الكتاب

خاصة ، و احتجاجنا بقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر »

(انظر عليه) . و دليلنا قوله عليه السلام : سنوا بهم سنة اهل الكتاب ، واخذها

عليه السلام من مجوس هجر ، و أخذها عثمان [رضى الله عنه] من البربر . قال

ابن العربي : الجزية فعلة من جزاء . قال الشافعي : يتعين عليهم الجزاء كأنها تجزى

عليهم فيما ازمهم من كراء القرار اذا نزلوا بدار الإسلام يتعين عليهم الكراء ،

و الصحيح فيها أنه بدل عن القتل . قال الله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله

ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين اتوا الكتب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صغرون (انظر عليه) .

و إذ قد تقدم ذكر الصعيد و البحيرة فلنذكر ما قيل فيها ، و قيل الصعيد وجه

الأرض - الخ .

(١) في الهامش : الصعيد .

(٢) كذا .

(٣) في بن : اليها .

(٤) قرآن كريم ٤ : ٤٣ .

واليدن بالتراب . و التيمم بالتراب عند مالك على غير وجه الأرض جائز مثل أن يرفع إلى المريض ' طبق أو إلى الراكب على المحمل أو يكون مريضاً يتيمم جداراً إلى جانبه [٣١ : الف] وإن كان من طوب بناء .
و قال أبو حنيفة و الشافعي : لا يجزئ إلا التراب .

و كان صعيد مصر في قديم الزمان مجمع السحرة ، قيل إنه ه اجتاز مركباً يلد من بلاده على ضفة النيل صاعداً و ساحرا من سحرة (١) زيد في بن : في .

(٢) زيد هنا على النص في « بن » [١٦ . ب] ما يلي : قال بعضهم فان قيل : لأي شيء امر بالتراب عند عدم الماء ؟ فنقول : لأن ابن آدم خلق من ماء و تراب فكانت عبادته تردد بين الماء و التراب إذا عدم أحدهما وجد الآخر . و قال الزجاج : الصعيد وجه الأرض كان عليه تراب أولاً . و قال الشافعي : الصعيد التراب ، و مالك يجوز التيمم بالتراب و ما كان من نوعه كالرمل و الحجارة و السبخة لأن ما حال بينك و بين الأرض فهو منها إذا كان غير [التراب] .
و الشافعي لا يجزئ التيمم على الحجارة . و أجاز ابن القصار التيمم على الخشيش . و أجاز في مختصر الوفاة التيمم على الخشب . و لم يجز مالك التيمم على الرخام و هو مثل الزمرد و الياقوت ، و كذلك الشب و الزجاج و الملح و الكبريت و شبهها لأن الملح طعام و هذه عقاقير . و في المدونة إذا تيمم بالطين و الحصى و هو واحد التراب أعاد في الوقت . و ظهر المدونة لا إعادة . و عند مالك التيمم بالتراب إذا وضع في طبق للمريض أو محمل للراكب حار ذلك و كذلك التيمم بجدار فيه طوب - انتهى . و كان صعيد مصر - الخ .

(٣) في الهامش : نكتة .

(٤) في بن : مركب .

ذلك البلد يتطلع من طاق غرفة له تشرف على النيل فقال لأصحاب
 المركب: أعطوني من الدراهم كذا وكذا درهماً وإلا منعت مركبكم من
 السير، فامتنعوا من العطاء، فسحر الذي بالطاق المركب فوقفت عن السير،
 وكان في المركب ساحر فسحر الذي بالطاق فثبت له قرنان في رأسه
 ٥ وأطلق المركب بقوة سحره وعلبه الزائد على سحر صاحب الطاق، فأراد
 الساحر الذي بالطاق إدخال رأسه منها فمئنته قرونه من ذلك، فأمر بهدم
 ناحية الطاق ليتخلص فحين هدمت تلك الناحية طال قرنه الذي عليها،
 فهدموا الناحية الأخرى، فطال القرن الثاني فهدموا ما فوق القرنين، فطالت
 القرون إلى أن هدموا الحائط بكامله، فطالت القرون بطول حائط الغرفة
 ١٠ و صار بتلك القرون الطوال في أسوأ حال لا يقدر بأوى بيتا من طولهما
 و صار مقبلاً بظاهر البلد مضحكة لكل أحد، فقبل له: أنت ساحر و الذي
 سحرك ساحر فاسحر هذه القرون علتزول^٢ عنك و تستريح منها، فقال:
 هيهات! ليس كل ساحر على منوال الآخر يجرى بل سحره غلب على سحرى
 من حيث لا أعلم سحره ولا به أدرى و لو لقيته لصرت تليذا بين يديه
 ١٥ لأشتغل بتعلم السحر عليه. فلم يزل بتلك القرون في ذلة و هون إلى أن
 رجع الساحر من قصده فراه على تلك الحالة المضحكة حائراً في أمره فأخذ
 منه مالا حتى صرفها عنه بسحره، فقال له: أريد أن أكون لك تليذا
 أيها العالم! فقال: لو أقمت مائة سنة لى ملازماً يا أيها الجاهل المجنون

(١) فى الأصل و بن : درهم - كذا .

(٢) من بن ، وفى الأصل قرنين - كذا .

(٣) من بن . وفى الأصل : نزول .

(٤) فى الأصل ، ملازم - كذا ، وفى بن فلازمنى مائة عام .

ما أفتك علم القرون ؛ فتركه و انصرف .

وقيل :^١ السحر^٢ لا يقرب الصور بل يقرب النظر كما يرى النائم بحرا فيكون سلطانا - أعنى تأويله ، و لهذا قيل : سحروا أعين الناس ، نخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، و قيل : السحر له حقيقة و يؤثر في إيلام الأجسام و إتلافها ، و يحرم فعله و تعلمه ، فمن اعتقد إباحته مع العلم بتحريمه فقد كفر^٣ .
و كانت السحرة الذين^٤ حشرهم فرعون من مدن مصر لموسى عليه السلام خلق كثير ، [٣١ : ب] فلما رأوا آيات موسى من إلقائه العصا التي صارت حية تسعى و قد ابتلعت حبالهم و عصيهم التي سحروها حتى صارت حيات تسعى استيقظوا من غفلتهم و لم يلبثوا أن آمنوا و سجدوا لله عز و جل و قالوا : " امنا برب العلمين " ، قال فرعون بجهله : أنا رب العالمين ،^٥ فقالوا " رب موسى و هرون " قال فرعون " امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن ايديكم و ارجلكم من خلاف

(١) زيد في بن : و لم يفد ذلك .

(٢) زيد في بن : ان .

(٣) في الهامش : السحر لا يقرب الصور بل يقرب الأبصار .

(٤) سقط من «بر» و زيد في «بن» [١٦ : ب] ما يلي : و قيل ان علم السحر يستعد منه ما لاذ نفسه (كذا !!) و يقتدر بها على أعمال عريية بأسباب خفية ، و منعه أن يعلم ليحذر منه لا يعمل به و لا نزاع في عماله . أما مجرد علمه فظاهر الإباحة بل قد ذهب بعض النظار على أنه فرض كفاية لظهور سحر يدعي النبوة فيكون في الأمة من يكشفه و يقطعه ، و أيضا يعلم منه ، يقتل . . . فاعله قصاصا .

(٥) من بن ، و في الأصل : التي .

وَأَصْلِبْتُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ“ وَأَمْضَى فِيهِمْ [ذَلِكَ - ١] فَكَانُوا أُولَ النَّهَارِ سَحْرَةَ كَفْرَةٍ وَآخِرَهُ شُهَدَاءَ بَرَّةٍ، فَفَازُوا بِالْجَنَّةِ الْخَالِدَةَ بِسُجْدَةٍ وَاحِدَةٍ، فَسَبَّحَانَ مِنْ لَطْفِ بِهِمْ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَأُورِثَهُمْ دَارَ النِّعِيمِ وَالسَّرُورِ! يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ! قَوْمٌ فِي حَدَادِ الْكُفْرِ يَرْفَلُونَ وَالْوَلَاةُ تَنْصَبُ لَهُمْ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ! ٥

أَسَارَى فِي دَهْلِيزٍ ”لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا“ وَمَرَاتِبُهُمْ مَنْصُوبَةٌ فِي عَرَاصٍ [الْجَنَّةُ - ٢] ”فَاوَلَيْكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى“ ٤، إِبْلِيسُ وَبِرْصِيصٌ وَبَلْعَامُ رَافِلُونَ فِي سِنْدَسٍ ”أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ“ ”فِيهِدْنَاهُمْ أَقْتَدَهُ“ وَقَدْ ظَهَرَتْ عَوْرَةٌ ”الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنَاعًا“، خَرَجَ رَسُولُ الْمَشِيئَةِ وَقَالَ: عَرَجُوا بِهَذَا الرِّكْبِ إِلَى طَرِيقَةٍ ”قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا“، يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ! هَذَا بَلْعَامُ جَالِسٌ عَلَى بَسَاطِ الْأَنْبَسَاطِ وَالْقَدْرُ يَنَادِي ”أَتَيْنَهُ آيَاتُنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا“ صَفَعَتْهُ يَدُ الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا فَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَسُلِبَ

(١) ساقطة من « بر » وواردة في « بن » [١٦ : ب] .

(٢) في « بن » عراض .

(٣) زيد من بن .

(٤) زيد في بن : قال ابن الجزري جاءت السحرة تحارب وخالع الصلح قد جيت و تيجان الرضى قد رصعت و شراب الوصال يروق مدوا أيديهم الى ما اعتمد من نهر الهوى فاذا به قد استحال خلا ما قطروا عليه وا عجبنا لسكارى من شراب الحب فزيدت عليهم . . . فصلبوا في جذوع النخل ارتقى سلطان هزيمتهم الى سماوات قلوبهم فأوحى في كل سماء امرها .

حلاوة نجواه، إنما مثل الواقف بين يدي مولاه بلا قلب يلعب و يعبث
 "كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث". و هؤلاء السحرة
 في شرك الشرك أسارى، و في ظلمة الباطل حيارى، و يد السعادة قد دكت
 جبال شقوتهم دكاً. القدر يناديهم من الملاء الأعلى "لهم جنّات تجري
 من تحتها الأنهار خالدين فيها" "و ذلك جزؤا من تزكى". فلما قتلهم
 أجمعين و قطع أيديهم و أرجلهم و صلبهم و هم يسبحون و يقدسون
 و يهللون و يكبرون و يستغفرون حتى ماتوا - رحمة الله عليهم و رضوانه
 لديهم.

و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر العلامات و الآيات التي
 جاء بها موسى لفرعون - إن شاء الله تعالى.

١٠ و قال النبي صلى الله عليه و سلم: إذا أراد الله بالعبد السعادة يسره
 إلى [٣٢: الف] الطاعة فيعمل بها حتى يموت فيأمر به إلى الجنة، و إذا
 أراد الله به الشقاوة يسره إلى المعصية فيعمل بها حتى يموت فيأمر به
 إلى النار.

١٥ و قيل كان عدة^٢ سحرة فرعون اثني عشر ألف ساحر رؤساء تحت
 يد كل رئيس منهم عدة عرفاء، تحت يد كل عريف ألف من السحرة،
 فكانت جميع السحرة مائتي ألف و أربعين ألف و مائتين.

(١) جمع المؤلف هنا بين جزئي آيتين من سورتين متشابهتين - راجع القرآن
 الكريم ٥: ١١٩، ٢٠: ٧
 (٢) كذا في الأصول.
 (٣) في هامشه: عدة سحرة فرعون.

و اثنين و خمسين ساحرا بالرؤساء و العرفاء .

و أجمعت الرواة على أنه ما يعلم [من - '] جماعة أسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط .

و يروى أنه لم يفتن واحد منهم حين افتن بنو إسرائيل لما فرق الله لهم البحر و فتح لهم فيه اثني عشر طريقا حتى نجوا من فرعون ،

و أغرق الله فرعون و جنوده بانطباق البحر عليهم و بنو إسرائيل على الساحل ينظرون ففرحوا بنصر الله لهم على عدوهم ، و مضى موسى

لمناجاة ربه بعد أن وصى أخاه هارون عليهم ، فأوا هناك ناسا يعبدون الأصنام^٢ ، فاتخذ لهم السامري العجل صاغه من حليهم ، قال : " هذا الهكم

١٠ و إله موسى ففسى " يقول : ترك موسى إلهه هنا و ذهب يطلبه ، ثم انصرف

موسى من عند ربه و لم يستطع أحداً أن ينظر في وجهه لما تغشاه من النور حتى كان يلبس وجهه بخزقة حرير ، و أنزل الله عليه الألواح

بطور سيناء من زمرد أخضر فيها كتابة بالذهب ، فلما رأى ما أحدث قومه من عبادة العجل ارتعد فسقطت الألواح من يده فتكسرت فجمعها

١٥ و أودعها تابوت السكينة ، ثم انهم أظهروا من توبتهم لقتلهم أنفسهم ما

ذكره الله تعالى من قوله " فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ

فَتَابَ عَلَيْكُمْ^٥ " . ثم أمره الله سبحانه أن يأتي في ناس من بني إسرائيل

(١) زيد من بن . (٢) من بن ، وفي الأصل : اخوه .

(٣) في الهامش : عباد العجل . (٤) من بن ، وفي الأصل : احدا - كذا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٥٤ .

يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختر موسى سبعين رجلا ، ثم كان من أمر سؤالهم أن يروا الله جهرة ، فأما تهم الله ثم أحياءهم ، فذلك قوله ثم ' اخذتهم الرجفة ثم أمرهم الله بالمسير إلى أريحا وهي أرض بيت المقدس فساروا حتى قربوا منها ، بعث موسى اثني عشر نقيبا من أسباط بني إسرائيل فلقبهم رجل من الجبارين فأخذهم فخطهم في حجرته ٥ و على رأسه حزمة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته و قال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يريدون ^٢ أن يقاتلونا ^٢ ، فطرحهم بين يديها و قال : الآن أطحنهم برجلي ، فقالت امرأته : لا ، خل عنهم حتى يخبروا [٣٢ : ب] قومهم بما رأوا ، فذلك قول بني إسرائيل : " إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ۚ وَ إِنَّا لَنَنذِرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ۚ فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دُخِلُونَ ۚ قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكُم عَلَيْهِمْ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا ۚ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذِرُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۚ " فقال موسى : رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۚ " ١٥

(١) قرآن كريم ٧ : ٧٨ و ٩١ و كذلك ٢٩ : ٣٧ (فخذتهم الرجفة) ، ٧ : ١٥٥

(فلما اخذتهم الرجفة) .

(٢ - ٢) في بن : قتالنا .

قال تعالى "فَانهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ اَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْاَرْضِ" -
الآية فخرج بهم موسى إلى التيه و عددهم ستمائة ألف بالغ و أتاهم بالآيات
المشهورة و كانت آياته في عصاته و غيرها .

قال أبو إسحاق الثعالبي في تفسيره: قوله عز و جل "وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ

٥ يَمُوسَى" قال هي عصا . قال: و كانت لها شعبتان و في أسفلها
سنان و اسمها نبقة، و قوله "اتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا" أي أعتد إذا مشيت و إذا
عيت و عند الوثبة و القفزة "وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي" و أخبط بها الشجر
ليتناثر ورقها لتأكل غنمي . و قوله "وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى" حواشي
و منافع .

١٠ قال ابن عباس: كان موسى عليه السلام يحمل على عصاه زاده
و سقاه فجعلت تماشيه و تحادته، و كان يضرب بها الأرض فتخرج له
ما يأكله يومه، و يركبها فتخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، و كان يرد
بها غنمه و تقيه الهوام باذن الله، و إذا ظهر له عدو حاربت و ناضلت
عنه، فإذا أراد الاستسقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر و صارت
١٥ شعبتها كالذلو حتى يستقي، و كان يظهر على شعبتها كالشمعتين بالليل

(١) قرآن كريم ٥ : ٢٢ - ٢٦ .

(٢) في الهامش: عصاة موسى .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ١٧ - ١٨ .

(٤ - ٤) زيد من بن، و قد سقط من بر .

(٥) في بن: فكانت .

تضىء له و يهتدى بها ، و إذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصنت عن تلك الشجرة و أورقت ورقها و أثمرت ثمرها ؛ فهذه المآرب التي كانت في العصا - انتهى .

نعود إلى التيه^١ - و التيه الذي تاه فيه بنو إسرائيل مقدار أربعين فرسخا و قيل إنه تسع فراسخ في مثلها ، و أول حدّه ما بين قبر أبي حميد و بطن نخل ، و فيه مات موسى و هارون عليهما السلام^٢ - انتهى .

نعود إلى ذكر البحيرة التي بأرض مصر^٣ - أما البحيرة فكانت كرما لامرأة المقوقس ملك مصر ، وكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم ، فكثرت الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت : لا حاجة لي في الخمر . أعطوني دنانير ، فلم تجدها [٣٣ : الف] معهم ، فأرسلت على الكرم الماء فغرقتها .

١٠ فصارت بحيرة يصاد فيها السمك حتى استخرجها بنو العباس فشدوا جسورها و زرعوها و بقي ذلك اسما^٤ عليها ما^٥ تعرف إلا بالبحيرة^٨ . و قد

(١) انظر ايضا فيما بعد ٢٢٧ : الف ، ٢٣٠ : الف .

(٢) زيد في بن : أربعين سنة ، و فيه : مقداره . مكان : مقدار .

(٣) في بن ١٨ : ب « ذكر حدود التيه » .

(٤) في بن : اسفل .

(٥) في الهامش : بحيرة سكندرية . و كل ذلك واردة في تاريخ ابن عبد الحكم ص ٦ ، و خطط المقرئ (طبعة Wier) ج ٣ ص ١٦٦ . و حسن المعاصرة للسيوطي ج ١ ص ٣٨ في الفصل الخاص بذكر بناء الإسكندرية .

(٦) في بن : اسم . (٧) في بن : لا .

(٨) في بن : به .

تغلغل بنا الكلام^١ و تشعب إلى أن أخرجنا^٢ عما قصدناه^٣ - فلترجع الآن إلى ما كنا فيه أولا^٤ :

و ليست مدن جزيرة قبرس كمدن نصارى الأندلس مثل إشبيلية و قرطبة و طرطوشة و طليطلة^٥ و غيرها من المدن ، و كانت تلك المدن للمسلمين ملكوها من النصارى و أقاموا بها مدة سنين ثم غلبهم عليها النصارى^٦ ، و هي الآن في سنة خمس^٧ و سبعين و سبعمائة بأيديهم^٨ .

^٩ و ليست الماغوصة^{١٠} و الأفسسية و غيرها من بلاد جزيرة قبرس^{١١} كمدينة رومة و القسطنطينية و عمورية ، عن عمير بن مالك أنه كان عند عبد الله بن عمر فذكروا فتح القسطنطينية و رومة أيهما يفتحان قبل^{١٢} فاختلفوا في ذلك ، فدعا عبد الله بن عمر بصندوق فيه قرطيس فقال^{١٣} تفتحون قسطنطينية ثم تفرزون^{١٤} بعثا إلى رومة فيفتح الله عليكم .

(١) زيد في بن : و تسلسل .

(٢ - ٢) في بن : إلى البحيرة .

(٣) في بن : من اخهار مدن النصارى .

(٤) زيد هنا في بن [١٨ : ب] و مالقة .

(٥) زيد في بن ايضا : الأقرطبة ! (٦) في بن : ست .

(٧) زيد في بن ايضا : و أما قبرس فهي سرير ملك السلطان ابن الأحمر

و مالقة هي التي يصنع بها الفخار المنقوش الرفيع المدهون الذي لا يعمل مثله

في غيرها . (٨) زيد في بن : نعود . (٩) في بن : القبرس .

(١٠) زيد في بن : الأفسسية .

قال نجد بن هشام: وقد فتح مسلمة بن عبد الملك بن مروان
والأمير عبد الوهاب القسطنطينية^١ وغنم منها غنائم كثيرة، وفتح
أمير المؤمنين هارون الرشيد حصن هرقله وهو حصن كبير من حصون
الروم، وكان استفتاحه له سنة تسعين ومائة، وكان رميه لسورها بحجارة
المنجنيق عليها^٢ الكتان والنفط، فكانت النار تلتصق به وتأخذ الحجارة
وقد تصدع فتهافت فقال الشاعر:

هوت هرقله لما أن^٣ رأت عجبا حجارة ترمى بالنفط والنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار^٤

(١) راجع في حملات العرب على القسطنطينية الباحثين الآتين:

M. Canard, *Les expéditions des arabes contre Constantinople, dans l'histoire et dans la légende* J.A., I. 80 et seq.; Md. A. Cheira, *La lutte entre arabes et byzantins* (1947), pp. 180 et seq.

(٢) زيد بن: مشافان.

(٣) سقط من بن.

(٤) في «بن» [١٨: الف، ب] زيد مايلي: وفتح المعتصم... عمورية
وغنم منها غنائم كثيرة فقال الشاعر في ذلك للمعتصم:

تناولت اطراف البلاد بقدرة كأنك فيها تبتغي أثر الحضر
وقد كان للخلفاء فتوح، وأكثه لم يتسقى لأحد ما للأمامون وعبد الملك بن مروان
والمعتصم، إلا أن فتوح المأمون وعبد الملك كانت (في بن: دن) لمن قصد إلى
ممالكها فبلغا (في بن: مملكتها فبلغنا) في ذلك ما لم يبلغه أحد في الإسلام من
المماليك، وللمعتصم ست فتوحات عظام جليلة لم يخرب في واحدة منهن إلا من قصد
المسلمين دون مملكه خاصة، فمن ذلك ما يقال إن ملك طبرستان بعد ما غلب

= و قتل و تمكن من تلك القلاع والجبال المنيعة والسبل الوعرة حتى قتله و ظفر به ، و من ذلك بابك . . . (!) الذي كسر العساكر و قتل الجنود و قتل القواد و اخرج البلاد و ملاً القلوب هيبة و مخافة فأخذه اسيراً وقتله و صلبه إلى جنب مازيار . و من ذلك فتح عمورية و هزيمة الطاغية أمير ياطس صاحب ملطية (في بن : الصواحي - كذا) فأسره و صلبه إلى جنب بابك و مازيار . من ذلك استباحة الزط حتى اجتث اصلهم و اباد خضراءهم (لعله : حضرهم) بعد ان منعوا عن بغداد الميرة و قتلوا القواد و غلبوا على البلاد و بعد ان رامهم خليفة بعد خليفة . و من ذلك الأمير جعفر الكردي و أخافته السبل فظفر به و قتله . و من ذلك ما كان منه في امر الهند ، و شق الهند كله حتى ظفر من عدد البروج و رؤساء الهند و ابطال المقاتلة و أخرج السواحل على يدي عمر بن الشهرار . ثم الخليفة المعتضد بالله انفق له من الفتوح الجليلة الخطيرة مثل ذلك . . . بعد ان كان قد تغلب على البلاد و منع الميرة من جميع الأقطار ، و من ذلك قصد إلى عبد العزيز بن . . . حتى اجتث اصلهم و استباح حريمهم . ثم كان من شأن رافع بن هرثمة و خاله المطاع (!) بمدينة السلام . ثم امر محمد بن زيد العلوي بطبرستان بعد ان تمكن من القلاع و الحصون . . . و الخطبة انقطعت عنهم ثمانى (و في بن : ثمانية - كذا) و ثلاثين سنة بمقامه و مقام الحسن بن زيد و كان . . . في المحرم (!) سنة خمسين و مائتين و تولى في ذى الحجة سنة سبعين و مائتين و صار مكانه اخوه محمد . . . بمرجان يوم الجمعة لثمان خلون من شعبان سنة سبع و ثمانين و مائتين . و من ذلك عمرو بن الليث . . . اياه ، و من ذلك فتح آمد و هي بعض مدينة في بلاد العرب و ايقاعه باين الشيخ و اخذه اياه اسيراً ، ثم امر و صيف الخادم و خرج اليه بنفسه إلى تخوم ارض الروم حتى اوقع به ثم قتله و صلبه . و كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل :

من عاد بالسيف لاقى فرصة عجيبا

لا تركبوا السهل ان السهل مفسدة لن تناووا المجد حتى تركبوا عنفا =

= (كذا في الأصول لكن وزن الشعر لا يستقيم بلفظ : تنالوا ، ولعله : تحصلوا ،
او : تأخذوا) وقالوا . . . سلاحك و الرضا بالقضاء من افضل اعوانك ، والجد في
طلب الخير من مالك ، و انشدوا :

فلا تحسبن الرزق بابا سددته ولا انى يوما اليك فقير
ففى العيش منجاة وفى الأرض مذهب وفى الناس ابدال
و لبعضهم :

اصبر لها فالحر صبار او امسكها ان منك العار (كذا غير موزون)
دائرة دارت على عاقل والدهر دوار
و لبعضهم :

نبت بك الدار فسر آمننا فلما فتى حيث انتهى دار

و لبعضهم :

تبدل بدار غير دارك موطننا اذا صعبت فيها لديك المطالب
فلا الكره للدنيا وللناس قاسم وفى غيرها للطالين مكاسب - انتهى
(زيد فى بن : قبل « للناس » لا ، ولا يستقيم به الوزن)

انظر ايضا [٣٦ : ب] ذكر ارجوزة السراج عبد اللطيف التكريتي نرى
نثر الإسكندرية المحروس فى الأئمة الأربعة ، وقد وردت مقتطعات اخرى
من ديوان هذا الشاعر فيما بعد منها ٤٣ : ب فى الهوى العذرى و ١١١ : ب
الى ١١٢ الف ارجوزة فيما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه
« تفكروا فى مخاوف الله ولا تفكروا فى ذاته » و ١١٢ : الف من قصيدة مدح
بها النبي يذكّر فيها وقعة بغداد فى زمان المستعصم بالله ، وفى جزء الإمام الخطيب
بدار الكتب فى القاهرة ١٧٥ : الف خمسة ابيات من هذه القصيدة ايضا . وقد
ذكر بروكلمان (G.A.L.) فى المجاهد الثانى من المباحق ص ٨٩٧ رقم ٤ هذا الشاعر
بين المؤلفين الذين لا يعرف تاريخهم ولا يمكن تحديدهم ، وانتار الى ان
لعبد اللطيف التكريتي ديوانا به قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

و سيأتي ذكر فتح حميد بن يعقوب لجزيرة قبرس في دولة الرشيد إن شاء الله تعالى . و كان هارون الرشيد تام الخلق طويلاً أيضاً مسمناً قد وخطه الشيب ، له وفرة إذا حج حلقها ، و كان كامل الأخلاق سمحاً شجاعاً كثير الحجّ و الجهاد ، و حجّ في خلافته ثمانى حجج ، و لما أراد أن يسمع الموظأ على الإمام مالك^٢ بن أنس بالمدينة أراد أن يكون مالك عنده ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين ! حدثني نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن العلم يؤتى و لا يأتي ، فقال الرشيد : إذا نأتى [٣٣ : ب] منزلك . فقدمت له دابة ليركبها فقال مالك : يا أمير المؤمنين ! حدثني نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

= و هو محفوظ في ليدن تحت رقم ٧٥٥ ، و لاشك ان المعلومات الواردة في النويرى تصحح هذا الوضع و تكمله ، اولا في تحديد بلد المؤلف واصله من تكريت بالعراق ثم نزوله بالإسكندرية مع آخرين من بغداد بعد ان ظفر بها هو لاكو في سنة ٥٦٥ هـ ، ثانياً يتضح مما تقدم انه نظم قصيدته في مدح الرسول بعد تلك الواقعة الشهيرة التي يشير اليها في شعره ، و قد قضى بقية حياته بالديار المصرية في القسم الثاني من القرن السابع للهجرة او الثالث عشر الميلادي .

انظر ايضاً ٣٦ : ب إشارة إلى الإمام الشافعي : و قبره بالقرافة من أرض مصر يزار ، و على قبره قبة كبيرة على رأسها صفة شخثور من نحاس - راجع ١٢٤ : الف ، ١٢٧ : ب عن « شخثور » و هو نوع من السفن . (١) ليس في بقية الكتاب تفصيل لفتح قبرس في هذا العصر .

(٢) زيد في بن : جميلاً .

(٣) في الهامش : الإمام مالك .

(٤ - ٤) من بن ، و في الأصل : يأتي و لا يؤتى .

أنه قال: من خطا خطوة في طلب العلم كتب الله له بها ألف حسنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع، فقال الرشيد: إذا نمشي إلى منزلك، فمشي فلما أراد الجلوس وضع له كرسي عليه، فقال مالك: يا أمير المؤمنين! حدثني نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تواضع لله رفعه الله، فنزل الرشيد عن كرسيه وجلس مع الناس هـ كلهم، فلما فرغ قال: يا شيخ! ما سميت هذا الكتاب؟ قال: ما سميته إلى الآن شيئاً ولكن أسميه الموطأ لأنك تواطأت لنا يا أمير المؤمنين.

(١) زيد هنا في «بن» [١٩: ب] ما يلي: قال المؤلف رحمه الله تعالى وسأذكر الآن كتب الحديث منها كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي وكتاب الجامع الصحيح للبخاري وكتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج القشيري وكتاب الصحيح لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي وكتاب مسند أحمد ابن حنبل وكتاب مسند أبي عبدالله بن سفيان وكتاب مسند أبي عوانة يعقوب ابن إسحاق وكتاب مسند أبي العباس محمد بن إسحاق . . . وكتاب مسند أبي يعلى أحمد ابن علي بن المثنى الموصلي وكتاب مسند عبد الله بن وهب بن مسلم وكتاب مسلم بن إبراهيم الأزدي وكتاب مسند أنس بن مالك وكتاب مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي وكتاب مسند أهل البيت جمع الإمام أحمد بن حنبل زيادات ابن عبدالله وكتاب الإكليل كتاب الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم العتيبي وكتاب سنن أبي عبد الرحمن أحمد بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن محمد بن يوسف بن علي بن بحر النسائي وكتاب السنن للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن النعمان بن دينار الدارقطني وكتاب السنن للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي، كتاب المتفق للإمام الحافظ أبي بكر [محمد بن عبدالله بن زكريا الشيباني الجوزي وكتاب شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للإمام الحافظ أبي عيسى

وكان مولد الإمام مالك بن أنس سنة ثلاث و تسعين للهجرة ،
 و حمل به في بطن أمه ثلاث سنين ، و توفي بالمدينة سنة تسع و سبعين
 و مائة ، و صلى عليه عبيد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن
 عبد الله بن عباس و هو يومئذ وال على المدينة ، و دفن بالبقيع ،
 و قبره بباب البقيع عليه قبة . و قال عند وفاته " لله الامر من قبل
 و من بعد " .

روى عن مالك رحمه الله من حسن الأدب مع رسول الله صلى الله
 عليه و سلم أنه كان لا يركب في المدينة بغلة ، فقيل له في ذلك فقال :
 لا أطأ راكبا لمكان وطئه النبي صلى الله عليه و سلم ماشيا ، و كان لا يرفع
 ١٠ صوته في مجلس العلم بمسجد النبي صلى الله عليه و سلم و يقول : حرمة الرسول

= الترمذى و كتاب المعجم الكبير للإمام الحافظ ابى القاسم سليمان بن احمد بن
 ايوب بن مطير الطبرانى و كتاب معالم السنن للإمام ابى سليمان احمد بن محمد الخطابى
 و كتاب شرح السنة للإمام الحسن بن مسعود البغوى و كتاب الجمع بين الصحيحين
 للبغوى ايضا و كتاب الرقائق لعبد الله بن مبارك و كتاب الترغيب لحميد بن
 زنجويه و كتاب الرغائب لأحمد بن سيار القرشى و كتاب الزهد لهناد بن
 السرى و كتاب غريب الحديث لأبى عبد الله بن مسلم بن قتيبة و كتاب غريب
 الحديث لأبى سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى و كتاب ابى محمد عبد الله بن
 جعفر بن حيان المعروف بابن الشيخ و كتاب مسند ابى القاسم البغوى و كتاب
 فضائل مكة لأبى سعيد الشعبي - انتهى .

(١) زيد بن : نعود .

(٢) زيد بن : على بن .

حياً وميتاً سواء، وقد قال الله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ"،
 وسأل رجل مالكا^٢ عن اللعب بالشطرنج فقال مالك: أمن الحق هي؟
 قال: لا، قال: "فما ذا بعد الحق إلا الضلل". وقال مالك: طعام المؤمنين في اليوم مرتين^٣ وتلا قول الله عز وجل "وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً ه
 وَعَشِيًّا" و عوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغداء ليقوموا به على عبادة ربهم، ومن أراد صحة جسمه فليقلل من الطعام والشراب والوطى فإن الإقلال منها ينشط الهبوب من المنام و تدرم معه سلامة الأجسام، والله در القائل حيث يقول:

١٠ قلل لنفسك ما أكلت، ما شربت و ما وطئت
 و أنا الضمين بأن تعا في ما حيت و ما بقيت

[٣٤: الف] - أخذ مالك رحمه الله عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين و ستمائة من تابعيهم، هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان - بالغين المعجمة -

(١) قرآن كريم ٤٩: ٢٠

(٢) في بروين: مالك

(٣) كذا

(٤) قرآن كريم ١٩: ٦٢

(٥-٥) في بن: أبي عمرو بن

(٦) وفي متن تهذيب التهذيب: عثمان، و بهاء شه: عثمان

المثناة من تحتها - ابن خثيل^١ بالخاء المعجمة المضمومة وفتح الثاء المثناة - ابن عمرو بن الحارث ، و هو ذو أصبح الأصبحي المدني إمام دار الهجرة و أحد أئمة المذاهب المتبوعة ، و هو من تابعي^٢ التابعين ، و قال أبو مصعب : مالك بن أنس من العرب صليبه و خلفه من قريش في بني تميم بن مرة .
 ٥ قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد صاحب الربيع بن سليمان : و روى حديث ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الأرض علما ، ثم قال : و في هذا الحديث علامة بينة إذا تأمله الناظر المميز علم أن المراد به رجل من علماء هذه الأمة من قريش يظهر علمه ، و تلك صفة لا تصلح إلا للشافعي ، فانه عالم من قريش قد بين العلم
 ١٠ و مهد الطريق و شرح الأصول و بين الفروع و صنف المصنفات التي سارت بها الركبان و انتشرت في سائر البلدان .

قال أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي : تفقّهت لأبي حنيفة فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم في منامي و أنا في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم عام حججت فقلت : يا رسول الله ! قد تفقّهت بقول أبي حنيفة و آخذ بقوله ؟ قال : لا . قلت : فأخذ بقول مالك بن أنس ؟ قال : خذ منه ما وافق
 ١٥

(١) في « بن » [٢٠ : الف] : ابن خثك و الكلمة مشتبهة في الأصل ، و في تهذيب التهذيب : ابن جميل ، و في تاج العروس ٣٠٠/٧ : (و) خثيل (كزبير جد للإمام مالك) بن أنس الفقيه قاله ابن سعد (أو هو بالجيم) و الباقي سواء قاله الحافظ في التبصير - اه .

(٢) من بن ، و في الأصل : تابع .

(٣) زيد في بن : انا .

سنتي ، قلت : فأخذ بقول الشافعي ؟ قال : ما هو له بقول إلا أنه أخذ بستتي و رد علي من خالفها .

قال يحيى الدين النواوي : سمع مالك نافعاً مولى ابن عمر و خلأئق أخرأ من التابعين ، و روى عنه يحيى الأنصاري و الزهري و هما من شيوخته ، ثم روى عنه ابن جريج و يزيد بن عبد الله بن الهادي و الأوزاعي و الثوري و ابن عيينة و شعبة ^٢ و الليث بن سعد و ابن المبارك و محمد بن إدريس الشافعي و غيرهم ، و أجمعت طوائف العلماء على إمامته و جلالته و عظم سيادته و تبجيله و توقيره و الإذعان له في الحفظ و التثبت ^٣ و تعظيمه لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و كان هارون الرشيد يعظم النبي صلى الله عليه و سلم تعظيماً كثيراً ^{١٠} و يعظم الإمام مالك بن أنس ، و إذا سمع من مالك أو غيره حديث رسول [٣٤ : ب] الله صلى الله عليه و سلم يخضع خضوعاً زائداً . و حضر مائدة الرشيد يوماً بعض قواده فأخذ من الطعام بيده ^٤ ، قال : ليت شعري يا أمير المؤمنين ما كان ابن عمك محمد يحب من هذا ^٥ ! فغضب الرشيد و قال : ابن عمي تقول و لا تقول : رسول الله صلى الله عليه و سلم ! ^{١٥}

(١) من « بن » [٢٠ : الف] ، و في « بر » : أخذ - كذا .

(٢) في « بن » [٢٠ : ب] : شبيهة .

(٣) في « بن » : التثبت .

(٤ - ٤) في بن : المائدة يدا .

(٥) زيد في بن : الطعام .

يا غلام! السيف والنطع! فما ردت يده إلى طعامه حتى ضربت عنقه
ورفع من بين يديه قتيلا .

و مدح أبو نواس الرشيد بقصيدة أولها:

لا أزود الطير عن شجره قد بلوت المر من ثمره

٥ - إلى أن قال فيها:

كيف لا يرقى إلى شرف من رسول الله من نفره

فلما سمع الرشيد هذا البيت قال له: وجب سفك دمك! تقول عن^١

رسول الله: من نفره، جعلته من نفرى و أنا لا أساوى تراب نعله! فشفع^٢

الحاضرون فيه، فأمر بسجنه و قال: كان ينبغي له^٣ أن يجعلنى من نفره

١٠ لا هو من نفرى؛ فلم يزل أبو نواس مسجوناً إلى أن ولى الأمين الخلافة

فأخرجه من السجن^٤.

ولما رحل الإمام الشافعى^٥ من مكة إلى العراق دخل على الرشيد

(١) من بن، وفي الأصل: من .

(٢) وقع في الأصل و بن: فشفعت - كذا .

(٣) في بن: لك .

(٤) زيد في بن ما يلي: و قد انكر الرشيد ايضاً على ابى نواس:

فان يك باق سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فقال له: يا ابن اللخناء! أذت المستهزى بعصا موسى عليه السلام! و أمر باخراجه

من عسكره من ليلته . و قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه: ما قطع ظهري

في الإسلام الا رجلاًن: عالم فاجر ومبتدع ناسك، فالعالم الفاجر يزهّد الناس في علمه

لما يرون من فخوره، والمبتدع الناسك يرغب الناس الى بدعته . . . نسكه .

(٥) في الهامش: الإمام الشافعى .

فعظمه الرشيد و أجلسه مكانه ، و اسم الشافعي محمد بن إدريس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم جد سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و أمه فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن الشهيد السبط ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ابن عبد الله ، و عبد الله و أبو طالب ابنا عبد المطلب بن هاشم ؛ فالإمام الشافعي شريف الأبوين ٥ و مولده بغزة ، ثم حملته أمه طفلا رضيعا إلى عسقلان ، ثم حملته إلى بلاد آباءه مكة المشرفة فربى بها و نشأ ، و كان أسمر اللون ، أسود الشعر فاحم ، أقرنى الأنف ، سهل الخدين ، ربعة من الرجال ، خفيف العارضين ، خفيف اللحم ، كأنه غمس في المسك و العنبر و هما يفوحان منه ، و كان صوته جهوريا ذا زجل ، و كان لا يحلق رأسه ، و كان أول رجل حفظ ١٠ الموطأ و عرضه على الإمام مالك بن أنس ، فمدحه حينئذ الإمام مالك إمام دار الهجرة فقال : إن بك أحدا يفلح فهذا الغلام ! و كان يقرئ الناس العلم بمكة و هو ابن ثلاث عشرة سنة بالمسجد الحرام ، ثم لزم مسلم بن خالد الفقيه فقرا عليه الفقه و أذن له في الفتوى ، قال : أفت أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي ! و كان عمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ١٥

(١) من بن ، و في الأصل : ابني - كذا .

(٢) في بن : اسهل .

(٣) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٤-٤) في الأصل و بن : خمسة عشر - كذا .

(٥) زيد هنا على النص في " بن " [٢١ : الف] ما يلي : قال الشافعي رحمه الله تعالى

كنت صبيا فرأيت في النوم رجلا في هيئة يؤم الناس يعادهم فدنوت منه

ثم توجه إلى اليمن فرأى بها رجلين ملتصقين لهما رأسين [٣٥: الف]
مفترقين، فكلّم كل واحد منهما فجاوباه عن كلامه، فلما كان بعد مدة طويلة
رآهما وأحدهما يابس كالقد والآخر طرى البدن فقال له: ما بال صاحبك؟
قال: مات وهو معلق معي.

و روى عن قاسم بن أصبغ عن أبيه أنه رأى بالعراق خنثى ولد له
من صلبه و بطنه، قال أبو عبد الله بن قاسم: و رأيت لمالك في بعض
التعليق أن مثل هذين لا يتوارثان لأنهما لم يجتمعا في بطن واحد فليسا
بأخوين لأب و لا أم - انتهى.

و من شيوخ الشافعي في العلم بمكة سفيان بن عيينة و عبد الرحمن بن أبي
مليكة و مسلم بن خالد و الفضيل بن عياض، و من أهل المدينة مالك
ابن أنس و إبراهيم بن سعد، و من أهل اليمن هشام بن يوسف و مطرف
ابن مازن.

و أما تلامذة الشافعي فمنهم الإمام أحمد بن حنبل المروزي

= فقلت: علمي، فأخرج ميزانا من كفه فقال: هذا لك. فقص الشافعي رؤياه على
معبّر فقال: انك تباع و تصير اماما في العلم و تكون على السبيل و السنة لأن
امام المسجد الحرام فوق الأئمة كلهم و فضل الأئمة و كذلك تكون امام الأئمة،
و أما الميزان فانك تعلم حقيقة الشيء في نفسك؛ فكان كما قال. و قيل: لما توجه
الإمام الشافعي إلى اليمن رأى رجلين - الخ.

(١ - ١) كذا، و الظاهر: رأسان مفترقان.

(٢) في الهامش: مسألة.

(٣) من بن، و في الأصل: بالأخوين.

(٤) في الهامش: الإمام أحمد.

الأصل ، خرجت أمه من مرو وهي حامل به فولدته ببغداد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقبره مشهور يزار ، حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستون ألفاً^٢ ، وأسلم يوم مات عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وكان رجل في جنازته يقول :

وأظلمت الدنيا لفقد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

ورأى علي بن بشر الحافى في النوم بعد وفاته وفي كفه شيء يتحرك فقبل له :

ما فعل الله بك؟ قال : غفر لي وأكرمني ، قال : فماذا الذي في كمالك يتحرك؟

قال : قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت ١٠

فهذا ما التقطت . وكان أحمد بن حنبل من أصحاب الإمام الشافعي

وخواصه . قال الشافعي : خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه

من ابن حنبل ، وكان أحمد بن حنبل إمام المحدثين ، صنف كتابه المسند

وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره . قيل : إنه كان يحفظ ألف ألف

حديث ، ودعى إلى القول بخلق القرآن فلم يجيب ، وضرب وحبس وهو ١٥

مصر على الامتناع .

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني في رسالته : وإن القرآن

(١) زيد من بن ، وقد سقط من الأصل .

(٢) في بن : باب .

(٣) من بن ، وفي الأصل : الف - كذا .

كلام الله ليس بمخلوق فيفيد ولا صفة لمخلوق فينفد . قال الجزولي :
 والدليل على أن القرآن ليس بمخلوق من النقل و العقل ، أما العقل
 فما ذكره أبو محمد ، ومن النقل الكتاب و السنة و إجماع الأمة ، أما
 الكتاب فقوله تعالى [٣٥ : ب] : " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ " .
 ٥ معناه غير مخلوق . و من السنة قوله صلى الله عليه و سلم : القرآن
 كلام الله ليس بمخلوق ، و قول علي رضي الله عنه : ما حكمت مخلوقا
 و إنما حكمت قرآنا ، و معنى حكمت أى حفظت ؛ و قول ابن عباس حين
 سمع رجلا قال : يا رب القرآن ! فتهاه عن ذلك و قال له : القرآن
 ليس بمربوب و إنما المخلوق هو المربوب ، فهذا دليل على أن القرآن ليس
 بمخلوق . و من قال : القرآن مخلوق ، اختلف فيه ، قيل : يقتل ، و قيل :
 لا يقتل و إنما يؤدب و ينكل ، فإذا قلنا : يقتل ، هل بعد الاستتابة أم لا
 قولان ، فإذا قلنا أيضا : يقتل أو يضرب ، هل يستفصل قولان ، و معنى
 الاستفصال أن يقال له : ما أردت بقولك : مخلوق ؟ هل أردت العبارات
 أو غيرها ؟ و هذه المسألة امتحن بها كثير^٢ من الفقهاء ، و ذلك أن المعتزلة
 ١٥ حين تولوا و استولوا على الأرض جمعوا الفقهاء و أرادوا أن يحملوهم على
 أن يقولوا : القرآن مخلوق ، فأبوا عن ذلك و عنفوا ، أما ما كان من بعضهم
 فولوا هاروبين ، فأما البخارى فهرب لأنه روى أنه فرّ عند ذلك و هو

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٢٨ .

(٢) من بن ، و فى الأصل : و الا - كذا .

(٣) فى الأصل : كثيرا - كذا ، و فى بن مطموس .

يقول: اللهم! إذا أردت بالناس فتنه فاقبضني إليك غير مفتون، فرئى بالصحراء بعد ذلك بثلاثة أيام وقد مات. و البخارى^١ هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي بالولاء، الحافظ الإمام فى علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح، رحل فى طلب الحديث إلى أكثر محدثى الأمصار، و كتب بخراسان و الجبال و العراق و الحجاز و الشام و مصر و بغداد، و قال رحمه الله: صنفت الجامع لست عشرة سنة، خرّجته من ستمائة ألف حديث و جعلته حجة فيما بينى و بين الله عز و جل، و كانت ولادة البخارى لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع و تسعين و مائة، و توفى ليلة السبت عند صلاة العشاء و كانت ليلة عيد الفطر سنة ست و خمسين و مائتين، و دفن بعد صلاة الظهر. ١٠ و كان شيخا نحيف الجسم لا بالطويل و لا بالقصير، و هو منسوب إلى بخارى و هى من أعظم مدن ما وراء النهر، بينها و بين سمرقند ثمانية أيام - هذا ما ذكره القاضى عياض فى كتاب المدارك، و القول الأول للجزولى بأنه مات بالرية - انتهى.

١٥ و أما ما كان من عيسى بن دينار فانه لما امتنع من القول بخلق القرآن سجن عشرين سنة. و أما ما كان من بعضهم فأجابه.

[٣٦: الف] كرها على أن قالوا: القرآن مخلوق - و أرادوا به العبارات.

(١) فى الهامش: البخارى.

(٢) هكذا فى « بن » [٢١: ب] و قد ضرب عليه فى الأصل، و فى تهذيب

التهذيب ٤٧/٩: بن بردزبه و قيل بزرويه و قيل ابن الأحنف.

و كان الزمخشري^١ من مشايخ المعتزلة و جاور بمكة سنين كثيرة، و كان يقف على باب الكعبة و يمسك حلقة بابها بيده و يقول: أنا الشويخ المعتزلي! القرآن مخلوق، هل من مُناظر - انتهى .

و كان الإمام أحمد بن حنبل حسن الوجه ربه، يخضب بالحناء خضابا ليس بالقاني^٥، في لحيته شعرات سود، أخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل كالبخاري و مسلم . و توفي مسلم بن الحجاج المحدث بنيسابور سنة إحدى و ستين و مائتين^{١٠}، و كان من تلامذة الشافعي . و من تلامذة الشافعي أيضا من المصريين أبو يعقوب يوسف البويطي، اختص بالشافعي في حياته و قام مقامه في التدريس و الفتوى بعد وفاته . و كان أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله يذهب مذاهب^٢ المأمون بن الرشيد، و شغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم . و كان أبو يعقوب البويطي ممن امتنع من أن يقول بخلق القرآن، و كان قد حمل في خلافة الواثق من مصر إلى بغداد في أيام المحنة و أريد^٣ على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة لذلك، و لم يزل في القيد و السجن حتى مات - رحمه الله! و كان رجلا صالحا متنسكا عابدا، و كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة وهو في السجن يغتسل و يلبس ثيابه و يمشي حتى يبلغ باب السجن

(١) في الهامش: الزمخشري .

(٢) في بن: مائة .

(٣) في بن: مذهب .

(٤) في بن: اشغل .

فيقول له السجنان: أين تريد؟ فيقول: أجيب داعي الله، فيقول له: ارجع - عافاك الله! فيقول البويطي: اللهم! إني قد أجبت داعيك فمنعوني. قال الربيع بن سليمان: كنت عند الشافعي أنا و أبو يعقوب البويطي فقال للبويطي: أنت تموت في الحديد! فكان كذلك. وكان أبو مسهر عبد الأعلى الغساني دمشقي عالم الشام و فقيهم و عابدهم، أخرج عنه البخاري، و روى عن الإمام مالك بن أنس و غيره من المسائل و الحديث الكثير، و من محنته رحمه الله قال موسى بن الحسن: سمعت أبا مسهر و قد وجه فيه أمير المؤمنين المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم من بغداد إلى دمشق فأحضر له إسحاق جماعة ليقرب بكتاب المحنة الذي كتبه المأمون في خلق القرآن و نفى الرؤية و عذاب القبر و أن الميزان ليس له كفتان^١ و أن الجنة ١٠ و النار ليستا بمخلوقتين، فلما قرأ الكتاب على أبي مسهر قال: أنا منكر لجميع ما في كتابكم [٣٦: ب] هذا، أ بعد مجالسة ابن أنس و سفيان الثوري و مشايخ العلم أكفر بالله تعالى بعد إحدى و تسعين سنة؟ لا أقول: القرآن مخلوق، و لا أنكر عذاب القبر و لا الموازين بأن ليس لها كفتان، و لا أن الله لا يرى في القيامة بل يرى فيها كما جاء في الحديث، ١٥ و لا أن الله تعالى على عرشه و علمه قد أحاط بكل شيء؛ يدل بذلك القرآن و جاءت به الأخبار التي نقلها أهل العلم، فان كانوا متهمين بما نقلوا فهم متهمون في القرآن لانهم الذين نقلوه و نقلوا الكثير عن النبي

(١) وقع في برو بن: كفتين - كذا.

(٢) من بن، و في الأصل: الذي.

صلى الله عليه وسلم؛ فُجِّرَ برجله لما قال ذلك و طرح في أضيق المحابس،
 فما أقام إلا يسيرا حتى توفى، فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيهم
 إلا الله تعالى. ومن أصحاب الشافعي أبو إسحاق المزني - وقيل: أبو إبراهيم -
 و ستأني ترجمته عند ترجمة القاضي بكار إن شاء الله تعالى. و كان مولد
 الإمام الشافعي سنة خمسين و مائة، و كانت وفاته ليلة الجمعة، و صلى
 عليه يوم الجمعة. فلما فرغ من دفنه رثى هلال شعبان سنة أربع و مائتين،
 و لما مرض الشافعي قال له بعض زواره: كيف أصبحت يا إمام؟ قال:
 أصبحت عن الدنيا راحلا و خلإواني مفارقا و لسوء عملي قارقا^٢ لكنني

(١) في هامش الأصل: المزني. و في بن [٢٢: الف و ب] زيد ما يلي: سؤال، في
 الصدقة على العالم نصيب أم لا؟ الجواب: قال مالك رحمه الله تعالى حدثني...
 قال حدثني الزهري عن كثير بن مرقة عن حذيفة بن اليمان قال قالت عائشة
 أم المؤمنين: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم! لو كان العالم بالمغرب و الصدقة
 بالمشرق فهل يحمل للعالم أم لا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة!
 و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا! لو كانت الصدقة بالمشرق و حامل القرآن
 بالمغرب لمشت إليه. فقالت: يا رسول الله! أ يحملها للعالم الفقير أم للعالم الغني؟
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: و الذي بعثني بالحق بشيرا و نذيرا! حملتها للعالم
 الغني و لو كانت معه مال قارون و لو كان يكتب بقلم من ذهب، أما علمت
 يا أم المؤمنين لو لا العلماء من بعدى لأشركت أمتي؟ أما علمت يا عائشة أن
 مداد العلماء خير من دم الشهداء؟ أما علمت يا عائشة أن عالما واحدا أشد على
 إبليس من ألف عابد؟ أما علمت يا عائشة أن خير الدنيا و الآخرة للعالم و شر
 الدنيا و الآخرة للجاهل؟ أما علمت يا عائشة أن الدنيا لو كانت كلها قيعا و دما
 لكان للعالم فيها نصيب - انتهى. (٢) في بن [٢٢: ب]: نادما.

على رب كريم قادما^١ فليت شعري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها - ثم لبت بقية نهاره ومات ، وقبره بالقرافة من أرض مصر يزار ، وعلى قبره قبة كبيرة ، على رأسها صنعة شختور من نحاس ، فقال بعضهم فيه :

أتينا لقبر الشافعي نزوره وجدنا به فلكا وما عنده بحر
فقلنا تعالى الله هدى إشارة تدل بأن البحر قد ضمه القبر

روى عبد الله بن الحكم قال : رأيت الشافعي بعد وفاته في النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وزفقت في الجنة كما تزف العروس ، فقلت : بما بلغت هذه الحالة ؟ فقال لي قائل يقول لك : بما في كتاب الرسالة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ؛ قال : فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فرأيت الأمر كما رأيت^١ .

وسأذكر ما قيل في الأربعة الأئمة من أرجوزة للسراج

عبد اللطيف التكريتي نزيل ثغر الإسكندرية المحروس إن شاء الله تعالى : ١٥
[٣٧: الف] فمالك و الشافعي إماما عدل ومن مثلهما يساما
وأحمد محي منار السنة وقامع البدعة عند الخجة
والرابع الخبر أبو حنيفة ذو الفضل والمدينة الشريفة

(١) كذا ، وفي بن : على باب كريم قائم .

(٢) في هامش الصفحة : أرجوزة في الأئمة الأربعة .

أربعة أئمة الإسلام شادوا مباني الدين في الإسلام
 والله ما مالوا ولا استحالوا عن منهج الحق ولا استمالوا
 وقال كل منهم إذ عابوا زخارف القول ولم يرتابوا
 علم الكلام والمرء والجدل ليس من الدين ولا علم عمل
 والشافعي فعلى الخصوص يوجعهم ضرباً على النصوص
 وهو يرى الإشهار في الإشهاد لينتهي حاضرها والبادي
 فالتزم الرشد وفه بالصدق فانه منهج أهل الحق
 وأسلك هداك الله مناهج السلف تنال في الدارين غاية الشرف
 وجانب الخوض وعلم الجدل والحق بأهل الحق فالحق جلي
 ولا تقل بالدور والتسلسل واهجر أخا التعطيل والمعتزل
 عض على السنة بالنواجذ عفالق وضاح لكل آخذ

و أمّا الإمام أبو حنيفة فهو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه ، مولى
 تيم الله بن ثعلبة ، ولد سنة ثمانين ، ومات ببغداد سنة خمسين و مائة
 وهو ابن سبعين سنة . قال الشافعي : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال :
 ١٥ رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته - انتهى .
 نعود لذكر فتح عمورية كما تقدم ذكر فتح القسطنطينية - وذلك
 أن أمير المؤمنين المعتصم^٣ بن الرشيد فتحها في خلافته ، وهي من أعظم

(١) زيد في الأنساب للسمعاني ٦/٦٤ : بن النعمان بن المرزبان .

(٢) انظر ١٣٦ : الف ، ٢٣١ : الف في فتح عمورية .

(٣) المعتصم بالله أبو إسحاق محمد وحكمه ٢١٨ - ٢٢٧ / ٥ - ٨٣٣ - ٨٤٢ م .

مدائن الروم . فقتل وسبي وخرّب ما قدر على خرابه فيها و فيما مرّ من قراها ، وكان فتحه لها سنة ثلاث وعشرين و مائتين .

وسيّأى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وقد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن أخرجنا عما كنا فيه من ملحمة الباجربق ، فلنرجع إليها ، قال رحمه الله :

يا وقتين و بالأجفار نالتهما^١ من بعد وقعة ترك القوم في الزمن

قال المؤلف غفر الله له و للسلمين أجمعين : وقفت على نسخة كتاب

القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني وزير السلطان صلاح الدين يوسف [٣٧ : ب]

ابن أيوب فرأيت فيه ذكر فيه وقعة الصقلي بالإسكندرية ، و جرت أيضا

وقعة القبرسي بعدها بسنين كثيرة ، فكانت وقعة الصقلي في آخر سنة تسع

وستين^٢ و خمسمائة و وقعة القبرسي في أول سنة سبع و ستين و سبعمائة ،

فكان ما بين الوقعتين مائة سنة و سبع^٣ و تسعون سنة .

و سأذكر ما ذكره القاضي الفاضل في كتابه في صفة الوقعة المذكورة ،

(١) في بن : نالتهما .

(٢) في الهامش : وقعة الصقلي بالإسكندرية - راجع في هذا الموضوع موسوعة

مؤرخي الحروب الصليبية :

Recueil des Historiens des Croisades : Historiens Orientaux

ابن الأثير في المجلد الأول ص ٦١١ و ما يتلوها . و ابوشامة في المجلد الرابع

ص ١٦٤ و ما يتلوها . و يسجل الأخير (ص ١٧٧) تحت سنة ٥٦٩ هـ أن

القاضي الفاضل ذكر هذه الوقعة في رسالة بعث بها إلى الأتابكة في سوريا .

(٣) في بن : خمسين (٤) في الأصل : سبعة ، و في بن مطموس .

و أذكر أيضا وقعة الفرنسيس بدمياط ، ثم أذكر بعدها وقعة القبرسي بالإسكندرية .

قوله - أعني الباجربقي : يا وقعتين ، يعنى بهما و الله أعلم وقعة الصقلي و وقعة القبرسي . و قوله : و بالأجفار ثالثها ، لعلها الوقعة التي كانت عند الباب الأخضر^١ بميناء الإسكندرية الغربية مع سنجوان دمرف بن ريوك^٢ القبرسي المتقدم ذكره في صدر هذا الكتاب ، و سيأتي ذكرها مفصلة في آخره إن شاء الله تعالى . و الأجفار لعلها أجفار القصارين^٣ المجاورين

(١) الباب الأخضر ، انظر ٩٥ : الف ، ٩٧ : الف ، ١٠٢ : الف ، ١٠٣ : الف ، ١٠٩ : ب ، ١٨٦ : ب ، ١٨٧ : الف و ب ، خبر عن حريق و تشديد و تجديد هذا الباب قريبا من الميناء الغربية .

(٢) راجع عليه ٢ : ب و الحواشي في ضبط الأسماء .

(٣) فيما يتعلق بتحديد مكان « أجفار القصارين » ذكر ابن رُشيد الأندلسي عند ما زار الإسكندرية سنة ٦٨٤ هـ انه توجد مقابر دفن بها عدد من مشاهير شيوخ الإسلام ، و ان قبر عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يقع على مقربة من الأجفار الغربية . و بما أنه يذكر أيضا أن ذاك القبر واقع بين قبر الحافظ أبو طاهر السلفي داخل سور المدينة بجانب الباب الأخضر و قبر أبي بكر الطرطوشي في قبور و علة جنوب الباب المذكور ، فيستنتج من ذلك أن أجفار القصارين كانت و لا بد واقعة في هذا الموضع (راجع ابن رُشيد : ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة الى مكة و طيبة - مخطوط الاسكوريال رقم ١٧٣٩ ورقة ١٩ : ب) - (انظر أيضا عن قبور و علة : اتين كومب Et . Combe في مجلة الجمعية الملكية لآثار الإسكندرية ، عدد رقم ٣٤ ص ٩٥ و ما يتلوها) . و يحتمل أيضا ان تكون أجفار القصارين واقعة بقرب الميناء الشرقية اذا راجعنا في ذلك كتاب الف ليلة و ليلة (طبعة برسلاوج ١٠ ص ٣٥٤ - ٣٥٥ تحت ليلة =

للباب الأخضر - والله أعلم .

أما قول القاضي الفاضل عبد الرحيم في كتابه فهو هذا : الكتاب مرسل القاضي الفاضل عن^١ السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف إلى السلطان إسماعيل بن محمود بن زنكي يذكر وصول الأسطول المخذول و عوده منهزما مكسورا وذلك في أواخر سنة تسع و ستين ٥ و خمسمائة و هى وفاة نور الدين محمود و أيام ابنه الصالح بدمشق فقال فيه : أجدر ما أشيع ذكره بين البوادي و الحواضر ، و تحدث فيه بنعم الله التى بالحديث بها كل ذاكر شاكر، ما كان السرور به لأهل الإسلام جامعا ، و النصر فيه لألويته رافعا ، لا سيما ظفرا استفتحت به أيامه ، و خفقت به أعلامه ، و ذلك أنه لما كان يوم الأحد السادس و العشرين ١٠ من ذى الحجة سنة تسع و ستين و خمسمائة ، وصل العدو المخذول الصقلي إلى الإسكندرية فى وقت الظهر ، ثم لم يزل متواصلا متكاملا إلى وقت العصر ، و كان ذلك على حين غفلة من المتوكلين بالنظر لا على حين خفاء من الخبر ؛ فان هذا الأسطول توالى به الأخبار ، و عظمت الشناعات عنه فى الآفاق و الأقطار ، و روع به ابن عبد المؤمن فى البلاد ١٥ المغربية ، و هدد به فى الجزائر الرومية صاحب القسطنطينية . و شوهد فى

(= ٨٥٢) عند ما قاربت السفينة الميناء « رأوا (أى ركا بها) أعلامها (أى المدينة) المأذنة المسماة بعامود الصواري فلما وصلوا إلى الميناء نزل نور الدين من وقتها و ساعته فى تلك الحرارة و ربطها فى حجر من الأحجار بتويع القصارين .

(١) فى الأصل : عز ، و فى بن [٢٣ : الف] : مرسل الفاضل من .

الثغر من وفور^١ عدته وكثرة عدده، [٣٨: الف] وعظم الهمة به، وفرط الاستكثار منه، ما ملأ البحر، واشتد به الأمر، وناوش^٢ من فيه القتال للثغر وبات الفريقان^٣ على القتال، وحمى عليه البحر عن النزول وعن النزال، وكان عسكر الوالي غائبا عنه ولم يحضر في ذلك اليوم إلا العدد القليل وأصبحوا في يوم الاثنين الذي يليه على ما هم عليه من انتشار رجال الثغر من أهله، وكثرة العدو الذي يجب الاحتراز على^٤ مثله، فأشارت جماعة من عقلاء الأتراك بأن يرد الناس من المكان البعيد، ويقفوا من السور بالمكان القريب، نخلي البر، وأمكن الأسطول الصقلي الأمر، واستنزلوا خيولهم من الطرائد وراجلهم من المراكب، فأما الخيل فعدتها على ما حققته أخبار الأسارى على الانفراد، وعلم بالارجاف المتقدم إلى البلاد، ألف وخمسمائة فارس، منها راحة ألف وتركبية خمسمائة إلا أنها عدد رائعة وأسلحة محلاة وسروج مذهبة ومسامير^٥ مستحسنة وكانت عدة رجالهم في كل شيني مائة وخمسين راجلا، فتكون ثلاثين ألف مقاتل عن مائتي شيني وكانت عدة الطرائد ستا^٦ و ثلاثين طريدة تحمل الخيل، وكانت عدة السفن التي تحمل آلات الحرب والحصار من الأخشاب الكبار^٧ وغيرها ست سفن، وكانت

(١) في الأصل: وفود، وصحته في «بن» .

(٢) في بن: تناوش .

(٣) في الأصل و بن: الفريقين .

(٤) في بن: عن .

(٥) في بن: تشاهير - كذا .

(٦) كذا في الأصل و بن؛ وفي مسودة المصحح: والكبارى .

المراكب الحمالة برسم الأزواد و الرجال أربعين مركبا، و فيها من الرجال المتفرقة و غلمان الحمالة و صنّاع المراكب و أبراج الزحف و دبّاباته و المنجنيقة^١ ما يتم خمسين ألف راجل . و لما تكاملوا على البر و خارجين على البحر حملوا على المسلمين حملة لم يكن حاضرها من أصحابنا سوى محمود بن البصار^٢ فاستشهد^٣ في سبيل الله ، و استتمت الحملة على المسلمين إلى أن أوصلتهم إلى السور و شغل أصحاب ابن البصار^٤ به لأن استشهاده كان بسهم جرح ، و حذفت^٥ مراكب الفرنج داخل المينا و كانت به^٦ من مراكبنا مراكب مقاتلة و مراكب مسافرة ، فسبقتهم أصحابنا إليها فخرقوها ، و غلبوهم على أخذها ، و أحرقوا^٧ ما احترق منها ، و فقد من أهل الثغر وقت الحملة مائتا نفر و سبعة^٨ نفر ، و استمرّ القتال ١٠ و دام الاشتعال إلى وقت العشاء من يوم الاثنين المذكور ، و نزلوا بخيامهم و ضربوها على البر ، و كانت عدتها ثلاثمائة خيمة ، و كثر الاهتمام بآلات الحصار و الدبّابات الكبار ، فلما أصبحوا يوم الثلاثاء زحفوا

(١) في الأصل و بن : المنجنيقية .

(٢) في بن : عن .

(٣) في الأصل و بن : البصاروا .

(٤) في بن : فاستد .

(٥) كذا .

(٦) في بن : معه .

(٧) في بن : و أحرقوا .

(٨) في الأصل و بن : سبع - كذا .

و قاتلوا و ضايقوا و تقدّموا و نصبوا ثلاث [٣٨ : ب] دبابات بكباشها
 و ثلاث مجانيق كبار المقادير تضرب بحجارة استصحبوها^١ من صقلية،
 و تعجب الناس من شدة أثرها و عظم حجرها، و أمّا الدبابات فأنها تشبه
 الأبراج من جفاء أخشابها و ارتفاعها، و كثرة مقاتلتها و اتساعها، و زحفوا إلى
 ه أن قاربت السور، و لحووا في القتال عاقمة النهار المذكور، و وردنا الخبر
 إلى منزلة العساكر إلى الثغرين إسكندرية و دمياط احترازا عليهما و احتياطا
 في أمرهما و خوفا من مخالطة العدو لهما، و كان الأمير بدر الدين بن أيوب
 و فارس الدين تترك أحد المماليك قد سبقا^٢ إلى الإسكندرية برجالهما،
 و انضاف إليهما من كان في أقطاعه بالبحيرة المجاورة للإسكندرية من
 ١٠ المغاربة^٣ و غيرهم في يوم الثلاثاء و الأربعاء، و عاد بعض عسكر تقي الدين
 من برقة يوم الأربعاء و استمرّ القتال و قدّمت الدبابات و ضربت المنجنيقات
 و زاحمت السور إلى أن صارت منه بمقدار اماج، فاتفق أصحابنا على أن
 يفتحوا أبوابا قبالتها من السور و يتركوها مغلقة بالقش، و اجتمع هناك
 من الأتراك و الأكراد و الكنانيين و أهل الثغر، و فتحوا الأبواب على
 ١٥ غرة^٤، و ركب من هناك من الأمراء الخيل و خرجوا غائرين من الأبواب
 و تكاثر صائح أهل الثغر من كل الجهات، فأحرقوا الدبابات المنصوبة

(١) في بن : استحضروها .

(٢) من بن ، و في الأصل : سبقتا .

(٣) في بروين [٢٤ : الف] : المغاريد . و القراءة الصحيحة هي : المغاربة .

(٤) في بن : شدة .

و صدقوا عندها القتال ، و أنزل الله على المسلمين النصر و على الكفار الخذلان و القهر ، و ما زالت المكافحة بالسيوف و المصاحفة و المضاربة من الأيدي المتقاربة إلى وقت العصر من يوم الأربعاء و قد ظهر فشل الإفرنج و رعبهم و قصرت عزائمهم و فتر حربهم و أحرقت آلات قتالهم و استجرهم القتل و الجراح في رجالهم ، و دخل المسلمون الثغر لقضاء هـ فريضة الصلاة و أخذ ما [به - '] يقوم قيام الحياة ، و هم على نية المباكرة و العدو على نية الهرب ، و كننا قد سيرنا أحد الممالك و هو أقوش فركب فرسا و جنب فرسين فأوقف الثلاثة طارداً و أخذ الرابع من ضيعة و دخل الثغر بعد العصر بعد أن علم كل من لقيه من الأتراك و غيرهم أنه قد فارقنا على المعدية^١ و سبق من بين أيدينا بالبشارة ، فارتفعت الضجة^٢ و علت ، و خرجت الخلائق التي كانت للصلاة و العشاء^٣ دخلت ، و ثابت^٤ إليها عزائمها بعد الكلال^٥ ، و تداعت رجالنا و قبائل [الف : ٣٩] الثغر إلى القتال ، و أوقع الله في قلوب المسلمين و صدرهم و أنا^٥ في أوضاعهم

(١) « به » ساقط من الأصول .

(٢) « المعدية » يعني فم أو أشتوم (اليوناني ستوما = Stoma) في بحيرة اداكو بين أبي قير و رشيد ؛ انظر مجلة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية ج ١٧ (سنة ١٩٢٨) ص ١١٤ - ١٥١ ، و مجلة الجمعية الملكية الآثار الإستكبرانية بالعدد رقم ٣٦ ص ١٢٣ - ١٢٥ (بحثان من قلم اتين كورمب) .

(٣-٣) في الأصل : و دخلت ، و في بن : و خرجت و ثابت .

(٤) في بن : الخلال .

(٥) في الأصل : أنا ، و قد تكون معناه يور و عطف في « بن » [الف : ٣٤]

و بين ظهورهم ، و صار الخارج من بيته يروم أن يتسرع ليجاهد بين
أيدينا ، و لنرى أثره الذي كان يرجو أن يصل إلينا ، و قضى الأمر ،
و نزل النصر ، و أوقعوا الفرنج في الخيام ، و هاجمهم و قد كاد يختلط
الظلام ، و تسلم أهل الثغر الخيام بما فيها من الهمم العالية ، و بتجملاتهم
الهائلة ، و فتكوا في الرجالة أعظم فتك و أوجاه ، و لم ينبج منهم إلا من
تعرض دونه أجله فنجاه ، و تسلّم أصحابنا الخيالة فلم يسلم إلا من نزع
لبسه ، و رمى [في - ١] البحر نفسه ، و تفرقت مراكب العدو لتلتقط من طلبها
عائما من أصحابها ، و نجما نحوها هاربا من طلابها ، فتقحم أصحابنا البحر على
بعض المراكب فحسفوها و أتلفوها فتولت بقيّة المراكب هاربة ، و جاءت
١٠ أحكام الله الغالبة ، و بقى العدو بين قتل و غرق ، و أسر و فرق ، و احتفى
منهم ثلاثمائة فارس على رأس تلّ^٤ و أخذت خيلهم و بات أصحابنا يقاتلونهم
إلى بكرة و تماسكوا إلى أن تضاحى النهار على أن يعاطوا أمانا ، فغلب
أهل البلد عليهم فقتلوا ، و ممن أسر منهم رجل كبير صاحب حال مشهور
الامر كان قد عمّر من الشوانى خمسين شينيا ، و أما المأخوذ من البرك^٢
١٥ و المتاع و المصاغ و الآلات فذكر لنا أنه مما لا مثل له ، و لا يعرف نظيره ،

= و الجملة بها : و أنا بين ظهورهم و في اوساطهم .

(١) زيد من بن .

(٢) انظر فيما بعد ١٠١ : ب ، ١٠٣ : الف و فيها إشارة إلى كيان مدينة الإسكندرية .

(٣) كذا في الأصل ، و في « بن » [٢٤ : الف] : البرك ، و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

ولا يوجد لفرنج الشام أسره ، و أمّا الخيل فانها أكاديش و فحول كلها ،
 ولم يعد معهم فرس واحد منها إلا من كانت له عدة فاقتصر في النزول
 على أخذها . و أقلع هذا الأسطول عن الثغر يوم الخميس سلخ ذى الحجة
 و لا يعلم أين يقصد من البلاد و الأعمال ، على أنه لا بقية فيه لقتال
 و لا حرب ، و كان عدواً ثقيلاً ، و كان خطبه جليلاً ، إلا أن أصحابنا
 ذكروا أن مكيدتهم في اللقاء ضعيفة ، و طمعتهم في البلاد قوية . و عند
 الانتهاء إلى هذا الحد حضر من عقلاء خيالتهم المأسورين ، استخبروا
 مرتين من يصدق فيما يخبر ، فذكروا أن النفقة كانت في الفارس خمسة أشهر
 و هم ألف فارس ، منهم سبعمائة ، من ثلاثين ديناراً إلى خمسة و عشرين
 مشاهرة ، أقل من فيهم من له خمسون^١ مثقالاً و فيهم من له مائة مثقال^{١٠}
 من مشاهيرهم مضافاً إلى المؤونة الأقطاعية ثلاثمائة رجل ، و إلى التركبية
 خمسمائة لكل منهم خمسة [٣٩ : ب] دنانير و مؤونته على ملكهم على
 أن له فرساً لا يموت ، و منهم من له عشرة دنانير و للقائد و الراس
 عشرون^٣ ديناراً السفره طاللت أم قصرت مع المؤونة ، و لهم نفقات على
 البلاد و أن العدد يناهز أربعين ألف رجل خارجاً عن جرخية^٤ و سرخندية^{١٥}
 عدتهم خمسة آلاف رجل و صناع و لهم نفقات تطرح على البلاد التي^٥

(١) في الأصل و بن : مرتان - كذا .

(٢) في الأصل و بن : خمسين - كذا .

(٣) في الأصل و بن : عشرين - كذا .

(٤) في بن : سرخية .

(٥) من بن ، وفي الأصل : الذي .

يخرجون^١ منها و على الملك مؤونتهم و حقوق^٢، عدد المراكب مائتا^٣ شينى
 و اثنان و ثمانون^٤ طريدة و غيرها و أن الخيل ألف و خمسمائة فرس،
 و معهم من المجانيق عشرة و من الدبابات عشر^٥ و معهم من الحديد
 و الخشب ما يكفي عشرة أبراج^٦ و أن مقدميهم ثلاثة: أحدهم ابن عم
 ملك^٧ صقلية و هو المقدم على جميع عساكره، و الحمد لله الذى رفع بالنصر
 للاسلام علما، و أحدهم مع الصيانة حرما، و جعل أشهرهم بالأمن حرما،
 ”و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى“ أنهى ذلك و رأى أعلى^٨ -
 هذا ما ذكره القاضى الفاضل عبد الرحيم^٩ فى وقعة الصقلية^{١٠} و كان مولده
 سنة ست و عشرين و خمسمائة و وفاته سنة ست و تسعين و خمسمائة .
 ١٠ و أما وقعة دمياط فان الفرنسيس^{١١} أتى إليها على ما قيل فى سنة

(١) فى الأصل و بن : يخرجوا .

(٢) من بن ، و فى الأصل : حقق .

(٣) فى الأصل و بن : مائتى .

(٤ - ٤) فى الأصل و بن : و اثنين و ثمانين .

(٥) فى الأصل و بن : عشرة .

(٦) زيد فى بن : و كانت خيامهم ثلاثمائة خيمة اخذتها بما فيها .

(٧) من بن ، و فى الأصل : الملك .

(٨) الجملة من « انهى » الى « اعلى » ساقطة من « بن » و هى كذا فى « بر » .

(٩) زيد فى بن : البيسانى .

(١٠) زيد فى بن : بالاسكندرية .

(١١) على هامش الصفحة : وقعة دمياط . و فى « بن » [٢٤ : ب] الجملة : و أما

واقعة دمياط فرنسيس أتى إليها .

ست عشرة وستمائة ، و كان سور دمياط يمشى عليه خمسة من الخيل
 بعرض حائطه ، فحاصرها الملعون بنصف جيشه ، و النصف الثاني يقاتل
 من يأتي من مصر ، فلم يقدر عليها إلا بهلاك أهلها بالجوع و الحمى
 و البرد بسبب طول الحصار حتى قيل : إن الفرنج لم يجدوا فيها من أهلها
 غير ثمانمائة نفس أحياء و الباقي موتى ، ثم إن الفرنج زحفت بخيلها ٥
 و رجلها إلى جهة بلد المنصورة القريبة من أشمون الرمان ، فقالتهم
 جيوش مصر قتالا شديدا فصارت عوام المسلمين و الحرافيش يسرون
 عليهم في الليل في معسكرهم معهم خناجرهم يختلسون أسلحتهم و أمتعتهم
 و يذبحون حتى أنه بلغ كل سيف من سيوفهم الذين اختلسوها منهم بدرهم
 واحد لكثرة ما أخذوا منها ، فأمر السلطان بحفر بحر المحلة فحفر و دخلت ١٠
 فيه الحرايق كمنت لهم فيه ، فصارت الفرنج تأتي بالميرة من دمياط
 قاصدين بها أصحابهم الفرنج فيقطع المسلمون عليهم الطريق و يذبحونهم
 و يأخذون ميرتهم ، و الميرة الطعام^٢ . فجاءت الفرنج المقاتلة بسبب قطعها
 عنهم ، فلما علمت الفرنج المقاتلة أن الميرة انقطعت عنهم . و رجالهم
 في الليل تذب [٤٠ : الف] و سلاحهم يسرق . خندقوا على أنفسهم ١٥
 ثلاث خنادق لأن المسلمين حثروهم وقت راحتهم في الليل من تعب
 القتال بالنهار ثم أن خولة الجسور قالوا للسلطان : هذا العدد الثقيل
 (١) في الأصل و بن : درهم - كذا . (٢) في الأصل و بن : متقطع .
 (٣) زيد هنا في « بن » [٢٥ الف] : مثل البقساط و الكمك و ما يؤكل من
 الأدواء التي جلبوها معهم من بلادهم فجاءت الخ .
 (٤) زيد في بن : الملك الكامل .

ليس له دفع و كسر و خذلان إلا بالغرق فقال: وكيف ذلك؟ قالوا:
 نكسر عليهم الجسور في الليل يغرقون^١ سريعا و يهلكون^٢ جميعا، فقال:^٣
 افعلوا^٤، فلما كان الليل كسروها فسال الماء فينما الفرنج رقود داخل تلك
 الخنادق الثلاثة و قد كلت أبدانهم^٥ من القتال مع قلة الزاد الذي يقتاتون
 به و إذا بماء النيل ساح عليهم فصار الواحد منهم يركب فرسه لينجو
 من الغرق فيقع به فرسه في الخنادق التي احتفروها بأيديهم و المحيطة
 عليهم المملوءة ماء، فكان هلاكهم فيما فعلته أيديهم، فانقضت المسلمون
 عليهم^٦ تقتلهم و تأسرهم، فكثير من الفرنج الصياح و العياط، و ما نجا منهم
 إلا من كان مقبلا بدمياط مع من كان له في أجله فسحة، فسلم من الغرق
 ١٠ و قلبه بما شاهد من الغرقى في فرق، فأسر^٧ المسلمون منهم المحتشم
 و الخسيس، حتى سلطانهم الفرنسي، فلما علم من في دمياط أن طائفتهم
 كسرت، و جيوشهم بماء النيل غرقت و أسرت، طلبوا الصلح بأن
 يستلموا دمياط للمسلمين، يفدوا^٨ بها أصحابهم الماسورين^٩، فصالحهم السلطان

(١) في بن: فيغرقوا.

(٢) في بن يهلكوا.

(٣) زيد في بن: لهم.

(٤) زيد في بن: ذلك.

(٥) في بن: أيديهم.

(٦) في بن: حينئذ على الناجين من الغرق.

(٧) في الأصل و بن: فأسرت.

(٨) في بن: يفادوا.

(٩) زيد في بن، و كانت عدتهم سبعين الفا.

عليها فتسلمها^١ المسلمون منهم من غير قتال ، ولا حرب ولا نزال ، فحينئذ
 رسم السلطان يهدم سورها فهدم و تردى ، و لاصار للفرنج فيها طمع^٢
 أبدا ، لأنهم لا يؤويهم فيها غير السور ، و إذا لم يكن سور لا يحصنهم
 غير المراكب في البحر المسجور^٣ ، فان هجومها لا يجدوا فيها غير الدور
 و الشوارع و الجرذان و اليرابيع^٤ ، و ذلك لان أهلها إذا رأوا افروطة^٥
 قادمة إليهم جمعوا أموالهم^٦ و خرجوا منها سريعا^٧ فيسلموا^٨ من معرفة الفرنج
 فلا تجد الفرنج فيها ما تأخذه و لا سورا يمتنعون به ، و كان الملك الفرنسي
 الرجس الخسيس لما استشر قيّد و سُجّن بدار ابن لقمان^٩ و كُئل به طواشيا^{١٠}
 يدعى صيححا^{١١} فصار صيحح يضربه فيستغيث و يصيحح و يقول : ما هذه
 الذلة التي أوقعتني في هذه الوحلة و أورثتني بعد العزّ الذلة فينقض^{١٠}
 الخادم عليه كالعقاب ، و يذيقه ألم العذاب ، فصار معه الفرنسي في
 ضيق و حصر و الخادم يقول له : أنت كلب و الكلب لا يقدر على أخذ

(١) في الأصل و بن : فتسلمتها - كذا .

(٢) في الأصل و بن : طمعا - كذا .

(٣) في بن [٢٥ : الف] : البحر الملح .

(٤-٤) في بن : قائمة و وقع في الأصل : اليرابع - مكان : اليرابيع - كذا .

(٥) انظر الحاشية السابقة على الورقة ٢٧ : الف .

(٦-٦) في بن : و ائانهم منها جميعا سريعا ويركبون في شخاتير الصيدين التي

لا يقدر مراكب الفرنج تدخلها

(٧) من بن ، وفي الأصل : فيسلموا .

(٨) زيد من بن .

(٩) كذا في الأصل و بن .

(١٠) زيد في بن : عبوسا لا فصيححا .

(١١) زيد في بن : من شدة الألم .

مصر و صار كلها ضربه صبيح [٤٠ : ب] يقول : أخطأت ، لا أعود إن أطلقت^١ من هذه القيود . ثم ان الفرنسيس أطلق بعد أن قرّر عليه جزية يحملها في كل سنة لسلطان مصر ، فقال : بل أحملها على سنبل الهدية لثلاث تعنّفى برسالة الجزية نصارى الرومانية لما فيها من الذلة^٢ و إخرق سياج المملكة النصرانية ، فلما انطلق الفرنسيس من وثاقه ، و مضى إلى بلاده منع ذلك^٣ بنفاقه ، و داخله الوسواس^٤ و خطر بياله العودة إلى مصر في غير زيادة النيل ليسلم من هذه المكيدة التي لم تكن له في حساب و لا خطرت له على بال و هي كسر الجسور^٥ عليه في ذلك الأوان^٦ ، حتى حل^٧ بدار ابن لقمان في أسر صبيح غير مستريح فأتى الخبر لمصر بذلك فأمر السلطان بأن يكتب له كتابا يعرفه فيه بأسره في سالف الزمان ، و سجنه بدار ابن لقمان و القيد برجليه ، و صبيح يضربه و يبصق عليه ، فكتب له كتابا يتضمن ما اتفق له بمصر و فيه أبيات^٨ من الشعر و هي^٩ :

(١) من بن ، و في الأصل : انطلقت - كذا .

(٢) زيد في بن : المنكبة .

(٣) زيد في بن : بكفره .

(٤) زيد في بن : الخناس .

(٥-٥) في بن : التي غرق . . . عند ذلك الايان .

(٦) زيد في بن : اسر و قيد .

(٧) في بن : وجعل .

(٨) من بن ، و في الأصل : ابياتا - كذا .

(٩) هذه قصيدة طويلة مشهورة و مؤلفها صاحب جمال الدين يحيى بن مطروح - راجع في ذلك كتاب السلوك للقريزي (ص ٢٦٣ - ٢٦٤) ، أو ابن شاکر =

قل للفرنسيس إذا جتته مقال صدق عن لسان فصيح
 أخزأك الله على ما جرى من قتل عبّاد يسوع المسيح
 أتيت مصرًا تبغى ملكها حسبت أن الزمر يا طبل ربح
 فساقت الحين على أدم ضاق به عن ساعديه الفسيح
 تسعون ألفا لا يرى منهم إلا غريقا أو قتيلا طريح
 إن كان باباكم بذا راضيا فربّ غشّ قد أتى من نصيح
 فقل لهم أن اضمروا عودة لأخذ ثار أو لقصد قبيح
 دار ابن لقمان على حالها و القيد باق و الطواشي صبيح

فلما وقف عليها الفرنسيس تذكر ما جرى عليه من اللجاجة فارتعب
 و قال : ما لنا بدار ابن لقمان من حاجة . ثم لحقه لتذكره الدار الطيش ١٠
 فانقل عنه الجيش ، فقال : إقامتي بمملكتي خير لي من غزوتي .

= الكتبي في فوات الوفيات (ج ١ ص ٨٣ - ٨٤ / ١٠٦ - ١٠٨) .

(١) من بن ، و في الأصل : اجر ك .

(٢) في الأصل و بن : باق - كذا .

(٣) في بن : ليس .

(٤) في بن : للدار .

(٥) في بن : منه .

(٦) زيد على هذا القول في بن [٢٥ : ب] : « رأى الصريح المعاصر

الصريح - انتهى » . و سقطت العبارة من بر أصح و لكن ورد هنا في بن

[٢٥ : ب - ٢٦ : ا] ما لم يرد في بن من مستطرات المؤلف ما يلي :

« فلنذكر الآن ما جاء في فضل المرابطة بد مياط . . . المرابطة بد مياط . . . بها فضل =

و أما وقعة القبرسي^١ فسيأتي ذكرها مفصلا إن شاء الله تعالى . فلنرجع إلى ملحمة الباجريقي :

حتى بنى أصفر قد قام قائمها يا ويح شام من الأوجال و المحن
قال أبو عبيد القرطبي في كتاب المسالك و الممالك : إن بنى الأصفر من
الأصفر بن نغرايم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام .
و ولد لعيصو ثلاثون ولدا منهم الأصفر فنسل الأصفر^٢ فصاروا بنو الأصفر

كبير ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم
ليلة الجحني : عليكم السلام و رحمة الله و بركاته قال قلنا يا رسول الله على من
تسلم ؟ قال على من تحصن من المرابطين بدمياط بلد لها قدر ، قال اللهم ارزقهم بركة
عن يمينهم و شمالهم في أمن من الدنيا ليس لهم عدو إلا عالج أو علجة ، قال قلنا :
يا رسول الله أيهما أفضل الرباط بعسقلان (أم) بالاسكندرية أم بدمياط قال
اتدرى يا ابن عباس لم سميت دمياط ، قلنا الله و رسوله اعلم . قال . . . عليه
الصحف كان أول ما أنزل عليه فيها أنا الله ذوالجبروت أنا مدبر المدبرين
بأمر . . . العذب و الملح و الثلج و النار كل ذلك بعلمى ليم بذلك الدال و الميم
و الطاء : قال أبو الحسن دمط بالبريانية دمط معناه قدرتي . و عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله عز و جل سيفتح لكم ثغرا هو بلد
القدرة يسكن فيه الأوابون من امتي رباط ليلة فيه كعبادة الف شهر هو بلد
القدرة للحتسب فيه نفسه . قال و ما بلد القدرة يا رسول الله ، قال بلد الدال
و الميم و الطاء . و سيأتي خبر فتحها بسيوف الصحابة إن شاء الله تعالى . و سيأتي
ايضا ما جاء في فضل المرابطة بالاسكندرية ان شاء الله تعالى .

(١) في بن [٢٦ : الف] : و اما وقعة الإسكندرية فيأتي ذكرها .

(٢) « فنسل الأصفر » ساقطة من بن .

ملوك [٤١ : الف] الروم ومنهم الإسكندر في قول بعضهم . و من
عجيب ما ذكر في نسب الإسكندر أنه من ولد دارا الأكبر فهو أخو
دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر تزوج بنت ملك الزنج هلاني ،
فلما حملت إليه استنجبت ريحها فأمر أن يحتال لذلك ، فكانت تغتسل
بماء السندروس فأذهب ذلك كثيرا من ذفرها ، ثم عافها و ردّها إلى
أهلها و قد علقت منه بالإسكندر فقيل له : الإسكندروس ، و قد اختلف
في مدته ، فذكر الخوارزمي في تاريخه أنه قبل الهجرة النبوية بتسعمائة
سنة و ثلاث و ثلاثين سنة . و ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف أن بينه
و بين الهجرة أربعمائة سنة . و كان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا
و تسع سنين بعد قتله لدارا ، و ملك و هو ابن إحدى و عشرين سنة .
و ذلك بمقدونية و هي مصر ، و مات و هو ابن ست و ثلاثين سنة ،
و سيأتي في رواية أخرى أنه ملك و هو ابن تسع سنين - انتهى .

(١) في بن : زفرها .

(٢) زيد هنا في بن [٢٦ : الف] : و ملك من ابن العيص ملك يقال له
طبراناس بن بكلاكون بلاد الروم جميعا و كان اول من بنى بيته في بلاد رومية
الكبرى و فتحت له المطالب و اثر في الأرض العجائب و انه دعته نفسه بفتح جميع
الأرض لكثرة الأموال التي وجدها فأنتهى فتحه الى بليقية (١) و سرقها
و كان له ولد اسمه اسطنبول فقال لأبيه طبراناس اريد ابني شيئا مديونة ان ارادتها
فقال افعل و امدد بالأموال و الرجال فيها و عمل دور سورها ست فراسخ
وسماها باسمه ثم ملك ولدا اسمه قسطنطين فكل بناءها فسميت باسمين احدهما
اسطنبول على اسم ابيه و اسم الآخر على اسم واده و قيل لها قسطنطينية -
اسطنبول - انتهى .

نعود إلى خبر عيصو و كان منزل عيصو بالشام فكثرت ولده و صاروا إلى البحر و ناحية الإسكندرية و غلبوا الكنعانيين . و قيل : إن العيص سمي آدم لأدمته و صفرتة ، و لذلك سمي ولده بنى الأصفر . و قيل : إن زنجيا غلب على الروم في الزمن الأول فكبح فيهم فولد أولاده صفرا . فسمى الروم بنى الأصفر . قال ابن الأنباري : و إنما قيل للروم بنو الأصفر ، لأن حبشيا غلب على ناحيتهم في بعض الدهور فوطئ نساء منهم فولدت أولادا فيهن من بياض الروم و سواد الحبشة فنسب الروم إلى الأصفر لذلك .

١٠ و لما حضر أبو سفيان صخر بن حرب عند هرقل ملك الروم و سأله عن النبي صلى الله عليه و سلم ، و ذكر أبو سفيان ما صدق فيه عنده ، فقال له هرقل : ذكرت أنه يأمركم بالصلاة و الصدق و العفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ! و قد كنت أعلم أنه خارج و لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أعلم أني أخلص منكم له لتجشمت

(١) في الأصل و بن : بنو .

(٢) زيد في بن : بسبب سواده و بياض الروميات .

(٣) من بن ، و في الأصل : بنى .

(٤) في الهامش : بنى الأصفر .

(٥) من بن ، و في الأصل : اولاد - كذا .

(٦) زيد هنا في بن [٢٦ : ب] بأنطاكية .

(٧) زيد في بن : من خبر النبي صلى الله عليه و سلم .

لقاءه ! ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ! فقال أبو سفيان لأصحابه : بعد خروجهم من عند هرقل و كان إذ ذاك مشركا : لقد صار أمر [ابن - ٢]
 أبي كبشة^٢ أنه يخافه ملك بني الأصفر^٣ . قال أبو الحسن النسابة في معنى
 نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة قال : إنما كان تدعوه
 العرب^٥ بذلك و تغير [٤١ : ب] اسمه عداوة إذ لم يمكنهم^٦ الطعن^٥
 في نسبه المهذب - صلوات الله عليه .

كان وهب بن عبد مناف بن زهرة أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه
 وسلم يدعى أبا كبشة ، و كان عمرو بن زيد بن أسد أبو سلمى أم^٧
 عبد المطلب بن هاشم يدعى أبا كبشة ، و كان^٨ أخوه من الرضاة يدعى
 أبا كبشة و هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى . و قال ابن قتيبة : ١٠
 إنما نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي كبشة و هو^٩ بعض أجداده

(١) زيد في بن : من .

(٢) زيد من بن .

(٣) في الهامش : لم سمى عليه السلام ابن أبي كبشة .

(٤) زيد في بن : قال المؤلف رحمه الله و سأذكر الآن ما قيل في أبي كبشة .

(٥) من بن ، و في الأصل : المشركون .

(٦) في بن : لم يمكن .

(٧) في بن : ابن - كذا .

(٨) زيد في بن : في أجداده من قبل أمه أبو كبشة و .

(٩) من بن ، و في الأصل : معه .

لامه لأنه رجل عبد الشعري ولم تعرف العرب عبادة الشعري لأحد قبله
و جعلوا فعله شذوذاً في الدين، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما لا يعرفونه في دينهم ولا دين آبائهم وشذ عنهم في ترك عبادة
الأوثان ودعا إلى دين الله تعالى ودين إبراهيم عليه السلام شبهوه بأبي
كثشة في عبادة الشعري - انتهى .

(١) زيد هنا في بن [٢٦ : ب] ما يلي : ولما فتح (في بن : فتحت - كذا)
المسلمون مدينة اعزاز من الشام قام مالك الأشتر فمسي في الحصن فتقدم فرأى
مقدم الرأس داريس مقتولا فقال قتل هذا اللعين ، قال لا ون ابنه قتله أنى لوقا
وهو أكبر منى سنا ، فأمر مالك باحضاره و قال قتلته . . . و ما سمعنا و ادا قط
قتل أباه سواك ، فقال حملتني على قتله محبة دين الإسلام و ذلك أن [في] هذا المصر
قسا من العمرين كذا نقرأ عليه الإنجيل يعلمنا بقلم الروم و انى في بعض الأيام [كنت
عنده] . . . ليس عنده سواى فقلت له يا أبا المنذر ألا ترى الى بلاد الشام كيف
استولت عليها العرب المسلمون الحجازيون و ملكوا أكثرها و هزموا جيوش
الملك هرقل و ما كنا نظن أن العرب [تقدر] على ذلك لأنه ليس في الأمم أضعف
منهم و أن الله تعالى نصرهم على ضعفهم فهل قرأت في كتب الروم اليونانيين
شيئا ، فقال يا بنى نعم قرأت ذلك و لقد أخبرنا الملك هرقل بذلك قبل وقوع
هذا الأمر و البطارقة و غيرهم و أخبرهم أن العرب لا بد أن يملكوا ما تحت قدمى
هاتين . . . نبي القوم أنه قال : زويت لى الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها . . .
فقلت له يا أبانا فما تقول في نبي القوم فقال يا بنى في كتابنا ان الله تعالى يبعث
نبيا من حجاز قد بشر به المسيح و لاندري أهو هذا أم لا . فعلمت انه كتم على الأمر
مخافة أن أذيعه عنه فكتمت الأمر الى البارحة فلما رأيت يوقنا صاحب قلعة حلب
و أصحابه أسرى قلت ان يوقنا قتل أخاه يوحنا لما نصحه و أمره بالإسلام و عاند
العرب و قاتلهم ثم رجع الى دينهم و ما [٢٧ : الف] ذاك الا انه علم الحق مع هؤلاء =

نعود - وقيل : سميت الروم بنى الأصفر لأن ملك الحبشة أهدى
لقبصر ملك الروم ابنته الحبشية و هي على سواد لونها من أجمل النساء
صورة و شكلا في عصرها و زمانها ، فواقعها قبصر فولدت له ولدا
أصفر اللون فكبر و تزوج و نسل ، فأطلق على الروم هذا الاسم فقيل لهم :
بنو الأصفر .

و سأذكر ما قيل في أجناس النساء من الأشعار و غير ذلك :
اعلم أن كل جنس من الجنوس لا يخلو من الجمال الفائق ، و الحسن
البديع الرائق ؛ ففي الحبشيات من هي في طيب المخبر ، كنفحة المسك
و العنبر ، و ذلك من السواد اللامع و الجسم الناعم ° و الريح الطيب °
فتلك التي تشتهيها النفوس ، و يرغب فيها الرئيس و المرقوس ، من بين ١٠
سائر الجنوس ، و لله درّ القائل حيث يقول :

و بنى حبشية سلبت فوادى فنفسى لا تميل إلى سواها

= العرب . فقلت أقتل أبي و أخلص يوقنا من أسر أبي له بسبب اسلامه و أرجع
الى دين محمد ، فلما نام أبي و هو ثمل من الخمر قتلته و أنا أقول أشهد ان لا اله الا الله
و أشهد ان محمدا رسول الله . قال مالك الأشتر عند ذلك قبلك الله و وفقك للخير -
انتهى . نعود و قيل سميت الروم - الخ .

(١) في الهامش : مدح في النساء .

(٢) في الهامش : الحبوش .

(٣) في بن : كنفح .

(٤) زيد في بن : و ذلك كالشهاد و السكر .

(٥ - ٥) في بن : من سلامة النعمة و رخامة النسمة و نفحة الطيب و السلام

المشابه (في بن : المشابهة - كذا) لنفحة البلبل و العنداييب .

كأنّ لعوطها^١ طرق ثلاث^٢ تميل^٣ به النفوس إلى هواها
و شبه بعضهم امرأة سمراء بالهلل قال:

ما يضر الهلال في حندس الليل ل سواد السحاب و هو جميل
و مدح بعضهم سمراء فقال:

٥ سمراء قد أزرت بكل أسمر بلونها و لينها و قدّها
أنفاسها دخان ندّ خالها و ريقها من ماء ورد فيها^٤
لو كتب البدر إلى خدمتها ملطفا ترجمه بعبيدها
و مدح بعضهم السمر فقال [٤٢ : الف]:

١٠ و في السمر معنى لو علمت بيانه لما عاينت عينك بيضا ولا حمرا
ليانة أعطاف و غنج لواحظ تعلم هاروت الكهانة و السحرا
ولولا سواد الخال في خد أبيض^٥ لما علم العشاق يوما له قدرا
و مدح بعضهم امرأة سوداء فقال:

لام العواذل في سوداء فاحمة للونها بسواد العين تمثال
و هام بالخال أقوام و ما علموا أنى هويت غزالا كله خال
١٥ و لبعضهم و كان محونا بامرأة سوداء:

أحبّ حبّتها السودان حتى أحبّ حبّتها سود الكلاب

(١) في بن : خطوطها .

(٢) في بن : تسير .

(٣) في بن : خدها .

(٤) في الأصل : لاموا - كذا ، و في بن مطموس .

و لبعضهم في معناه :

وأحبها وأحب منزلها الذي تنزل به وأحب أهل المنزل
اشترى بعضهم جارية حبشية فلم تزل عنده إلى أن صار شيخا فكان
إذا خاصمها غيرها بالسواد فتعيره ' أيضا بالشيخوخة ' فأنشأ يقول :
و جارية من بنات الحبو ش ذات جفون^٢ صحاح عراض^٥
تعشقتها للتصابي فشبت غراما ولم أك بالشيب راضى
و كنت أعيرها بالسواد فصارت تعيرنى بالبياض
و كان لبعض المشايخ الطاعنين فى السن جارية حبشية فخاصمها يوما فقال
لها: غدا أشتري جارية بيضاء أحسن منك يا سوداء! فقالت له: أشتري قبلها
آلة شديدة^٦ ترضيها بها^٦ لئلا تعيرك كما أعلمه منك^٦ كم أريد أسرك و أنت
تأبى إلا فضيحة نفسك! ثم أنشدت تقول:

لو لم يكن السواد أعز ما فى العباد

ما كان وسط الناظر فى صميم الفؤاد

فكان كلامها^٧ مسكنا لجوابه و مع ذلك حيرته و وبخته و مدحت نفسها
و هجته فحجل منها و سكت .

١٥

(١) زيد فى بن : هى .

(٢) فى بن : بياض لحيته .

(٣) فى بن : اجفان - كذا ولا يستقيم به الوزن .

(٤) زيد فى بن : القوة .

(٥) من بن ، و فى الأصل : به - كذا .

(٦) زيد فى بن : ثم قالت .

(٧) زيد فى بن : ذلك .

عن يحيى بن أكرم قال: تذاكروا الألوان عند الرشيد فقال بعضهم: أحسنها البياض، وقال آخر: أحسنها الخضرة في لون الجنة، وقال آخر: أحسنها لون الذهب، ومحمد بن الحسين ساكت فقال له الرشيد: فلم لم تتكلم؟ فقال: لو كان صبغ أحسن من السواد لكتب به كتب الله المنزلة، فاستحسن الرشيد قوله ووصله بصلة من بينهم.

و لبعضهم يذم رجلا يهوى سوداء:

شكالي صديقي حبّ سوداء أغريت بمص لسان لا تمل له وردا

فقلت له دعها تداوم مصه فماء لسان الثور ينفع للسودا

[٤٢: ب]

وهجا بعضهم محبا لسوداء فقال:

عجبت لمن في الحب قدهام في سودا وما ذاك إلا أن يكون به السودا

خصائلها عند الكرام ذميمة، ويشبه ابن الحر من بطنها العبداء

قوله: هام، من الهيام وهو في الأصل داء يأخذ الإبل من العطش مشبه

بالجنون فهو كالهيام العارض أي عطش إلى لقاء المحبوب. وقيل لأسود:

ما اسمك؟ قال: عنبر، قيل وما صنعتك؟ قال كناف، قيل له: تصنع

الكنافة^٢ قال: لا، بل أكنف المراحيض، قيل له: كل شيء كسبته في

الاسم خسرت في الصنعة. وهجا بعضهم رجلا يحب سوداء وصفها له فقال:

لصديق لنا صديقة سوء رحيم الله من لحاه عليها

(١) كذا، وقع في الأصل و بن: رجل.

(٢) سقط من بن، و وقع في الأصل: محب - كذا.

(٣) في بن: الأكناف.

(٤) في بن: في هجوه.

يقبل الليل حين تقبل لولا
شفتها غليظتان ولكن
رب فارٍ وخنفسا قد أثيرا
وصحيح مسلم صرعته
وضح في سواد سالفيتها
جعل الانضمام في شفرها
من خلال الشقاق في قدمها
نفحات الصنان من إبطها

تزوج رجل أسود اللون طبّال امرأة بيضاء فقال بعضهم فيه:
أبها الطبّال طبل
أى عرس و عروس
أى صبح تحت ذيل
ودجى فوق شمس
يا فتاة العاج يهنى
ك فتى كالأبنوس

وقال كشاجم يهجو سوداء:

يا مشبها في فعله لونه
خلقك من خلقك مستخرج
لم تعد ما أوجبت القسمة
والظلم مشتق من الظلمة

وقال بعضهم يهجو خادما:

قطعوا مذاكره بحد واجب
لو أنهم تركوه فحلا قائما
لما دروا برداوة في أصله
ملا الوجود أراذلا من نسله
وقد ذكر جالينوس: في الأسود عشر خصال لا توجد في غيره
و اجتمعت فيه: تفلغل الشعر و خفة الحاجبين و انتشار المنخرين و غلاظ
الشفيتين و تحدد الأسنان و طول الذكر و كثرة الطرب، فكثرة طره

(١) في بن: سالفيتها .

(٢-٢) في الأصل و بن: في خلاف .

(٣) في بن: فيها .

(٤) في الهامش: يهو في طواشي، عشر خصال توجد في الأسود لا في غيره .

(٥) في الأصل و بن: عشرة .

لفساد دماغه فضعف لذلك عقله، ولما حمى موضعه و منشؤه جذبت الرطوبات إلى أعلاه فأهدلت [٤٣ : الف] شفته و قصرت أنفه و عظمته و أشالت رأسه، فخالف بذلك مزاج دماغه عن الاعتدال، فلم تقدر النفس على إظهار فعلها منه كاملا .

و قد كان طاووس اليماني لا يأكل ذبيحة الزنجي و يقول: هو عبد مشوه الخلق . و كان أمير المؤمنين الراضي بالله لا يتناول شيئا من أسود . و قد يكون أنف الأسود منتشرا، و قد يكون أيضا عاليا، و قد يكون مبوقا و اسعا . قال الشاعر في مأنوف:

مأذنة الجامع في أنفه كالاصبع الناحل في الخاتم
لو دخل العالم في أنفه أصبحت الدنيا بلا عالم
١٠ و قال بعضهم في محبته لسوداء:

قبل لي لم عشقت ظلمة ليل و تجنبت عن بدور الشمس
قلت قلبي يحب ألوان مسك وانضجاعي ما بين خز و سوس
و ثنايا كلؤلؤ في عقيق و نهود شبيهة الأبنوس
و مدح بعضهم سوداء فقال:

١٥ أشبهك المسك و أشبهته قائمة في لونه قاعدة

لا شك إذ لونكما واحد إنكما من طينة واحدة - انتهى .
فلنذكر البدويات و ما قيل فيهن و العربان ذوى الكرم و الإحسان - أما

(١) في بن: معنى ذلك .

(٢) في بن: فلنذكر ما قيل في البدويات الزينات و العربيات الفاتنات و ما قال

(في بن: قالت - كذا) فيهن عاشقهن من غلبة الهوى و المتى و النوى، قال بعضهم.

البدويات

البدويات فبين الزينات قال الشاعر فيهن :

يا عيون البدويات التي جعلت بالهدب للخذ لثاما
اجعليني دون صحي غرضا إن رمت أجفان عينك السهاما
وقال أيضا :

عرب مجدهما قد قتلتم فريقا و فريقا ما زاتم تهجرونا
مات من هجركم سمير هواكم فاطلبوا اليوم سامرا تهجرونا
و كان الشيخ أبو العباس المرسي كثيرا ما ينشد :

قد بقينا مذذبين حيارى نطلب الوصل ما إليه سبيل
فدواعي الهوى تحفّ علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

و كان ينشد للسهروردي :

أبدا تحنّ إليكم الأرواح و وصالكم ريحانها و الراح
و قلوب أهل و دأكم تشاقكم و إلى كمال جمالكم ترتاح
[٤٣:ب] يا رحمة للعاشقين تحمّلوا ثقل المحبّة و الهوى فضاح
بالسرّ إن باحوا تباح دماؤهم و كذا دماء البائحين تباح

و من عادة العرب حمى النزيل قال الشاعر :

و للأعراب عادات عرفن بها حمى النزيل إذا ما عزّ ناصره
و من عادة العرب أيضا إكرام نزيلهم . قال الشاعر :

عرب متى حل النزيل بحبهم شملته منه خفارة و ذمام

(١-١) في بن : اجفانك .

(٢) في بن : دماؤكم .

سنوا المكارم للأكارم بالندا فلم على نهج الهدى إقدام
ظفروا بأبكار العلا فبنوا بها فتمخضت بالمجد وهي عقام
أو كان الهوى غالبا على بنى عذرة وقد شاع فيهم حتى ذكرتهم الشعراء
في أشعارها فمن ذلك البوصيري في قصيدة البردة:

٥ يا لأئمي في الهوى العذرى معذرة منى إليك ولو أنصفت لم تلم
وقيل: الهوى العذرى الذى يقبل عذر صاحبه لما نظر عليه من علام
الحب قال الشاعر:

و عذر الهوى العذرى بين جفونها إذا هي لامت عاشقيا يلومها
فكم مهيج قد أصبحت تشتكى الهوى وقاضى الغرام الحاجرى غريمها
١٠ وقال عبد اللطيف التكريتى:

يا دار عزة من اللواله الباكي بنظرة يتملى من محياك
أضحى الخزام ونبت الأرض منه سرى به النسيم عبيرا حين وافاك
كم ليلة بات طرفى ساهرا قلقا يرعى النجوم وليس القصد إلاك
ما هب من أيمن الوادى نسيم صبا إلا وكان الهوى العذرى يملك

١٥ قال عمران بن الحسن رحمه الله ركبت البحر الملح فى سفينة فانكسرت
فخرجت أنا وزوجتى على لوح واحد فأخذها الطلق فوضعت بنتا
ثم قالت: يا عمران! إن العطش قد لحقنى وقتلنى، فقلت لها: نحن فى حمى

(١) فى بن: فلنذكر الآن ما قيل فى هوى الناس .

(٢) فى الهامش: الهوى العذرى .

(٣) « الأرض » ساقطة من الأصل .

(٤) فى الهامش: زكته .

من يرانا ، قال فسمعت حسا فوقى فرفعت رأسى فاذا أنا برجل و هو متربع
 فى الهواء بين السماء و الأرض و بيده سلسلة من ذهب فيها كوز من
 الياقوت معلق ، فقال لى : ها كما أشربا ، فشربنا من ذلك الكوز ماء طيبا
 عطرا ، فقلت له : يا هذا من الملائكة أنت ؟ قال : لا ، قلت : من الجن ؟ قال :
 لا ، قلت : من الإنس ؟ قال : [٤٤ : الف] نعم ، فقلت له : بم وصلت إلى ه
 هذا المقام ؟ قال : أنا رجل تركت له الهوى فأجلسنى فى الهواء ، فقلت له :
 انظر حالنا و ما نحن فيه ، فقال : أشربا بالسلامة ! فلم يزل اللوح يسير بنا
 و الأمواج تضربه إلى أن وصلنا إلى الساحل . قال الشبلى : مررت براهب
 فوجدته نحيفا فقلت له : أنت عليل ؟ فقال : نعم . قلت : منذ كم ؟ قال : منذ
 عرفت نفسى ، قلت : فتداوى ؟ فقال : قد أعيانى الدواء و قد عزمت على
 الكى ، قلت : و ما الكى ؟ قال : مخالفة الهوى و أنشد :

إذا ما دعيتك النفس يوما لحاجة و كان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنما هواها عدو و الخلاف صديق

فالهوى بالقصر الحب و بالمد فهو النسيم النافع و اللوم العذل ، و قيل :

نسب الهوى العذرى إلى بنى عذرة لرقه نفوسهم و عفتهم . فقد قيل إنه ١٥

سئل رجل من بنى عذرة : ممن أنت ؟ قال : من قوم اذا عشقوا ماتوا ،

فقيل : و لم ذلك ؟ فقال : لأن فى نساءنا صباحة و فى فتياننا عفة ، فقيل :

يا أخا العرب ! فما الحب عندكم ؟ فقال : أعين تتلاحظ و ألسن تتلافظ

و عداة تقتضى و إشارات تدل على السخط و الرضى ، فقيل : أين أنت

(١) فى الهامش : الهوى .

بما قال الشاعر؟ فقال: وما قال؟ قال: قال:

رأيت الحـب ليس له دواء سوى وضع البطون على البطون
و طعن تدمع العينان منه وأخذ بالمناكب والقرون
أى قرون الشعر، فقال: ذلك طلب الولد، إذا وقع فيه ما ذكرت فسد، وأنشد:

٥ ما يعلم الشوق إلا من يكأيدُه ولا الصباة إلا من يعانِيها
أما سمعت قول مجنون ليلى:

أحبك يا ليلى على غير ريبة عليه جميع المصعبات تهون
له عبرة تهمل و نيران قلبه وأجفانه تدرى الدموع عيون
فيا ليت أن الموت يأتي معجلاً على أن عشق الغانيات منون

١٠ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب خبراً المجنون و ما قاسى فى هوى ليلى
من الفتون حتى سمي «المجنون» و كذا عروة بن حزام العذرى قاسى فى
هوى عفراء من المحنة ما أورثه الفتنة و هو القائل فيها:

١٥ خليلي من عليا هلال بن عامر^١ بصنعاء عوجا اليوم فانتظراني^٢
[٤٤:ب] ولا تزهدا فى الذخر عندى وأجملا فانكأبى اليوم مبتليان
ألم تعلميا أن ليس بالمرج كله أخ و صديق صالح يكلان

(١) زيد بن قيس .

(٢) بنى بنى : بالمجنون .

(٣) انظر الأغاني (طبعة الساسى) ج ٢٠ ص ١٥١ و ١٥٢ ، ١٥٥ و فيه أجزاء
أخرى من القصيدة .

(٤) و فى الأغاني : و انتظرانى ، و وقع فى الأصل : فانتظران - كذا ، و لم نظفر
بالأبيات فى بنى .

ألا فاحملاني برك الله فيكما
 على أحد الأضلاب واهية الكلى
 أما على عفراء إنكما غدا
 متى تضعا عنى القميص تبينا
 لقد تركت عفراء قلبي كأنه
 أكلف من عفراء ما ليس لي به
 وقد تركتني ما أعي لمحدث
 وإني لأهوى الحشر لو قيل إنني
 ولو أن عيني ذى هوى فاضتا دما
 فإليت كل اثنين بينهما هوى
 فيقضى محب من حبيب لبانة
 ألا يا غراي دمنة الدار بيننا
 فإن كان حقا ما تقولان فانهضا
 ولا يعلمن الناس ما كان بيننا
 أناسية عفراء وصلى بعد ما
 أعفراء كم من عبرة أنت هجتها
 ألا لعن الله الوشاة وقولهم
 يكلفني عمى ثلاثين بكرة
 فإليت عمى يوم فرق بيننا
 إلى حاضر الزوراء ثم ذراني
 تقطع منها اليد بالوخدان
 بوشك النوى والبين معترفان
 بن السقم من عفراء يا فتيان
 جناح غراب دائم الخفقان
 ولا للجبال الراسيات يدان
 حديثا ولو ناجيته و دعاني
 و عفراء يوم الحشر نلتقيان
 لفاضت دما عيناى تبتدران
 من الناس بعد اليأس يلتقيان
 ويكلاهما ربي فلا يريان
 أبالهجر من عفراء تنتحبان
 بلحمى إلى و كريكما فكلان
 ولا يطعمن الطير ما تذران
 تركت له ذكرا بكل مكان
 وأذريت دمع العين بالهملان
 فلانة أضحت خلة لفلان
 وما لي يا عفراء غير ثمان
 وضج لوشك الفدقه الضردان

(١) وقع في الأصل : انى - كذا محرفا (م) في الأصل : ط . و هو حائر أريد .

ألا ليتنا عرفاء من غير ربية بعيران نرعى البهم مؤتلفان

إذا ما وردنا منها صاح أهله وقال بعيرا غرة جريان

ألا ليتنا نحيا جميعا و ليتنا إذا نحن متنا ضمنا كفنان

قوله: نرعى البهم مؤتلفان، البهم صغار الضأن، قال قيس المجنون:

٥ تعلقت ليلي وهي غير صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

[٤٥: الف] وقال بعضهم في شكوى الهوى:

ألا من يطارحنى فى الهوى فأشكو إليه ويشكو إلى

ونذكر قصتنا فى الهوى فأبكي عليه ويبكى على

١٠ ويسعدنى بدما مُقلتيه وأسعده بدما مقلتى

فقد طال حزنى ولا هؤنس أفاديه من شجنى يا أخى

تقضى زمانى فوا حسرتى وما لى من داء قلبي دوى

ألا هل معين إلا مسعد ألا راحم لقتيل الهوى

فأواه أواه من لوعتى أموت وفى القلب ذاك الجوى

١٥ فى صاحبي اندبياً واندبياً قتيل المحبة يا صاحبي

ونوحا على من مضى عمره وما فاز من أهل نجد بشى

فيا أهل ودّى ألا رحمة ألا عطفة أهل ودّى على

فهجركم قد أذاب الحشى وقلبي كواه الجفا أى كى

أموت بحبكم حسرة ولا تنظروا أهل ودّى إلى

٢٠ فوا حسرتى أترى هل أرى بعينى يوماً داراً لى

(١) كذا وبه لا يستقيم الوزن - ولعله: دياراً.

وأصبح من بعد موت الجفا يبعث التواصل في الحى حتى

وقال عبد الرزاق العامري في مغازلة أحيابه :

غازلت غزلانكم يا أهل كاظمة
شغلتم ناظري عن غيركم بكم

وقال بعضهم في رحيل أحبته عنه :

أناخوا جمالا وحازوا جمالا

وقد حملوا البدر في هودج

ومن بقر الوحش أنسيّة

فساروا على عجل إذ نأوا

فصبر جميل على سيرهم

وقال الملك شاهنشاه صاحب حماة في ديوانه المشهور :

أراها عن الجزع تبغى عدولا

وما ذاك إلا لأن سعا

[٤٥:ب] أطعت الغواية في حبها

وما ذا على سائق اليعملا

أعلى أخالساها نظيرة

وانظر من بين سجع الحد،

١٥
ت لو عطف العيس نحوى قذرا
التشفي فؤادا متقيا عذرا
ج طرفا كخيلا وخذ أسيرا

(١) زيد بن الأحمّد .

(٢) بن : العذولا .

(٣) بن : سعادا .

(٤) بن : صقيلا .

و لبعضهم :

ياراكب الوجناء في جنح الدجى
إياك أن ترد العذيب فدونه
عربٌ تُخال إذا حلت بأرضهم
أتروم وصل عُرب وادي المنحنى
كم مُدع سلك الطريق إليهم
يا عاذلى كفت الملام فأن لى
من رام فى شرع المحبة مطلباً
و لبعضهم فى بدوية :

غفولان عنا ظلت أبكى وتبسّم
ولم أر مثلى ميتاً يتكلم
ولما اجتمعنا و النوى و رقبنا
فلم أر بدراً طالعا قبل وجهها
و قال العفيف التلمسانى :

عُرب الحمى قلبى فى هواكم
رحلتكم عن حمى الوادى سميراً
نزيل فى دياركم غريب
وسرتم و هو خلفكم جنيب
و قال أيضاً :

و بنجد عُرب نزولاً أضاعوا
ضربوا خيمة المليحة فى الرو
للجبين حرمة النزلاء
ض و أجروا أنهارها من بكائى

(١) وقع فى بن : الثرى - كذا .

(٢) فى بن : يفر .

(٣) فى بن : وجهه .

(٤) فى بن : الحمى .

(٥) فى بن : نزلوا .

و دعوا للعقيق دمعى ومن أين لدمعى العقيق لو لا دمانى
فهم لا عدمتهم أطلقوا الدمع و قلبى معهم من الأسراء
و قال أيضا:

عندى لكم يا أهل كاطمة أسرار وجد حديثها عجب
أرى بكم خاطرى يلاحظنى من أين هذا الإخاء والنسب
واشرب الراح حين أشربها صرفا و أصحو بها فما السبب
خمرتها من دمي و عاصرها ذاتى و من آدمعى لها الحبيب
إن كنت أصحو بشربها فلقد يسكر قوما بها و ما شربوا
هى النعيم المقيم فى كبدى وإن غدت فى الكؤوس تلتهب
[٤٦: الف] فغن لى إن سقيت يا أملى باسم الذى على يحتجب ١٠

و سمي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى كما تذبل العُشقة إذا قطعت .
و العُشق بضم العين اللباب، الواحدة عُشقة . قال بعضهم فى الولوع بالعشق:

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطوق
رأى لجة ظنها موجه فلما توسط فيها غرق

و قال بعضهم:

١٥
مساكين أهل العشق راحتهم عنا ولا حظ فى الدنيا لهم ولا جاهها
سألتك خلو البال لا تقرب الهوى ولا تغش حتى العامر به عمده
تراق دماء العاشقين بدارها ومن طاف حول الدار به شك يغشده

(١) كذا، ولا يستقيم به الوزن .

(٢) فى بن : لبلاية .

(٣) زبد فى بن : و .

(٤) فى بن : به اراها .

(٥) زيد فى بن : ان .

وقال الشيخ أبو العباس المرسى :
 ورأيتُ أسباب المنى مقطوعة من دونها باليأس من أسبابها
 إلا لمن أعطى الصبابة حقها و أتى بيوت الحى من أبوابها
 رأت فأرة جملا فأعجبها فعشقتة فسكت بزمامه فتبعها فلما وصلت
 ٥ إلى باب بيتها دخلت و بقي الجمل واقفا فأخرجت رأسها وأشارت إليه
 بالدخول ، فقال بلسان حاله : يا هذه ! إما أن تتخذى دارا تليق بمحبوبك
 أو محبوبا يليق بدارك ، فاحترق قلبها بالنار لضيق الدار .

قال العتي : قلت لأعرابي : حدثني بأعجب ما رأيته ، قال : نعم ، بينما أنا
 أسير في بعض الفلوات : إذا أنا برجل قد نصب حباله فقلت له :
 ١٠ ما أجلسك ههنا ؟ قال : أهلكنى و أهلى الجوع فنصبت حبالى لأصيد لهم
 شيئا و لنفسى ما يكفىنا و يعصمنا يرمننا هذا ، قلت : رأيت إن أقت
 معك فأصبنا صيدا تجعل لى منه جزءا ؟ قال : نعم ، فيما نحن كذلك
 إذ وقعت ظبية فى الحباله فخرجنا نبتدر فبدرنى إليها فخلتها و أطلقها . فقلت :
 ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى ، و أنشد يقول :
 ١٥ أيا شبه ليلى لا تراعى فانسى لك اليوم من وحشية لصديق
 أقول و قد أطلقتها من وثاقها فأت ليلى ما حيت طليق
 و قال صردر الشاعر :

يقول خليلى و الظباء سوانح أهذا الذى تهوى فقلت نظيرها

(١) فى الهامش : زكيتة .

(٢) فى بن : حبالتى .

[٤٦: ب] لئن شابهت أجيادها و عيونها
 فيا عجبا منها تصد أنيسها
 وما ذاك إلا أن غزلان رامة
 ألم يكفها ما قد جنته شمسها
 أيا صاحبي استأذنا لي خمورها
 هبها تجافت عن خليل يروعها
 وقد قلتما لي ليس في الأرض جنة
 فلا تحسبا قلبي طليقا فاما
 يعز على الهيم الجواميس وردها
 أراك الحمى قل لي بأى وسيلة
 و قال العفيف التلمساني :

لا تلم قلبا إليها قد صبا
 تنفح العشاق منها نفحة
 مبسم عذب و جفن ذابل
 و قال قيس المجنون في ليلي العامرية :
 أموت و مهجتي بالنار تصلى
 لقد حرمت نومي في هواها
 إنما اللوم على قلب صبر
 كنسيم الورد بالماء اختمر
 صحح الوجد به لما انكسر
 و لم السق إلى ليل وصول
 و أجريت الدموع دما يسير

(١) في بن : تساعدتها .

(٢) في بن : خمورها .

(٣) في الأصل : ألقى .

(٤) كذا : في الأصل .

سأصبر أو تذوب الروح مني و لا يشمت بحالتنا عذول

وإن بالحب فاضت فيك روحى فصبرى عنك يا ليلي جميل

و قال ابن الفارض :

فأظهرني سقم به كنت خافيا له و الهوى يأتي بكل عجيبة

ه قال العفيف التلمساني : الآن من العجب أن يكون الظهور بما به كان الخفاء ،

و في هذا المعنى قال الشاعر :

أخفي هواه فيخفيني الهوى سقما و ذو الهوى كلما أخفاه أخفاه

فالحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلطفه و إنما تظهر بشيائه ، و لا يفهم

حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع اقتراح الأسرار و القلوب ،

١٠ كما قيل :

[٤٧: الف] يترجم طرفي عن لساني بسرّكم و يهدى الهوى مني الذي كنت أكرم

تشير فأدرى ما تقول بطرفها عم يطرف طرفي عند ذاك فتعلم

تكلم منا في الوجوه قلوبنا فنحن سكوت و الهوى يتكلم

و قال بعض [في] الهوى :

١٥ على باب ليلي ما ألدّ تذليلي و أعذب تسالي و أحلى تطفلي

مددت إليها كف ذلي لعزها و قلت لها ما شئت بالعبد فافعلي

رمتي بسهم حين ودّعت ركبها تزودته منها فلم يخط مقتلي

و من عجبني أني جريح و كلما رمتي بسهم إثر سهم يلدّ لي

و لما اعتراني أنها لا تريدني و أنّ هواها لست عنه بمعزلي

(١-١) كذا ، ولعل العبارة تتعلق بشعر التلمساني و لم نظفر به .

(٢) في الأصل : عنها .

تمنيتُ أن تهوى سوى أعلّها تذوق مرارات الهوى فترقّ لي
فما كان إلا عن قليل تولّعت بحبّ غزال أهيف القد أكحل
فعدّتها بالبعد و الصدّ و الجفا و ذوقها ما كان قلبي به يُبلى
فقلتُ لها هذا بذاك فأطرقت حياء و قالت كل من غير ابْتلى

و لبعضهم :

يا صاح ما بال نسيم الصبا قد بَّـ بُرديه دموع الغمام
و هام في الآفاق مُضنى فهل هام بليلى فاعتراه السقام
معانقا أغصان بان اليمى إذ اشبهت في اللين منها القوام
كأنما الأغصان إذ هيئمت حيا و قد ردت عليه السلام

و كان قيس المجنون يحبّ ليلي العامرية حبا شديدا حتى أُجنّ بسببها ،
و كانت سلمى العامرية تحبّ المجنون حتى تولّعت من محبّته ، و المجنون
لا يريد غير ليلي فقال منشدا :

جئتنا بليلى وهي جئت بغيرنا ، أخرى بنا مجنونة لا تريدنا
و لو علمت ليلي بما في ضمائري من الوجد ، تمزج قل صددها

و لبعضهم :

صل من هويت و دع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى ناسد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا من عاشقين على و شى ناسد
متعانقين عليهما لحف الهوى متعانقين معصم ، ساعد
يا من يلوم على الهوى أهل الهوى هن نستطيع صلاح قوب ناسد

فالهوى لذيد المطعم لكنه يؤذى صاحبه كما قال بعضهم:

[٤٧:ب] هوى يلدّ و يؤذيني لذاذته كما يلدّ و يؤذى حكمة الجرب

قال بعضهم:

ان المرأة لا تريب ك جمال وجهك في صداها

و كذاك نفسك لا تريب ك قبيح فعلك في هواها

٥

و قيل: إن ليلي العامرية دخلت بغداد بعد أن كبرت و صارت عجوزة

نخيفة قد دقّ عظمها و يبس جلدّها فقيل للخليفة: إن ليلي العامرية

قدمت بغداد، فقصد أن يراها، فأحضرت فلما وقع بصره عليها اشمأزها

و قال متعجبا: أنت ليلي التي صار بك قيس مفتوناً حتى سمى بالمجنون؟

١٠ فقالت: أنا ليلي يا أمير المؤمنين! و لكن ليس بعينك رأني، و لا بقلبك

اشتهانى، و أنشدت قول المجنون فيها:

فيا ليت شعري هل أموتنّ حسرة بليلي و ليلي ساعة ما ترانينا

و إني لا أخشى إن أموت صباة و في النفس حاجات بليلي كما هيا

على مثل ليلي يقتل المرء نفسه و إن بات من ليلي على اليأس طاريا

١٥ و مما قيل في المعنى:

توهمت قدما أن ليلي تهرقت و إن لثاما دونها يمنع اللثما

فلاحت فلا و الله ما كان حجها سوى أن طرفي كان في حسنها أعمى

و قيل: إن ليلي توفيت بعد وفاة المجنون بأيام قلائل كما سيأتى ذكر ذلك

(١) في الأصل: الذي - كذا.

(٢) كذا لرعاية القافية، و إلا فالظاهر: مفتونا.

في ترجمتها إن شاء الله تعالى . فلهوى^١ لذع في الفؤاد كاذع النبال و ليس له دواء إلا الوصال . أحكى أبو عبيدة معمر بن المثنى قال : حجّ أمير المؤمنين عبد الملك و حجّ معه خالد بن يزيد بن معاوية و كان من رجالات قريش المعدودين و علمائهم و كان عظيم القدر عند عبد الملك فينما هو يطوف بالبيت و إذا بامرأة مكّيّة تطوف من أحسن النساء فسأل عنها ، فقيل : ه إنها رملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقا شديدا و وقعت بقلبه . قوعا متمكنا ، فلما أراد عبد الملك القفول إلى الشام و همّ خالد بالتخلف عنه فبعث إليه عبد الملك و سأله عن أمره و تخلفه عن السفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! حقيقة السر ما لا يظهر أبدا ! قال : لا بد أن تخبرني بخبرك ! فقال : يا أمير المؤمنين ! قال الشاعر :

و لها سر أرى في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيّبه
[٤٨ : الف] فقال : الغالب على الضمير أن لا ينسى السر فأخبرني بخبرك .
فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت قد أذهلت عقلي ! و والله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري ! و لقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله و السُّلُو على قلبي فامتنع منه ، فأطال عبد الملك التعجب ١٥ من ذلك و قال : ما كنت أقول إن الهوى يستأسر مشاك ، قال : و أن و الله أكثر تعجبا منك و كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس : الشعراء و الأعراب ، أما الشعراء فانهم الزهوا قلوبهم الفكر في النساء و الغزل فما ل طبعهم إلى النساء فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى (١) في الأصل : فلهوى (٢) في الهامش : حكاية .

فاستسلموا إليه منقادين؛ و أما الأعراب فان أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون
 الغالب عليه غير حُبه لها و لا يشغله شيء عنه فضعفوا عن دفع الهوى
 فتمكن منهم . و جملة القول: يا أمير المؤمنين! فما نظرت نظرة حالت بيني
 و بين الحزم و حسنت عندى ركوب الإثم مثل نظرتى هذه ، فتبسم
 عبد الملك و قال: أوكل هذا قد بلغ بك؟ قال: و الله ما عرفت هذه
 البلية قبل وقتى هذا! فوجه عبد الملك إلى آل الزبير فخطب رملة على
 خالد فذكروا ذلك لها ، فقالت: لا و الله أو يطلق نساءه امرأتين كانتا
 عنده ، فطلقهما و تزوج بها و ظعن بها إلى الشام و أنشد:
 أحبّ بنى العوام من أجل رملة و من أجلها أحببت أخوالها كلبا
 ١٠ - و هى أبيات؛ فلما وقف عليها عبد الملك نظم بيتا و دسّه فيها ليكيد به
 خالدا، لأن خالدا كان يروم الخلافة كأيّيه يزيد و جده معاوية ،
 فقال عبد الملك: يا خالد! أنت القائل:
 فان تسلمى أسلم و إن تنصرى يحطّ رجال بين أعينهم صلبا
 فقال خالد: لعن الله قائل هذا البيت! و لم يعلم خالد قائله ، فحجل
 ١٥ عبد الملك و لام نفسه بنفسه . و لبعضهم فى معنى محبة خالد بن يزيد لرملة
 و هى تطوف:

رب خود لقبيتها فى الطواف ذات حسن و بهجة و عفاف

قلت من أنت يا مليحة قالت أنا من حى آل عبد مناف

قلت أين المحل منك فقالت بالعقيقين منزلى و انصرافى

٢٠ [٤٨: ب] قلت جودى بقبله منك قالت يفعل الناس هكذا فى الطواف

إن قضى الله حجنا و انصرفنا ليس في الوصل بيننا من خلاف

و لبعضهم :

ممتى يا جيرة الشعب سرّ بوصلكم قلبي
و تجمع بيننا دار على الاكرام و الرحب
أهبل الحى و اعطشى لذاك المنهل العذب
و أيام بلا عتب تقصّصت في هوى عتب
إذا ذكرت لياليه تهيج لواعج الصب
و يحيى قلب عاشقه حديث نسيمه الرطب

و اعلم أن الوفاء بالمحبة ذلّ المحبوب لمحبوبه ، قال الشاعر :

من لم يذلّ لعز من بهواه لم يظفر و أى هوى بغير هوان^{١٠}

فالهوى هو الهوان بعينه و لكن سُرقت نونه . قال بعض الأطباء لما سئل :

ما دواء العشق ؟ فقال : دواؤه الوصال ، قيل : فان تعذر عليه الوصال ؟

قال : يداوى نفسه بالتدبير المرطب بمنزلة الاستحمام^٢ بالماء العذب

و الركوب و الرياضة المعتدلة ، التمريخ^٣ بدهن البنفسج و شرب الشراب

و النظر إلى البساتين و المزارع النضرة الزهرة و السماع الحسن و الأغاني^{١٥}

الطيبة و ضرب العيدان ، الناي و المزامير^٤ و الرقص و الطرب ، كما قال

الشاعر في راقصة و عوادة^٦ و زامرة و مدفقة :

(١) في الأصل : الكرام .

(٢-٣) كذا في الأصول ، و بهذا لا يستقيم الوزن ، اعلاه : لم يظفر و اعلى بغير

هوان ، و زيد فيه : ي .

(٣) من بن ، و في الأصل : استحمام - كذا .

(٤) وقع في الأصل : التمريخ - كذا بالجيم مصحفاً .

(٥) في بن : مزامير القصب .

(٦) من بن ، و وقع في الأصل : نوذية - كذا .

و راقصة لقطت رجلها حسابا به نقرت طارها

فهذي تعانق عودا لها^١ و تلك تقبّل مزمارها

قال بعضهم - لغز في ناي .

و أسود في كف^٢ مجدولة زرى له خلقة منكزه

إذا استمسكت سرها عنده فأحسن ما فيه أن يظهره

يرد على اللحن أمثاله بغير اسان و لا حنجره

و لبعضهم في الناي أيضا :

ينطق بالصوت قبل يأتي كأن في نايها لسانا - انتهى

نعود إلى قول^٣ الطبيب أيضا : و يشغل العاشق أيضا أفكاره

١٠ بالأحاديث و الأسمار و أخبار الزهاد^٤ و يشتغل بالأشغال^٥ و الأعمال

و التصرف فان الأشغال تلهي الأفكار عن المعشوق^٦ فانه إذا طال ذلك

بالعشاق سلوا عن معشوقهم ، و أيضًا فان الجماع^٧ لغير المعشوق فانه إذا

طال ذلك بالعشاق^٨ ما ينقص عن العشق و يزيل^٩ الفكر فيه و التباعد عن

المعشوق ، قال [٤٩ : الف] الشاعر على لسان حال العشاق :

(١-١) وقع في الأصل : عود لها ، و في بن : عودها .

(٢) من بن ، و وقع في الأصل : كفه .

(٣) في بن : مقالة .

(٤) زيد في بن : الأخيار .

(٥) من بن ، و وقع في الأصل : بالاشتغال .

(٦) في بن : العشق .

(٧) وقع في بن : الإجماع .

(٨) وقع في بن : يزيد - كذا مصحفا .

يا معشر العشاق قوموا بنا نبيكي عسى يرحمنا الله
 و نطلب الهجر بأنفاسنا فان وجدناه قتلناه
 فان وجدنا عاشقا مثلنا مات من العشق دفناه
 قال بعضهم: وقد يكون المعشوق سمجا و يعشق، كما قال الشاعر:
 و كم في الناس من حسن و لكن أذ العيش ما تهوى القلوب
 و قيل: العاشق يزيد الوصال غراما لزيادة الجمال، و كل ما زاد الجمال
 زاد الكشف عن ترقى الجمال في عين العاشق بحسب زيادة غرامه دائما.

(١) في بن: بأنفسنا.

(٢) زيد هنا على النص في «بن» [٣١: ب - ٣٢: ب] حكاية يزدجرد كما يلي:
 حكى أن يزدجرد أحد ملوك فارس كان يوما على فراشه جالسا لشرابه و ندمائه
 حوله، فانتقبض فنهض كل من كان بحضرته من ندمائه و سُمَّاره، و كانت تلك
 عادة ملوك الفرس اذا عبس الملك منهم أو أطرق لم يبق بحضرته أحد الا استوى
 قائما على حال خشية و سكون، و كان يزدجرد مضحك ظريف اللسان لطيف الفطنة
 حسن الهيئة جيدا... حاو النادرة فحضر ذلك المقام، فبينما هو كذلك اذ رفع الملك
 رأسه إلى الضحك فنظر إليه كأنه يحركه أن يصنع شيئا فيه سلاوة فسجد المضحك
 ثم جثا على ركبتيه و قال إن المملوك الدليل يستأذن الملك الجليل أن يجبره عن
 نفسه بجبر عجيب، فنظر إليه كالإذن له، فقال المضحك إن المملوك كان في حد ذاته
 سبه كلفا بالنساء مفرط الشبق إليهن الا كان ملولا لا يثبت على محبة من أحب
 منهن، و كان قد عشق امرأة هام بها و تهالك في حبها، و ان المملوك سافر إلى
 بلاد السند، فبينما هو يطوف ببعض مدنها رأى امرأة لم ير قبلها مثلها في حسن
 الصورة، و امتداد القامة، و رشاقة الحركات، و لباداة الإشارات، و سحر
 الكلام و تأنق الظرف، فتبعها المملوك و هو لا يرى، و اطمى قدميه من الدهش

== حتى بلغت منزلها فدخلت، ولزم المملوك بابها ليلا ونهارا، فأرسلت إليه تستعفيه من لزوم بابها، وتحذره سطوة أهلها، فشكا المملوك إلى رسولها ما يلقاه من الحب لها، والشغف بها، وأنه لا معدل له عن بابها، وأنها تمنعت عن المملوك مدة، ثم أعادت رسولها إلى المملوك فرددت إليها بمثل كلامي الأول، فأرسلت تقول إني أظن بك الهلك والغدر و لو لا ذلك لأسرعت إلى مساعدتك وإلى تزوجك بشرط الوفاء فان غدرت أهلكتك بعد أن انكل بك نكالا يضرب به المثل، فان التزمت هذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل أن يتعذر عليك الخلاص، وكان يقال من أوضح وبين، فقد نصح وزين، ومن حذر وبصر، فأعذر ولا قصر. قال المضحك: فالتزم المملوك الشرط وأعطى من نفسه الموثيق على الوفاء، فتزوجتها وبلغت منها الأمانة ولبثت معها مدة فزارها واحدة من أقاربها فلمحتها فأعجبته ومالت نفسي إليها فتبعته إلى منزلها وجعلت أرسلها وتردد إلى بابها فتبرمت من ذلك وشكته إلى امرأتى فزجرته ونهته عن ذلك وذكرته العهود والمواثيق، فلم يزدني ذلك إلا حبا ولحاجا، فلما رأته ذلك منى سحرته، فصرت أسود اللون مسود الوجه وجعلت تستخدمني في كل مهنة، فإنا فيه عن أن هويت أمة سوداء فجعلت اتبعها وأتعلق بها، فلما كثر ذلك على الأمة شكته إلى امرأتى، فلما بلغها ذلك اشتد غضبها على فسحرته، فصرت حمارا فجعلت تكريني لمن يكلفني في أشق الأعمال، ويحملني أثقل الأحمال، فلبثت على ذلك مدة مديدة، فلم يشغلني ما أنا فيه من البلاء عن أن هويت حمارة، فاشتد شغفي وصرت كلما رأيتها انهق وأطلبها أشد الطلب، وأرد عنها بالضرب، فلقيت من ذلك ألما شديدا، فاتفق أن امرأة المملوك زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في قصرها تشرف منه على ما حوله، وكان المملوك في ذلك اليوم قد استأجره شيخ ضعيف البدن، كبير السن، فاحتمل عليه أواني فخار في جوائق ومربي على القصر فرأيت عند ذلك القصر تلك الحمارة التي كنت أهواها، فإملاكت نفسي أن نهقت وقصدتها وفعلت ما يفعله الحمير .. ==

و سأذكر آياتا يسيرة من القصيدة الموسومة بسلسلة الرمل و أذكر
عروضها لبعضهم :

يا سلسلة الرمل من لوى بيت^١ خال هل آذن قومي إلى الغوير بترحال^٢
أشتاقك و العملات دونك قود من ذوى^٣ هوج^٤ سابل و أتلع ذيال
= على ذلك الإحليل ، و جعل الناس يضر بونى من كل جانب و الفخار يتساقط
عن ظهري و الشيخ يستغيث و يستنجد بالناس ، و جعل الصبيان و الناس
يعطفون من كل جانب و جهة و الحماره قارة بين يدي ترمح و أنا طالبها على
تلك الحالة و ابنة الملك تنظر إلى ذلك كله فأعجبها و أضحكها ، فقالت امرأة المملوك
التي سحرته : يا بنت ! ألا أخبرك بأعجب ما رأيت من هذا الحمار ؟ قالت لها : بلى . . .
و قصت عليها القصة من أولها إلى آخرها ، فاشتد تعجبها مما سمعت ، ثم أمرتها . . .
فأجابتها إلى ذلك و أبطلت السحر عن المملوك فعدت بشرا سويا و لم يكن لى
دأب إلا الفرار (!!) . . . فلما انتهى المضحك من حديثه إلى هذا المبلغ سكنت
و كان ملك يزدجرد قد اشتد ضحكه . . . المضحك و لما شاهده من حركاته
فى وقت حديثه ، فلما سكن ضحكه و عاوده الوقار و الأبهة أقبل على المضحك و قد
اكفهر له و قال : ويحك ! ما حملك على أن تكذب هذه الكذبة الشنعاء كأنك
ما علمت أنا نحصى (!!) الكذب على رعيتنا ، فقال المضحك : أيها الملك السعيد
ان هذا مثل تضمن من الحكم ما يعود بمصلحة المرتاحين به ، و لما رأيتك قد عصيت
فى مجلس انك ، أردت بحدثنى هذا زوال غضبك ، و انشراح صدرك ، فوصاه
يزدجرد بصلة و رضى عنه - انتهى .

(١) فى الأصل : بيب - و صحته فى " بن " [٣٢ : ب] . و الآيات فى نسخة
معقدة حاولنا نسخها من الأصول بقدر الاستطاعة و بغير تصرف .

(٢) كذا ، و لعل الآيات من الموشحات .

(٣) فى الأصل : ذى .

(٤) فى بن : هوج .

- كم كان لنا منك من أغن غزير^١ يطفى علل القلب للعرائم حلال
من ذوى^٢ ترفدين المعاطف خشف أو خرعة فعمة^٣ الروادف معطال^٤
تلقاك وقد أسفرت فروج نقاب^٥ مثل عيون المها و صورة تمثال
وهي طويلة و المها بقر الوحش و قد عارضها بعضهم فقال :
- ٥ يا مائة العطف غصن قدك مبال يا كاملة الحسن ما لحسنك تمثال
أجفانك ترمي قلوبنا بنبال و الهدب لها الريش و المقوس نبال
من علم عينك سحر بابل حتى هبجن بقلبي من البلابل بلبال
الظبي له منك لفته و عيون و الغصن له الميل و القوام إذا مال
من قاس محياك بالغزالة جهلا من أين لها مثل خدك و الخال
- ١٠ المحيا الوجه^٦ ، و الغزالة اسم الشمس ، و الخال الشامة السوداء على الخد
الأحمر ، قال الشاعر :
- انظر إلى الخال على خدها و لونه الأسود و الحمرة
كطابع من عنبر حطه مبخر في وسط الجمرة
أو قطعة من بين مسك علت طافية في رائق الخمة
- ١٥ عرضت على الرشيد جازية فجعل يقبل طرفه و يديم التأمل إليها [٤٩ : ب] :

(١) كذا في الأصل ، و في « بن » : غزير .

(٢) في الأصل : ذى .

(٣) كذا في الأصل ، و في « بن » أيضا .

(٤) في بن : فعال .

(٥) في « بن » : قروح نقات ! (كذا) .

(٦) الوجه مكرر في الأصل .

ثم قال: ما أحسنها لو لا خنس بأنفها وخال بخدها، وكانت شاعرة
أدبية فقالت: يا أمير المؤمنين

ما حسد الظبي على جيده كلا ولا البدر الذي يوصف
الا وما أنكره فيها هذا الإمام العادل المنصف
الظبي فيه خنس بيّن والبدر فيه نكتة تعرف
فاستمع الرشيد قولها واشتراها .

وقال الشاعر يمدح الخال فقال في ملبح أسود:

يكون الخال في وجه قبيح فيكسوه الملاحه والجمالا
فكيف يلام من يهوى مليحا يراه كئسه في العين خالا

والخال من الزمان الماضي، والخال اللواء، والخال الخيلاء، والخال
قاطع الخلاء وهو نبات الأرض، والخال ضرب من البرود، والخال
السحاب، وسيف خال أى قاطع - انتهى .

نعود إلى بقية الآيات:

في ثغرك در ولؤلؤ و عقيق في بحر مدام و سلسيل و سلسال
يا مكسفة الشمس في بروج سماء يا منجلة البدر في تمام وإكمال ١٥
الناس يحلو بعسجد واجبين والشمس من البدر الكسوار و خالخال
أقسمت بعينك أنت قرة عيني يا ساكنة القلب ما لحبك ترحال
وجدى وجدى كما الغرام غريمى والعهد كما تعهدى و حالى ما حال
رقى لمحب متيم بك مضنى لا أحرفه اللوم عن هواك ولا مال

(١) من بن، وفي الأصل: الوجه .

(٢) في « بن » : اعرفه .

لو تقبلي الروح في الوصال و ما لي أعطيتك روحى و ما ملكت من المال
 بالوصل عدنى لعل يطمع قلبى بالوعد لأن العطاش تقنع بالآل
 الآل السراب الذى يرى فى البرية يحسبه الظمان ماء و ليس بماء .
 جادت بمزار و أنعمت بوصول فى كيد و شاة و حاسدين و عدال
 ضميت و قبلت مبسما و قوامبا عللت بمعسول و اعتقلت بعسال
 ما أسرع ما أصبح الصباح علينا ويحك يا وصل ما ليلك ما طال
 كأن قصد هذا المحب لو طال الليل ليطيل له الوصول كما قال بعضهم :
 هذه الليلة لا أصبح لها مثل يوم الحشر لا ليل له
 و للقاضى عبد الوهاب المالكي فى الغزل :

۱۰ [۵۰ : ألف] إذاملت للتقيل مالت تذلالا و قالت و ما تخشى و أنت إمام

فلا تحسبن الريق منى محطلا فريقى مُدَام و المدام حرام

ادو بيت فى معناه :

صيرت فى لفيه باللثم لثام عمداً و رشفت من ثنياه مدام
 فازور و قال أنت فى الفقه إمام ريقى خمر و عندك الخمر حرام

۱۵ و للقاضى عبد الوهاب ٢ :

ينبت دُرا ناضرا . ناظرى فى وجنة كالقمر الطالع
 فلم منعتم شفى قطفها و الحكم أن الزرع للزارع

(۱-۱) فى بن : و مما قيل .

(۲) فى بن : عدا - كدا .

(۳-۳) فى بن : و لبعض الفقهاء .

(۴) فى الأصل و بن : و جنته .

(۵) من بن ، و فى الأصل : قطعها .

و لآبي الطيب المتنبي يمدح البدويات و يفضلهن على الحضريات :
 من الجآذر في زيّ الأعراب سُحر الحلي و المطايا و الجلايب
 ما أوجه الحضر المستحسنت به كأوجه البدويات الرعايب
 أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب
 و لا برزن من الحَمَام مائلة^١ أوراكهن صقيلات العراقيب ه
 حسن الحضارة مجلوب بتطرية و في البداوة حسن غير مجلوب
 و من هوى كل من ليست بموهة و تركت^٢ لون مشيبي غير مخضوب
 و كان أبو بكر الخوارزمي يقول : أمير الشعراء أبو الطيب المتنبي ،
 و أمير شعره قصيدته التي أولها : من الجآذر في زي الأعراب ، و أمير
 هذه القصيدة^٣ :

١٠

أزورهم و ظلام الليل يشفع لي و أنثنى و ضياء الصبح يغري بي
 و كان المتنبي في حدائثه منه كذبوا عليه ، و شوا^٤ به إلى السلطان و زعموا
 أنه قد ادعى النبوة و أن قوما قد أجابوه ، أنه يريد الخروج على
 السلطان ، فحبسه السلطان و ضيق عليه ، فكتب إليه من الحبس يقول :
 و كن فارقا بين دعوى أردت . دعوى فعلت بشأ و بعيد ١٥

(١) في بن : عرفت .

(٢) في بعض المنشور من شعره : مائة .

(٣) من ديوانه ، و في الأصل : تركن .

(٤) بهامش الأصل : المتنبي .

(٥) زيد في بن : قوله .

(٦) في بن : وشي .

فأطلقه من السجن^١ و صار هذا اللقب علما عليه لا يعرف إلا بالمتنبي .
 و سأذكر الآن سؤال فقراء العرب و فصاحتهم في سؤا لهم - إن شاء الله
 تعالى؛ قال الأصمعي: رأيت أعرابية ذات جمال بارع بمنى تسأل الحاج
 فقالت: يا أمة الله! تسألين ولك مثل هذا الجمال^٢! قالت: قدر الله فما أصنع؟
 قلت: فمن أين معاشكم؟ قالت: هذا الحاج يتقممهم و تغسل ثيابهم، [٥٠: ب]
 قلت: فاذا ذهب الحاج فمن أين تعيشون؟ فنظرت إلى و قالت: لو كنا
 نعيش من حيث نعلم ما عشنا - ثم قالت:

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
 فلو صبرنا لكان الرزق يتبعنا وإنما خلق الإنسان من عجل
 ١٠ و لبعضهم في معناه:

جری قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك و السكون
 جنون منك أن تسعى لرزق و يرزق في غشاوته الجنين

١٥ قال الشيخ عبد العزيز^٣ الحراي: كنت مرة بقلوب و بين يدي صبرة
 قمح فجاء زنبور فأخذ واحدة ثم جاء فأخذ أخرى و فعل ذلك أربع
 مرات، فذهبت فاتبعته فاذا هو يضع حبة^٤ القمح في فم عصفور أعمى
 فوق غصن من أغصان تلك الأشجار التي هناك! فسبحان المدبر الحكيم!

(١) في بن: الحبس .

(٢) زيد في بن « البارع » .

(٣) في الهامش: زكوة، بمعنى حكاية .

(٤) في بن: عبد الرحمن .

(٥) في الأصل و بن: الحبة .

(٦) في بن: فقلت سبحان .

و قال بعضهم: حججت سنة من السنين فنزلنا واديا فبينما نحن جلوس إذ وقفت علينا جارية على وجهها برقع فقالت: يا معاشر الحجيج! نفر من هديل^١ ذهب تنعمهم و تمرست بهم الأيام فمن يراقب فيهم الدار الآخرة جزي خيرا! و أنشأت تقول:

- كف الزمان توّسدتنا عنوةً شلت أناملها عن الأعراب
 قوم إذا حلّ العفاة بياهم ألقوا نوافلهم^٢ بغير حساب
 فقلت لها: لو متعتيني^٣ بالنظر إلى وجهك! فكشفت البرقع عن وجه
 لا تهتدي العقول إلى وصفه، فلما رأتنا قد بهتنا نظر إليها^٤ أنشأت تقول:
 الدهر أبدأ صفحة قد صانها أبواي عند تمرّس الأيام
 فتمتّعوا بعيونكم في حسنها و انهوا جوارحكم عن الآثام
 قال: فجمعنا من بيننا رفقا و دفعناه لها و انصرفت^٥. و لعل الشيباني يسلم

(١) في بن: فيينا .

(٢) كذا، و لعله: هديل - بالذال المعجمة .

(٣) في بن: نواطم .

(٤) في بن: متعتينا .

(٥) من بن، و في الأصل: إليه .

(٦) زيد في بن: و قال الأصمعي: مررت بالحديبية فإذا اعرابي يسأل على باب عجوز... عليه: بورك فيك! فأنشأ يقول:

رب عجوز عرمس زبون سريعة الدّ على المسكين

تظن أن بـورك يكفيني و قد غدوت باسطا يميني

قال الأصمعي: فأخذت بيده فأتيت به المنزل فوضعت... الأكل فجعل ينقر

فقلت: ألا تستوفى أكلك؟ بلحني على ركبتيه فقال: إني على ما كان من هوأني

و فلة اللحم على أوسالي أجتو على الركبة و أعظم اللقمة فإن كان أريما أسره =

على بدوية تسمى « زينب » و يتشوق لها و لأمثالها :

يا راكب الوجناء من خزاعة يرفلها طورا و طورا خيبا

حتى آيت اللعن حتى زينبا^١ إن جزت بالربع و حتى زينبا

ما أنصفت زينب لما أنأت و خلفتني دنفا معدبا

أسامر النجوم إذا جنّ الدجى شوقا إلى غيد كأمثال الظبا

بيض حسان خرد كواعب إذا رنوا عجبا رأيت عجبا

[٥١: الف] يسفرن عن مثل الشمس أرجها و يختلبن القانت المهذبا

القانت: العابد. و قوله: آيت اللعن، معناه أى آيت شيئا تلتعن به. و اعلم أن

نساء العرب لهن اختيار فى سكنى البرارى و الفيافي و الفلوات و يفضلنها

= و إن كان لثما غصه الله بكذا و كذا - يصرح و لا يكفى. و قال الأصمى:

توضأ أعرابى فبدأ بوجهه و رجليه ثم استنجى، فقيل له: أخطأت السنة! فقال:

لم اكن أبدأ بالخبئة قبل جوارحى. و دخل أعرابى مسجدا بعد الفجر فوجد

الإمام يصلى سورة البقرة و أطال الوقوف حتى ضجر، فلما صلى الإمام الركعة

الثانية قرأ الإمام فيها «الم تركيب فعل ربك باصحب الفيل» فقطع الصلاة و خرج

من المسجد و هو يقول: الفيل أكبر من البقرة و متى يفرغ منه؟ ولى

منصرفا. و قال الأصمى: صلى أعرابى خلف إمام فقرأ الإمام السجدة، فلما

انتهى إلى موضع السجدة خر ساجدا من غير ركوع و سجد القوم معه، ففرغ

الأعرابى و خرج هاربا و هو يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون، الحمد لله على السلامة!

فقلنا له: ما دهالك؟ فقال: صعق أهل المسجد و نجاني الله عز و جل من بينهم. و اعلم

أن العرب لهن اختيار - الخ.

(١) وقع فى الأصل: زينبا - كذا.

(٢) وقع فى الأصل: زينب - كذا.

على سكنى الحاضرة^١ و الآيات . أخبرني موسى البدوي السالمي أحد بني سالم النازل في بيوت الشعر بأرض تروجة قال : دخلت الإسكندرية مستصحبا معي والدتي عجوزا^٢ كبيرة لبعض السبب ولم تكن أبدا دخلت بلدا ، فلما حصلت بالإسكندرية قالت : يا ولدي ! أخرجني من هذا البلد العفن الذي ضيق رؤيته أنفاسي و جلب الغم على إحساسي ، قال : فبادرت و أخرجتها إلى البر ، فعند ذلك قالت : ذهب الآن عنى الهم و الغم . و كانت أم يزيد بن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان امرأة بدوية لم تر الحاضرة قط ، فلما تزوجها معاوية نقلها من البادية إلى القصور العالية بدمشق و كانت تسمى ميسون بنت بحدل ، فاشتقت إلى وطنها بالبر فأنشدت تقول :

١٠ لبيت تخفق الأرياح^٣ فيه أحبّ إلىّ من قصر منيف^٤
 و كلب ينبح الطراق عنى أحبّ إلىّ من قطّ الوف
 و لبس عباية و تقرّ عيني أحبّ إلىّ من لبس الشفوف
 و خرّق من بنى عمّ نحيف أحبّ إلىّ من علج عنيف^٥

فلما سمع معاوية الآيات قال : صيرتني البدوية علجا ، فطلقها و ردها إلى

(١) في بن : الدور .

(٢) وقع في الأصل : عجوز - كذا .

(٣) من بن ، وفي الأصل : الارواح .

(٤) قصيدة مشهورة و فيها آيات أخرى :

و أكل كسيرة في كسر يدي أحبّ إلىّ من أكل الرعيف
 و أصوات الرياح بكل فجع أحبّ إلىّ من نقر الدهوف
 (٥) وفي بعض النسخ : عجل عنيف .

أهلها و حمل على قلبه من كلامها ، و صار كما قال الشاعر :

و قد يرجى لجرح السيف براء و لا براء لما جرح اللسان

فالدوية أبدا لا تحب غير وطنها و مرباها الذي ربيت به^١ و نشأت فيه^٢.

قال زيد بن عمرو الثعلبي : كان فينا رجل له ابنة جميلة و كان له ابن أخ

يهواها و تهواد ، فمكثا على ذلك دهرا ، ثم ان الجارية خطبها بعض

الأشراف يرتحل بها من البادية إلى الحاضرة و أرغب في المهر فأنعم

أبوها و اجتمع القوم للخطبة ، فقالت الجارية لامها : يا أمه ! ما يمنع أبي

أن يزوجني من ابن عمي و يتركني بأرضي مكان إني و موطني^٣ ؟ قالت :

أمرا كان مقضيا ، قالت : و الله ما أحسن رباة صغيرا ثم يدعه كبيرا !

ثم قالت : [٥١ : ب] أي أمه ! إني و الله منه حامل فاكتمى إن شئت

أو بوحي ! فأرسلت الأم إلى الأب فأخبرته^٤ الخبر ، فقال : اكتمى^٥ هذا

الأمر^٦ ، ثم خرج إلى القوم فقال : يا هؤلاء ! إني قد أجبتم و إنه قد حدث

(١) في الأصل و بن : التي .

(٢) في بن : فيه .

(٣) زيد هنا في « بن » [٣٤ : الف] قال بعض الحكماء يداوى كل عليل

لبقر اط ما بال الإنسان يضطرب بدنه كثيرا اذا شرب دواء ، قال : مثل البيت

أكثر ما يكون فيه كمنس . و قال الشاعر في حب الوطن :

و حب لأوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالك

(في بن : اوطان - كذا ولا يستقيم به الوزن)

إذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهد الصبي فيها يحنو لذلك

(٤) في بن : تمنع .

(٥) في بن : وطني .

(٦) في بن : تخبره .

(٧-٧) في بن : الخبر .

أمر رجوت فيه الأجر^١ وإني أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان! فلما انقضى ذلك قال أبوها: أدخلوها عليه، فقالت الجارية: هي^٢ بالرحمن كافرة! إن دخل عليها سنة أو تبين حملها! فما دخل عليها إلا بعد سنة، فلم أهلها أنها احتالت على أبيها حتى زوجها به وأقامت بمكان مرباهما^٣، قال بعضهم يمدح العيون في براقعها: ٥

عيون الغواني من حواشي البراقع
أحد من البيض الرقاق القواطع
إذا غضبت ذل الشجاع وأصبحت
محاجرته مقروحة بالمدامع
وقال بعضهم:

من لاحظ الأعين المراض ضحوة^٤
وعاين الحور الفتان والدعجا
يرجو حياة فلا والله ما فتكت
تلك اللواحق في قلب امرئ فنجأ ١٠
وقال ابن الفارض:

ومن يتحرش بالجمال إلى الردى
أرى نفسه من أنف العيش ردت

(١) في بن: الأمر.

(٢-٢) في بن: الكافرة.

(٣) زيد هنا في « بن » [٣٤ : ب] قال بعضهم:

لا تغرب عن وطن واحذر تصاريف النوى

أما ترى الغصن إذا فارقه الأصل زوى

(في بن: فارق - كذا ولا يستقيم به الوزن)

سؤال في الحلوان الذي تأخذه العرب في تزويج بناتهم وأخوانهن لأنفسهم.

الجواب: لا يحمل للولى أخذه ولا أكله. ومن أهله لا يجوز شهادته (في بن:

شهادة) ولا يجوز عليه صدقة - الخ.

(٤) في الأصل وبن: ضعى - كذا ولا يستقيم به الوزن.

و نفسى ترى فى الحبّ ألا ترى عنا متى ما تصدّت للعبابة صدّت
و أين الصفا هيئات من عيش عاشق و جنة عدن بالمكاره حُفّت
و قال ابن عطاء الله :

و ما لاقى الأحبة مثل بُعد تفتت منه حبات القلوب
و من يعشق معزرة شرودا فلا يسأم مَقاساة الكروب ٥

و لبعضهم فى العيون و فضلها على السيوف و الرماح :

إنّ العيون السود أقوى مَضربا من كل خطى و كل يمان
فضل العيون على السيوف لآنها جرحت و لم تبرز من الأجفان

الخطى : الرماح ، و اليمان : السيف ، و الأجفان أجفان العيون ، و جفير السيف
١٠ يقال له : جفن ، و المركب التى يبحر الملح يقال لها : جفن ، و الجمع أجفان .

و العينان تثنية عين ، و هى الحاسة الباصرة ، و هى مؤنثة ، و الجمع
عيون و أعين و أعيان ، و التصغير عينة ، و العين تطلق على أشياء بالوضع :

فالعين [٥٢ : ألف] الباصرة ، و العين عين الماء ، و العين عين الركبة ،
و عين الشمس ، و عين الشهر أوله ، و عين السنة أولها ، و العين الأخ ،

١٥ و العين العبد ، و العين الشاهد ، و العين إحدى حروف المعجم ، و العين
الجاسوس ؛ يقال : إن ملوك العجم كانوا إذا أرسلوا رسولا إلى الملوك

أرسلوا معه جاسوسا ليكتب جميع ما قاله و سمعه ، فإذا عاد الرسول
قابلوا كلامه بالنسخة التى كتبها الجاسوس فان صحّ مقاله علموا أنه صادق

فيرسلوه بعد ذلك إلى الأعداء . و الذى يؤنث من جسد الإنسان
(١) بهامش الأصل : العين .

(٢) بهامش الأصل : و المؤنث من جسد الإنسان .

و لا يذكر فهي العين و الأذن و الكبد و الكرش و الورك و الساق
 و القدم و العقب و العضد و الاصبع و الضلع و اليد و الرجل و الكف
 و العجز و اليمين و الشمال .^١ و الذي يذكر من الأعضاء و لا يجوز
 تأنيته فهو الرأس و الجبين و الخد و الفم و الأنف و المنخر و الثغر
 و الناب و الذقن و البطن .^٢ و الذي يذكر و يؤنث من أعضاء الحيوان
 فهو العنق و اللسان و الإبط و الذراع و المئن و العاتق و القفا و الضرس .
^٣ قال المأمون لبغض الأعراب : كم في بدن الإنسان من كاف ؟ فان أتممت عشرا
 فلك عشرة آلاف درهم ! فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! في بدن الإنسان
 كف و كوع و كرسوع و كاهل و كبد و كتف و كفل و كلوة و كرش .
 فقال له المأمون : لا أم لك ! أخطأت ، لا كرش لابن آدم ، فأطرق ثم رفع
 رأسه فقال : يا أمير المؤمنين ! إنما أجلتك و أبدات الكمره بالكرش فهي
 تمام العشرة ، فقال : قاتلك الله ! وددت أني ما عثرت عليك - و أعطاه المال .
 و سأذكر ما قيل في التركيات القفجقيات و غيرهن من النساء الفاتنات
 بالاعين القاتلات - إن شاء الله تعالى . أما التركيات فالحسنة منهن كالدره
 اليتيمة التي ليس لها لانفرادها بالحسن قيمة ، قال الشاعر :
 ١٥

مرت بنا هيفاء مجدولة تركيبة تنمى لتركى
 ترنو بطرف فآن فائر أضعف من حجة نجومى

(١) بهامش الأصل : الذى يذكر من الأعضاء و لا يجوز تأنيته .

(٢) بهامش الأصل : الذى يذكر و يؤنث .

(٣) بهامش الأصل : كم في بدن الإنسان كاف .

اعلم أن علم النحو مستنبط من كلام العرب بالقياس ، لأنهم استقروا
 الفاعل وجدوه مرفوعا و المفعول منصوبا فقاوسوا بقايا على هذا
 الحكم بالاستنباط ، لأن الحجّة إن لم تقم من القرآن و دليله قاطع
 أو من السنة [٥٢ : ب] أو من الإجماع و القياس الذي رد فرعا
 ٥ إلى أصل و إلا فحجة النحاة إذا ضعيفة ، لأنهم يستندون إلى قول الأصمعي
 و أبي عبيدة و غيرهما من العرب الذين لا تعرف عدالتهم ، و دليلهم
 واضح صحيح ، لكنه ما نقل عن الثقات كاشتراط العدالة في الحديث - والله
 أعلم . و قال الشاعر في جارية قفجقية ثلاثة أبيات جيمية :

عجنا بعجم أدلجوا و تدلجوا يرجون جيرون و جنة جلق
 ١٠ جاءوا بجارية جمال جبينها كالمهرجان بنجل جنس قفجق
 زجاء دجما ضرّجت و جناتها ضجّت لبهجتها جنود الجوسق
 و لبعضهم :

لله ما صنعت بنا تلك المهاجر في المهاجر
 أفضى و أمضى في النفوس س من الخناجر في الخناجر
 ١٥ و لقد تعبت ببيتكم تعب المهاجر في الهواجر
 و لبعضهم في الحب :

(١) من بن ، و في الأصل : مقايسات - كذا .

(٢) في الأصل و بن : يستندوا - كذا .

(٣) في الأصل و بن : التي .

(٤) في بن : لكن .

(٥) في بن : الحقوق .

الحبّ أوّل ما يكون و لآع فإذا تمسكن في الفؤاد صرّع

ويلى من الحبّ بما قد شفنى ماذا على من الهموم جمع

و لبعضهم :

خود بسود الحواجب احتجبت عنا و بيض المعاصم اعتصمت

لو رأت الشمس و هى طالعة كانت لأقدام رجلها لثمت ه

و للبخادرة شعر ملحون يسمى "قوما" فمنه :

نبيل الحور و الفتور بين الكلل و الستور ترمى بقوس الحواجب

و هو بلا موتور و الفاحم الديجور دائم علينا يجور

يواصل الخصر و أنا من شقوتى مهجور كيف لا تهيج الصدور

فى حب بيض النحور و قد تجلّت علينا أغصان تحمل بدور ١٠

قالوا محبتك زور تبخل و تطلب تزور ذا حر نار المحبّه

ما ينطفي بالبزور إن ردت تحظى بحور اجعل كفوفك بحور

أو لا فلا تتعشق قُدُودَنَا و النحور

و لآبى الفضل قاسم القصار :

و مليحة كل الملاحه قد حوت تسبى و تفتك^٢ فى الورى لمحاتها ١٥

هندية لحظاتها خطية خطراتها مسكية نفحاتها

قيل : أمر قوم امرأة ذات حسن و جمال أن تتعرض للربيع بن خيثم

فلعلها تفتنه و جعلوا لها إن هى فعلت ألف درهم ، فلبست أحسن ما

(١) فى الأصل : ما .

(٢) فى بن : تفتك .

قدرت عليه من الثياب و تطيبت بأطيب ما قدرت عليه ثم تعرضت له حين [٥٣ : الف] خرج من مسجده ، فنظر إليها في تلك الحال فراعها و جمالها ، ثم أقبلت عليه بعد أن سمرت له عن وجهه كالقمر حسنا و جمالا ، فقال لها الربيع : يا هذه ! استري وجهك و لا تبرجي ، كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك و بهجتك ٥ أو كيف بك لو نزل بك الموت فقطع منك جبل الوتين ، أم كيف بك لو قد سألك منكر و نكير ؟ فلما سمعت المرأة مقالته صرخت صرخة عظيمة خرت مغشيا عليها ثم أفاق ؛ و بلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق - انتهى .

١٠ و سأذكر ما قيل في الروميات اللواتي بالحسن موصوفات ، أما الروميات فهن الناعمات ذوات الأجسام الشبيهة للفضيات فالحسنة منهن لا يعادها شيء من لين بشرتها و ضياء بهجتها :

قال بعضهم في رومية جميلة :

ورومية الجنس من قدّها تغار الغصون إذا ما اثنت

١٥ بطرف كحيل و خد أسيل لها كل عين رأتها رنت

وللتنبي بيت من أبيات جمع فيه أربعة أوصاف في امرأة و هو :

(١) في بن : اسمرت .

(٢) في بن : استري .

(٣) في الأصل : سائلك ، و في بن مطموس .

(٤) زيد من بن .

بدت قهرا و ياست خوط بان و فاحت عنبرا و رنت غزالا
و قال ابن الفارض :

و بالحدق استغنيت عن قدحى و من شمائلها لا من شمولى نشوتى
أشار إلى أن نشوته إنما كانت لرؤية شيء من المحبوب ظاهرا كالشمائل ،
و الحدق ههنا تستعمل للناظر و المنظور مواضع الفتن و مواضع المحن ،
و هى من الناظر أسباب الموت بالحب و أسباب الحياة بالحب كقول الذائق :

ترنو فتخطف مهجتي و أرى فيخطفها البصر
فتميتنى بنواظر و أعود أحي بالنظر

و المخطوف المهجة ، و كلانا خاطفان ؛ و المقلة وسط الحدقة - انتهى .

و كان لبعضهم جارية رومية عجمية اللسان كاملة الحسن جميلة ١٠

الوصف تسمى مريم و قد شغف بمحبتها فطلبت منه للبيع فخاف أن
تؤخذ منه قهرا فأعتقها و تزوج بها و قال فيها :

إذا ما دعوتك يا مريم أذوب اشتياقا لا أعلم
و ما لى أنس سوى ذكرها و هذا هو الألم المولم

[٥٣ : ب] فتاة من الروم خصاصة تسمى إذا دعيت مريم ١٥

(١) فى ديوانه : شمائله .

(٢) زيد من بن .

(٣) فى بن : اعوذ .

(٤) من بن ، و فى الأصل : نخافت .

(٥) من بن ، و فى الأصل : فعتقها .

(٦) فى بن : اموت .

فان اللسان به عجمة وقد تفهم العرب الأعجم

و حق جمالك يا مريم لقد شاقى ذلك المبسم

لئن غاب شخصك عن ناظري لقد أنت في خلدي تنعم

و إن اللسان به ناطق و إن الفؤاد به مغرم

تحكم في القلب ساطانها و حكم الهوى هو ما تحكم

فيا حسنهما بين أترابها هلال تحف به الأنجم

و لبعضهم في جارية من بنات العجم :

جارية من بنات بهرام لباسها سندس و ديباج

إذا تمشت يكاد يجذبها ردف لها كالكثيب رجراج

١٠ قيل : كان للحجاج بن يوسف الثقفي جارية من خواص جواريه رومية

فوفد عليه بعض بني عمه فرأى الجارية عنده فأعجبته ، و فطن به الحجاج

فوهبها له فانصرف بها ، و أصبح الفتى و قد فقد الجارية ، فصار إلى الحجاج

فأعلمه خبرها ، فنودي ببراءة الذمة ممن رأى جارية من صفتها و أمرها

فلم يلبث أن أتى بها ، فقال لها : ويلك ! ما حملك على الهرب ؟ قالت :

١٥ اسمع قصتي و افعل ما بدا لك ، قال : هات ، قالت : كنت 'فلان الأمير' كما

تعلم و كان بي معجبا 'فاحتاج إلى ثمن' فحملني إلى الكوفة فلما نزلنا قريبا

منها دنا مني فوقع على فلم يلبث أن سمع زئير أسد فوثب عنى إليه و عاد

برأسه إلى و عاودني فقضى حاجته مني ، و ابن عمك هذا لما أظلم الليل

(١) في بن : عند فلان التاجر .

(٢) في بن : فاختار بيبي .

قام إلى فانه على صدرى إذ وقعت عليه فأرة من السقف فضرط ثم وقع مغشيا عليه، فمكث^١ طويلا أقلبه و أرش عليه الماء و هو لا يتحرك فخفت أن يقال قتلته الجارية فهربت من القتل ، فما ملك الحجاج نفسه ضحكا و قال لها : ويملك الا تذكرى هذا لأحد فانها لفضيحة^٢ ، قالت : على شرط ! قال : و ما هو الشرط ؟ قالت : على أن لا تردني إليه ، فقال : لك ذلك ، و ردها إلى داره^٣ .

و قال بعضهم : كانت لى جارية رومية كظبية من الغزلان فى خدها ورد و سوسان ، بقم ميم ، و عنق ريم ، و ذوائب شعر كالليل البهيم ، فتمكن حبها من قلبى و أكبادى ، حتى سلبت [٥٤ : الف] عقلى و فؤادى ، و غربتنى عن أهلى و بلادى ، و هى كما قال فى مثلها الشاعر :

تطيب لنا الدنيا إذا ما تبسمت كأن نثر المسك من ثغرها هبا
ولو تفلت فى البحر و البحر مالح لأصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو أنها للشركين تعرضت لكانت لهم من دون أصنامهم ربا
ولو أنها فى الغرب تبدو لراهب لحنى سليل الشرق و اتبع الغربا

(١) فى بن : فكث .

(٢) فى بن : الفضيحة .

(٣) زيد هنا على النص فى « بن » [٣٦ : ب - ٣٧ : الف] بعض القصص عن الأصمعى و ما ذكره فى أمر الأعراب و الجوارى ، من ذلك قصة أبى مهدية الذى اشترى جارية بمائة و خمسين درهما هبة من ابن زيادة الشيبانى ، و قصص أخرى فى نصها بياض و فى أشعارها نقص و تكسير لا يتيسر معه نسخها كاملة .

قال : فيينا أنا كذلك إذ تيقنت أنى مدتف هالك فقصدت^١ إلى وطنى
 و مستقرى و سكنى ، فركبت جوادا أبلق مليح الحدق ، أبيضه ساطع
 و أسوده^٢ لامع ، و هو فى مشيه^٣ كالغزال الرائع ، فأخذت الجارية على
 متن جوادى ، و أعددت للسير إعدادى ، فيينا أنا فى بعض الطريق ، بمقربة
 من المضيق ، انقض على^٤ عفريتان عظيمان صلصلة أصنامهما كالصواعق ،
 و دوى أصواتهما كالرعد الناطق ، بهثمان الأحجار ، و يخرج من
 أفواههما لهب النار ، و فيهما عفريت أتر فأرسل على^٥ برق عينيه ، و قد
 سال^٦ لعابه على^٧ شذقيه ، فحمل على^٨ لأن يأخذ الجارية من بين يدى ،
 فقلت : هذا عفريت عنيد ، و شيطان مرید ، فلا ينجنى منه إلا الضرب
 بالحديد ، من ساعد^٩ شديد ، و لا يقطع الحديد إلا الحديد ، فما زلت أكافه^{١٠}
 حتى قتلته ، فلما عاين العفريت الآخر ما حل^{١١} بصاحبه تركه و هرب ، فخذيت^{١٢}
 السفر بالجارية إلى أن وصلت^{١٣} بلدى فأعتقت^{١٤}ها ، و تزوجت بها ، فحصل لى
 بعثتها الأجور ، و بتزويجها السرور .

(١) زيد فى بن : حملها .

(٢) فى بن : سواده .

(٣) فى بن : مشيته .

(٤ - ٤) فى بن : لعاب .

(٥) فى بن : مساعد .

(٦) زيد فى بن : و احامله .

(٧) فى الأصل و بن : بخذيت .

(٨) زيد فى بن : الى .

(٩) من بن ، و فى الأصل : فعتقتها .

تذاکروا فی حضرتہ امیر المؤمنین الرشید الشعر فذکروا آیاتہ
فی جاریہ حسناء وہی :

بیضاء خالصة البیاض كأنها قمر توَسَّطَ جنح لیل أسود
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسنان مظنة للحسد
وترى مدامعها تدور بمقلة حوراء ترغب عن سواد الأمد
لم يطغها شرح الشباب ولم تخن يوما معاهدة الفصیح المرشد
و تبرجت لك فاستبتك بواضح صلت و أسود فی الخمار مجعد
و كأن طعم سلافة معلولة بالریق فی أثر السواك الأملد

فطرب الرشید و قال : والله هذا هو الشعر لا ما كنا فيه ! و طلب الجوارى
من النخاسین ، فأحضروا له منهن جوارى حسانا^١ فعرضوا علیه [٥٤ : ب] ١٠
فراى فیهن جاریة شبيهة بما قيل فی الشعر المذكور ، فاشتراها و أحضر
القاضی أبو یوسف یعقوب فقال له : قد اشتریت جاریة^٢ فی هذا اليوم
ولا وجدت لی صبرا عنها إلى حین أستبریها فماذا أصنع ؟ قال : أعتقها
و تزوج بها و اخل بها ، فأعتقها الرشید و تزوجها^٣ و خلا بها الرشید
من ساعته .

١٥

(١) زید فی بن : حینئذ .

(٢) فی الأصل و بن : حسان .

(٣) فی بن : هذه الجارية .

(٤) من بن ، و فی الأصل : فعتقها .

(٥) من بن ، و فی الأصل : زوجه بها .

وسأذكر ما تسمى به الجوارى اللواتي كالأقمار من ذلك ، فاضحة
الجمال ، شمس الأكاليل ، مشرقة الجمال ، ذات الأقمار ، فائضة الجمال ،
بدر الأفلاك ، صنم المها ، بدر المباسم ، ذات الأنجم ، الدعجاء ، عسجدة ،
زبرجدة ، لؤلؤة ، جوهرة ، ذات الكواكب ، ذات المحاسن ، باهرة الجمال ،
٥ مرجانة المنود ، جوهرة الملوك ، شجر الدر ، نظم الشذور ، ثر اللآلى ،
روضة الحسن ، زهرة البستان ، روضة الأنس ، قوت القلوب ، بهجة الأنس ،
مهجة القلب ، مالكة المهج ، قوت النفس ، سرور القلب ، أطلس ، دياجة .
وسأذكر هنا ما قيل في عتق السرارى والتزويج بهن إن شاء الله
تعالى - قال العلماء : من أعتق جاريته^٥ وتزوج بها كان له أجران للحديث
١٠ المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه قال : من كانت له جارية
فعلها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران ، قيل : فيه أجر
التأديب والتعليم وأجر التزويج لله وأن الله تعالى قد ضاعف له^٦ أجره
بالنكاح^٦ والتعليم وجعله كمثل أجر العتق ، وفيه الحوض^٦ على العتق
وعلى نكاح المعتق وعلى التواضع وترك العلو في الدنيا وأخذ
١٥ القصد والبلغنة منها ، وأن من تواضع لله في منكحه وهو يقدر على

(١) من بن ، وفي الأصل : الجوار .

(٢) زيد في بن : حكم الهوى بلغ المنى .

(٣) زيد في بن : ساحرة الأجفان .

(٤) زيد هنا في « بن » [٣٨ : الف] جاء هنا ، بستان ، رياض .

(٥) في بن : جارية .

(٦ - ٦) في بن : اجر النكاح .

نكاح أهل الشرف و الحسب و المال يرجو به جزيل الثواب ، و العتق من أفضل القربات ، قال الله تعالى ” فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ “ و قرئت ” فَكُّ رَقَبَةٍ “ و في الصحيح^١ من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه^٢ من النار حتى^٣ فرجه بفرجه^٤ . . ٥

فان قيل : لما ذا خصص الفرج بالذكر دون سائر الأعضاء ؟ و لما ذا لم يقل : الوجه بالوجه و اليد باليد ؟ و كذا في قوله : اعتق^٥ الله منه بكل عضو عضواً^٦ ، فدخل الفرج في الأعضاء فأى شيء أكد [٥٥ : الف] بالفرج دون سائر الأعضاء ؟ و ما ذا إلا لفائدة . قيل : لأن في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كفاه الله ما بين لحييه و بين رجليه - يعنى اللسان^{١٠} و الفرج - دخل الجنة . و الفرج^٧ هو محل الخطيئة ، لأن العين تزنى و اليد تزنى و يصدق ذلك الفرج ، فجعل محل المغفرة في الفرج لأنه محل الخطيئة فأكد به .

و سأذكر ما قاله العلماء في الإماماء و غيرهن إن شاء الله تعالى ، قالوا :

(١) قرآن كريم ٩٠ : ١٢ .

(٢) في بن : الصحيحين .

(٣-٣) في بن : منه .

(٤-٤) في بن : الفرج بالفرج .

(٥) من بن ، و في الأصل : عتق .

(٦) من بن ، و في الأصل : عضو .

(٧) في بن : قال فرج .

إن الزعر في اللغة قلة شعر العانة، فمن اشترى أمة فوجدها زعراء العانة فهو عيب في وطنها، لأن الشعر يشد الفرج، فاذا لم يكن استرخى. والخصاء عيب في العبيد إلا أن الخصاء يزيد في الثمن لكن بمعنى غير شرعي فلا يعتبر، كزيادة ثمن الجارية المغنية. وقد اختلف فيمن غصب عبدا فخصاه فزاد ثمنه ما الواجب فيه - انتهى.

وإذا علمت الأمة بعقتها في أثناء الصلاة وهي عريانة الرأس هل تقطع وتستتر وتأخذ الخمار أو تتمادى على صلاتها؟ في ذلك قولان: القول الواحد تقطع وتستتر^١ وتصلي، والقول الثاني إنها لا تقطع، لأنها دخلت في الصلاة بوجه مشروع فلا تقطع وتتمادى على صلاتها لقوله تعالى «وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ»^٢، وكذلك العريان إذا وجد في أثناء الصلاة ما يستتر به فهل يستتر أو يقطع ويتدى الصلاة؟ في ذلك قولان. وكذا إذا تذكر المصلّي وهو في أثناء الصلاة أن ثوبه نجس فهل يتماهى على صلاته أو يقطع أو ينزعه ويصلي بما بقي عليه من الثياب الطاهرة؟ في ذلك خلاف. وكذلك المتيمّم إذا وجد الماء في أثناء الصلاة فهل يقطع الصلاة ويتوضأ أو يتماهى على صلاته بتيممه؟ قيل: يقطع، وقيل: يتماهى على صلاته لأنه دخل في الصلاة بوجه مشروع. وكذلك من أحرم بالصلاة بنية السفر

(١) زيد في بن: شعرا.

(٢) زيد في بن: وتأخذ الخمار.

(٣) قرآن كريم ٤٧: ٣٣.

ثم نوى الإقامة هل يكمل الصلاة أو يتمّ صلاته على ما دخل فيه؟
و كذلك إذا أحرم بنية الإقامة ونوى السفر هل يكمل صلاته أو يصلي
ركعتي السفر؟ و كذلك ثبت عند الإمام بعد أن صلى ركعة من الجمعة
عزله عن الإمامة هل ينبي الإمام المتولى الثاني على صلاة المعزول
أو يبتدئ الصلاة؟ في ذلك خلاف بين أهل العلم . و كذلك إذا أنكر
السيد وطى أمته لا يتوجه عليه اليمين إذا [٥٥ : ب] ادعت عليه
ذلك لأنها من دعوى العتق و هي غير موجبة لليمين ، و إن ادعى استبراء
لم يظاً بعده بحيضة أو بثلاث حيض لم يلحق بالسيد ما جاءت به من ولد ،
و اختلف هل عليه يمين أم لا ، فقيل : عليه يمين ، قال القاضي عبد الوهاب :
لأنه اتقى من حمل كانت له فراشا ، و قال ابن القاسم : لا يمين عليه لأن
اليمين التي تخرجه عن ذلك هو اللعان فاذا لم يلزمه لعان فلا يمين عليه .
و قال مالك في رجل زوج أمته عبده أو أجنبيا ثم وطئها السيد فأتت
بولد فالولد لاحق بالزوج ، إلا أن يكون الزوج معزولا عنها في مثلها
براءة الرحم فانه يلحق بالسيد و لا يُحَد لأنها أمته . و لو ادعى السيد
استبراء لم يظاً بعده لم يلحقه الولد و لم يخلف إذ لا يُعلم إلا من جهته ١٥
و لا يندفع بدعوى العزل و لا بالإتيان في الدبر و بين الفخذين مع الإنزال
لأن الماء قد يغلبه و لو اليسير منه ، و لولد يلحق بالأب في الإماء
إذا أقر بالوطى و لم يدع استبراء ، و يلحق بالأب في نكاح الحرائر
بالعقد و تصدق و ليس له دفعه إلا باللعان لأن الحرائر مأمونات
(١-١) من بن ، و في الأصل : لم يدعى . (٢) زيد بن علي .

فروجهن . و عند أبي حنيفة إذا عقد له و كيله على امرأة و أنت بولد
 لمقدار ما يحمل فيه النساء و لو كان هو بالمشرق و هي بالمغرب لحق به ،
 لأن عنده الدنيا خطوة مؤمن ، و قد يكون من أهل الخطوة فيلحق به
 الولد . و عند مالك إذا أمكن الوصول إليها في مدة يمكن حملها منه
 يلحق به - و الله أعلم . قال العلماء في الأب إذا وطئ أمة ابنه فإنه
 يملكها بذلك و لا يريدون إذا وطئها بنكاح خاصة لما له في مال ولده
 من التصرف و شبهة الملك . قال في المدونة : و من وطئ أمة ابنه الصغير
 أو الكبير ددئ عنه الحد ، و قومت عليه يوم الوطئ ، حملت أو لم تحمل ،
 كان مليا أو معدما ، و يتم ملكه لها من غير شبهة ، فيحل له وطؤها
 ١٠ بعد أن يستبرئها من مائه الفاسد بسبب الوطئ المتقدم ، و له أيضا
 بيعها ممن أراد ، و لذلك يجوز للولد أن يأخذ من أبيه فيما لزم الأب
 قيمتها إذا اتفقا على ذلك ، فإن حملت من الأب فهي أم ولد فلا يحل له
 نقل ملكه عنها فضلا عن أخذ ولده لها في القيمة أو غيرها ، فإن لم تحمل
 فقولان : مذهب ابن القاسم أنه لا بد من تقويمها على الأب ، و قال
 ١٥ عبد الملك و ابن عبد الحكم : الابن مخير في [٥٦ : الف] ذلك ، و بالتماسك بها
 في عدم الأب و يسره ، و هو أظهر لأن سبب تضمن الأب إنما هو العيب
 الذي أحدث على ولده منها بتحريم وطئ الولد لها ، و ذلك لا يوجب
 إلا تخير الولد المتعدى عليه ، لا إخراج ملكه من يده بغير اختيار ، فإن
 كان الابن قد وطئها و استولدها أحدهما حرمت عليها فتعتق أي أمة
 (١) في الأصل و بن : و .

الولد التي وطئها أبوه ، فحصل من هذا أنها موطوءة لهما معا ، لأن وطئها
 معا سبب لتحريمها على كل واحد منهما ، لأن أحدهما وطئها بالملك
 و الآخر وطئها بالشبهة ، فهي من حلائل الأبناء بالنسبة إلى الأب ، و ما
 نكحه الأب بالنسبة إلى الابن فتعق ، لأنها أم ولد حرمت على سيدها
 تحريماً مؤبداً ، و كل ما هذا وصفه من أمهات الأولاد يجعل عتقه لعدم
 المنفعة فيه في الحال و المال ، إذ لا منفعة في أم الولد إلا الاستمتاع بها :
 فاذا قلنا تعق فيكون العتق على من فيها ؟ قيل : يكون العتق على
 الابن إن كان أولدها قبل وطئ والده و الأب قد أتلفها عليه بوطئه
 فيغرم قيمة أم ولد و تعق على الولد لأننا إن أعتقناها على الأب كنا
 ناقلين و لا أم الولد عن استولدها ، فإن كان الابن وطئها ولم تحمل منه ١٠
 ثم وطئها أبوه فحملت منه غرم قيمتها أمة و عتقت عليه ، و إن وطئها
 الابن بعد وطئ الأب فانها تسقط القيمة عن الأب بمصاب الابن و تباع
 على الابن لأنه شرط على الابن جواز بقائها بيده أمانة عليها ، و قد ثبتت
 خيانتة بوطئه لها . قال أبو عمرو بن الحاجب : و لا يبطل استخدام الأمة
 بالتزويج - يعني أن حق السيد في الأمة استخدامها لا يبطل بتزويجها ، ١٥
 لأن حق الزوج إنما هو الاستمتاع بها ، و حق السيد بعد التزويج في
 الخدمة فلا يعارض فيها . و لكل واحد من السيد ، الزوج القدر الذي

(١) في بن : تحريمها .

(٢) في بن : وطئها .

(٣) في بن : على من .

(٤) زيد في بن : المالك في مختصره في الفروج .

يخصه . قال ابن الماجشون : وترسل الأمة إلى زوجها ليلة بعد ثلاث ، فتكون عنده تلك الليلة و يأتيها زوجها عند أهلها فيما بين ذلك ، و للسيد السفر بها ، و لا يمنع الزوج من صحبتها ، و نفقتها يلزم زوجها سواء كانت مقيمة أو مسافرة ، و لا يكون نفقتها على سيدها ، لأن التي تأخذ الأمة من زوجها عوضاً عن الاستمتاع بها ، و كما أن نفقة الابنة على أبيها فإذا زوجها انتقلت عنه إلى زوجها ، فكذلك إذا زوج السيد الأمة [٥٦ : ب] انتقلت عنه إلى زوجها ؛ و هذا كله إن كان الزوج حراً ، فإن كان زوج الأمة عبداً ففي وجوب النفقة عليه أو على السيد أربعة أقوال : إنها في مال العبد و كانت تبيت عنده أو عند أهلها كالمهر ، أي كما أن المهر الذي هو عوض عن أول الاستمتاع على الزوج فكذلك تكون النفقة عليه هو عوض عن تمام الاستمتاع - و الله أعلم . القول الثاني مقابله إنه لا نفقة على زوجة العبد ، و هو محكى عن مالك و أشهب . و القول الثالث الفرق بين أن تبوأ معه بيتاً أو لا ، فالأول تلزمه نفقتها ، و الثاني لا تلزمه إلا بشرط في عقدة النكاح .

١٥ و القول الرابع الفرق بين أن تبيت عنده أو عند أهلها ، فإن كانت باتت عند زوجها أنفق عليها ، و إن باتت عندهم أنفقوا عليها . قال ابن القاسم في كتاب محمد فيمن قيل له في عبده : مَنْ رَبُّ هَذَا الْعَبْدِ؟ فقال : ما له ربّ إلا الله تعالى ، أو قيل له : مملوكك هو؟ قال : لا ، أو قيل له : ألك هو؟ فقال : ما هو لي ، فلا شيء عليه في ذلك كله ، كمن قيل له : ألك

(١) في بن : سيده . (٢) من بن ، و في الأصل : قيل .

امرأة - أو هذه امرأتك؟ فقال: لا، فلا شيء عليه إن لم يرد طلاقاً ولا يمين عليه. و في المدونة: و إذا كان عبد بين رجلين فقال أحدهما: إن كان دخل المسجد أمس فهو حر، و قال الآخر: إن لم يكن دخل هو المسجد فهو حرّ، فان ادعيا علم ما حلفا عليه دُينا في ذلك، و إن قالا: ما نوقن أدخل أم لا و إنما حلفنا ظنا، فليعتقا بغير قضاء، و قال غيره: بل يجبران على عتقه. و لو كانت لرجل امرأتان فرأى طائراً فقال: إن كان هذا غراباً^١ فزينب طالق و إن لم يكن غراباً فعزة طالق، و التبس عليه الأمر و تعذر التحقيق طلقنا عليه؛ و كان ذلك كاختلاط الميتة بالمذبوحة. إذا قام الرجل شاهداً على رجل أنه زوجه ابنته البكر و أنكر الأب حلف الأب، فان أبي سُجن حتى يحلف^٢، و لا مقالة للابنة في ذلك و لو كانت ثيباً. من ادعى نكاح امرأة و أنكرت فلا يمين له عليها و إن أقام شاهداً، و لا يثبت نكاح إلا بشاهدين. و إن ادعت امرأة أن زوجها طلقها و لم يحلف الزوج مُنع منها حتى يحلف. قال مالك: و إن نكل عن اليمين طلقت عليه مكانه و عدتها من يوم الحكم، و روى و خلى بينه [٥٧: الف] و بينها و لم تطلق عليه، و إن لم يحلف الزوجة المقررة^{١٥} بصحة النكاح تدعى أن زوجها طلقها البتة ثم يموت عنها فلها تكذيب نفسها و ترثه لأنها قد تقول كرهت البقاء معه، و ينبغي أن تحلف على

(١) في بن: طلاقها. (٢) في بن: غراب.

(٣) زيد في بن: و ليس له ان يزوجه في السجن من رجل آخر حتى يحلف.

(٤) في بن: المقام.

ما ادّعتة . ذلك^١ إذا أرخى الزوج على الزوجة الستر و ادّعت أنه وطئها
فالقول قولها ، و لو كان ذلك في نهار رمضان الذي لا يحل الوطئ فيه لأن
الغالب مبادرة الزوج مع إرخاء الستر عليها إلى وطئها^٢ .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عن

ملحمة الباجريقي فلنرجع إلى قوله فيها^٣ :

يا ويح جلق^٤ ما ذا حلّ ساحتها و أحرقوا^٥ جامعاً لله^٥ كيف بُني

يا للبرايا أمّا للدين^٦ متصر قوموا إلى الشام من سهل و من حزن

عرب الفرات و مصر و الصعيد أتوا دمشق و الكفر فيها عن مرتكن

يا ويلهم كم غزوا في الدين كم قتلوا و كم دم سفكوا من عالي و دنى

١٠ و الكون مقم^٦ و الأرجاء^٧ مظلمة حتى حائنها ناحت على فنن

(١) في بن : و .

(٢) زيد هنا في « بن » [٣٩ : ب] فقرة « و إذا ادعى أحد الزوجين على صاحبه

داء العضط (و في بن : العبط - كذا) وهو حدث الغائط عند الجماع

وقد وقع مثل هذا في أيام أحمد بن نصر سحنون فافتي بأنه يطعم أحدهما تينا

و الآخر فقوسا » ثم تحدث بعدئذ حديثاً فيه بياض غير مكتمل عن الجذام والبرص

وداء الفرج مشروطا « السلامة فيما تقدم ذكره » .

(٣) انظر ما قبله في النص . ٤ : ب .

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون (طبعة باريس) ج ٢ ص ٢٣٧ حيث استخرج

أبيات هذه الملحمة من تاريخ ابن كثير .

(٥ - ٥) في بن : جامعها .

(٦) في بن : مقيم .

(٧) من بن ، و في الأصل : الأدجاء .

قيل إن الشام كان اسمه في الزمن الأول السام - بالسين المهملة ، و السام في لغة العرب الموت ، فكرهت العرب هذا الاسم فأبدلوا السين المهملة بالشين المعجمة . و قيل : سمي الشام شاما لشامات سود و بيض في أرضه و ذلك لاختلاف التراب و البقاع . و جلق موضع بدمشق ، و يقال : إن جيرون الرومي دخل دمشق فقصر مصرها و جمع عمد الرخام و المرمر إليها و شيّد بناءها و سماها " ارم ذات العماد " و قيل : إنه كان فيها أربعمائة ألف عمود ، و بقية هذا البناء في هذا الوقت بدمشق يعرف ببناء جيرون ، قال التلعفري في أول قصيدة له :

سلم سلّمت على جيران جيرون يا صاح من مستهام القلب محزون
و حتى جامعها عني فكم جمعت أهل العلوم الذي كانوا يفيدوني
و منها :

في يوم سبت ترى الوفرات جائلة على الروادف أشباه شعابين
و ذلك أن أهلها في يوم السبت مبطلون لفرجهم في غياضهم و نزههم
في بساتينهم و رياضهم . و صيانتها يعانون الوفرات المظفورة و وراء
ظهورهم ، و على رؤوسهم أقباع من الحرير الأحمر الطويلة الأتران .
(١) زيد في بن : فيه .

(٢) في الأصل : غياضهم ، و في بن [٤٠ : الف] : غيطانهم .

(٣) في الأصل و بن : يعانوا .

(٤) في بن : المظفرات الرخاة .

(٥) كذا في الأصل ، و في بن : الأتران . و زاد هنا فيها عن أحمد بن أبي المحاسن .

و أنشدني أبو عبد الله محمد المقرئ^١ بغير الإسكندرية المحروس قصيدة له
في دمشق منها [٥٧: ب]:

سلمت سلمت على جيران جيرون سلام مضى كئيب القلب محزون
و إن أتيت الحمى وهنا فخي بها^٢ قوما أقاموا بجرمانا^٣ و جسرين
و أنت يا برق حي النيرين^٤ بها^٥ واسق تربتها سحّا كسيحون
لم أنس أنسى بواديهما و نزهته و الماء يجرى على خضر الرياحين
و الدوح يجلي كما تجلي عرائسها و الغيد يلعبن في ظلّ البساتين
يخيّل الشوق أن البرق حين سرى ثنى مباسم تلك الخرد العين
آها على زمن ولى بقربهم لو أنه في الكرى وافي لمسكين
١٠ بسطت خدي أرضا في محبته لعله بعد هذا البعد يدنيني

= نقلها على علاقتها:

حمى بيواقيت اللبي در شعره و غشى بجلباب الدبج ضوء بخره
(في بن: درة)

و أشعل نيران الحدود فعدت ذوائب مسك اسبات خلف ظهره
(و في بن: سبان من)

غدا شعره قيد القلوب بأسرها فلا قلب إلا و هو في حكم أثره
و كيف علاجي من جنوني لحبه و أصل جنوني من سلاسل شعره .

(١) قد يمكن قراءتها في الأصل: المعرى، و هو جائز و إن كان الغالب في
قراءتها كذلك و هي في بن [٤٠: الف]: المعرى .

(٢) من بن، و في الأصل: به .

(٣) في الأصل: بجرمايا، و صحتها في بن . (٤) في الأصل: النير بين .

- قم نغتم لذة الدنيا بلا كسل و نطرد الهم من حين إلى حين
 و نهب العمر و الأيام مقبلة في جلق و كفاف العيش يكفي
 أسعى إليه فيعنيني تطلبه فان قعدت فرزقي ليس يعنيني
 يزيد زاد غرامى في محبته و بيت لها عن الأوطان يلهيني
 و ما تخيلت واديا و نزهته ألا تذكرت و التذكار يؤذيني ٥
- قوله: « يزيد زاد غرامى في محبته »، يصف نهر^٢ يزيد بن معاوية
 الذى احتفراه فى خلافة، و قوله: « واديا »، يعنى به وادى الربوة الذى
 يخترق دور دمشق و حماماتها و بسايتها، و قوله: « جرمانا » و جسرين و بيت
 لها، هى قرى بظاهر دمشق بها بسايتين و رياض نزهة .
- ٥ و مدينة دمشق محدثة، و إنما كان القديم من موضعها موضعا ١٠
 يسمى الجاية و ذلك فى أيام الجاهلية . و بنيت دمشق عليها، و لدمشق
 أبواب منها باب الجاية و باب توما و باب السلامة و باب النصر و الباب
 الصغير و باب الفراديس و ديرمران يقابله، و أرضها يقال لها: الغوطة،
 و للنحاس الشاعر قصيدة أولها:
- (١) فى الأصل: لا، و لا يستقيم بها الوزن .
 (٢) فى الأصل: تلهينى .
 (٣) بياض فى الأصل، و الغالب انه نهر يزيد و هو كذلك فى بن [٤: ب] .
 (٤) فى الأصل: جرمانا، و صحتها فى بن كما ذكرنا .
 (٥) فى الهامش: مدينة دمشق .
 (٦) زيد فى بن: قبل بناها رجل يسمى دماشق بن يعوط بن كنعان فسميت باسمه
 من غير الف فقبل: دمشق .

عرج على الغوطة بالعيس . و اجعل على النيرب تعريس

و اعبر على قصر ابن شواش في . طلوع الفجر بتغليس

لتنظر الحور إذا جزن في الجنة^١ من باب الفراديس

علقت منهن فتاة غدت كأنها دمية قسيس

٥ . و هي طويلة مكتوبة بديوانه . و جلق موضع بدمشق ، قال الشاعر فيه :

[٥٨: الف] بخلق نزلوا حيث السرور بها . بجمع و هو بالآفاق منتشر

فكل عين بها موسى يفجرها . و كل نهر على حافات الخضر

و قيل جيرون هو ابن سعد بن عاد ، و قيل : إن دمشق سميت باسم

بانيها و هو دماشق بن نمرط بن كنعان ، و قيل : بانيها دمشق بن فائد

١٠ ابن مالك بن أرخشيد بن سام بن نوح . و الغوطة^٢ موضع خصيب بخارج

دمشق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيفتح عليكم الشام فعليكم

بمدينة يقال لها دمشق هي خير مدائن الإسلام . و فسطاط المسلمين

بأرض منها يقال لها : الغوطة . قال الأصمعي : أحسن أنهار الدنيا ثلاثة :

نهر الأبله و هو قريب من البصرة ، و غوطة دمشق ، و صغد^٣ سمرقند .

١٥ قال اليعقوبي : مدينة دمشق جليلة قديمة و هي مدينة الشام في الجاهلية

(١) في الأصل و بن : مطالع - كذا ، و لا يستقيم به الوزن .

(٢) في بن : من .

(٣) راجع في موضوع « الغوطة » لاسيما في التاريخ الحديث :

R. Tresse, *L'irrigation dans la Ghoute de Damas*,—in *Rev. des E'tudes Islam.* (1929), pp. 459-73.

(٤) في الأصل : صغد ، و هي ساقطة من بن .

و الإسلام ، و ليس لها نظير في جميع بلاد الشام في أنهارها و مبانيها
 و كثرة عمارتها ، و افتتحت^١ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 سنة أربع عشرة للهجرة . و قال ابن جبير^٢ : مدينة دمشق هي جنة المشرق
 و مطلع حسنه المؤنق و عروس المدن ، قد تحلّت بأزاهير الرياحين ،
 و تجلّت في حلل سندسية من البساتين ، و حلت من موضع الحسن ه
 بمكان مكين ، و تجلّت في منصبها بأحسن تزيين ، و تشرّفت بأن
 أدنى الله المسيح و أمّه مريم إلى ربوة ذات قرار و معين ، ظل ظليل ،
 و ماء يسيل ، و رياض تحيي النفوس بنسيمها العليل ، تبرج لناظرها
 بمجلاء^٣ صقيل ، و تناديهم هلّموا إلى معرّش للحسن و مقييل ، قال
 بعضهم : المعرّش الكرم ، قال الشاعر :

١٠

و لا ظلّ إلا ظل كرم مُعَرَّشٍ تغنيك من قطريه ورق الحمام - انتهى .
 نعود - و قد سئمت أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتكاد
 تناديك بها الصم الصلاب : اركض برجلك هذا مغتسل بارد و شراب ،
 قد أحذقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، و اكتنفتها اكتناف الكاء
 للزهر ، و امتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر ، و كل موقع ١٥
 لحظة بجهاتها الأربع نضرتة اليانعة قيد البصر ، و لقد صدق القائلون

(١) في بن : فتحت .

(٢) انظر ابن جبير (طبعة دي خويه في ليدن) ص ٢٦٠ - ٢٩٨ و قد نقل عنه

النويري في مواضع كثيرة و ضافية .

(٣) كذا .

عنها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تساميتها. و قال البُحْثَرِيُّ فيها:

[٥٨:ب] إذا أردت ملاء الطرف من بلد مستحسن و زمان يشبه البلدا
يمشي السحاب على أجبالها فرقا و الطير ينشد في صحرائها غردا
كأنما القيظ ولى بعد زوقته أو الريح دنان من بعد ما بعدا - انتهى.

(١) زيد هنا في بن [٤١: الف]: وقال أحمد بن أبي المحاسن... يتشوق إلى دمشق و يمدح جمال الدين بن رزق الله (وهي أبيات نقلها على علاتها):

سلام على ساكني جلق سلام محب لهم مشيق
(في بن: سلام محب لهم مشيق)

سلام على دار أحبابنا سلام على ربيعها المؤنق
سلام كفحة أشجارها يفوح بعطر لمستنشق
سلام كصفوة أنهارها ورقة سلسالها الأزرق
سلام كنغمة أطيارها على غصن قد [بها] مورق
(وكلمة «بها» ليست في بن)

سلام كلطف ميادينها وما لليادين من رونق
سلام كحسن بساينها وما في البساتين من جوسق
سلام كطيب رياحينها تحال تراها بمسك سقى
سلام على ربوة معريا وزهر الرياض من المشرق
سلام على النهم والنيرين وروض بأكنافها محدد
سلام على غوطة كسيت بسندس زهر و استبرق
سلام على الشرفين اللذين يشرف ذكرهما منطقي
سلام على مائتها جاريا مسلسلة العذب بالطلق

نعود - فالبا جربقي ' يشير في ملحمة إلى أن الكفار يأتون إلى

= (في بن : ما اجاريا ، مكان : مائها جاريا)

سلام على الطعام المحلى على البرج و السرور و الخندق

و ميدانها الأخضر

سلام على الجامع المزدهى و بهجة بنيانه المؤنق

بصحن كصحن جبين إذا ما جاء غيها

قسي رواقاته شبهت حواجب مقرونة تلتقى

وضاهت سهام

وقبة نشر حكت شامة معدبرة فوق خد نقي

كان شرار

وباب البريد بغزلانه يمجج فمن شاء فليعشق

منازل تجلى

أجيران جيرون جاد النوى وشاب فترقتكم مفرق

ألا ليت شعري من

وأشكو سقامى إلى مرمى وبطفنى نارى لقا محرق

والحق ينولى (كذا)

جمال تجمل دين الهوى و فاتح باب الندى المغاق

محض بفضل (كذا)

على البعد سارت بشكوى له قوافل قوافل كالأمسق (كذا)

وما هي إلا بكهـد انتهى .

(و القصيدة كما يرى القارئ مليئة بالعيوب و الكسر و بهاب باض كثير ،

و لكن موضوعها لا يجيز التجاوز عنها في حواشى الكتاب) .

(١) انظر الورقة ٥٧ : الف .

دمشق يكون بها مقتلة عظيمة و يحرقون^١ جامعها المنسوب لبنى أمية المجاور
 لباب جيرون ، ثم ينتصر^٢ المسلمون بعد ذلك كما قال :
 يا مسلمين اغنموا المال فاض وكنز بالفرات و عند الرستن الشتن
 و سأذكر الآن ما قيل في صفة الجامع المذكور^٣ و بانيه و غير ذلك
 إن شاء الله تعالى . اعلم أن جامع دمشق المنسوب لبنى أمية بناه أمير المؤمنين
 الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، و كان
 مكانه كنيسة جيرون فجعل أرضه رخاما ، و معاقد رؤوس أساطينه مذهبة ،
 و محرابه مذهبا ، و سائر حيطانه مرصعة بأشباه الجواهر ، و دور السقف كله
 مكتبا كما يدور بترايع جدر^٤ المسجد بأحسن صنعة و أبدع تنميق ،
 و جعل بأعلى السقف حُصر رصاص محكمة التأليف و ثقبة الصنعة تمنع^٥
 المطر عن سقفه لأن سقفه جملونات ، و الماء يصل إلى صحن الجامع في
 قنوات رصاص فتى احتاج ذلك إلى الغسل فتح إليه الماء و غسل جميع
 صحنه بأهون سعى ، و يقال : إن الوليد بن عبد الملك أنفق في إتقان هذا
 الجامع خراج الشام كله سنتين ، و له وقوفات كثيرة ، قيل : إن مكاتبها

(١) في الأصل و بن : يحرقوا .

(٢) في الأصل و بن : تنتصر .

(٣) زيد في بن : عليهم .

(٤) في الهامش : جامع دمشق .

(٥) زيد في بن : المنسوب لبنى أمية .

(٦) في بن : جدار .

(٧) زيد في بن : عنه .

بالقبة المركبة على الأعمدة بصحنه . و قال يعقوبى : جامع دمشق ليس
 فى الإسلام أحسن منه ، بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام
 و الذهب سنة ثمان و ثمانين للهجرة ، مفروش بالرخام الأبيض المحتم
 باللآزورد و سقفه لا خشب فيه إلا و هو مذهب كله من أعلاه إلى
 أسفله ، و ذكر ابن جبير فى وصف هذا الجامع و وصف دمشق غرائب ه
 فلنذكر الآن بعض ما وصف فى هذا الجامع إن شاء الله تعالى ، قال :
 هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسنا و إتقان بناء و غرابة صنعة
 و احتفال تميمق و تزيين ، و من عجائب شأنه أنه لا تنسج [فيه - ١] عنكبوت
 و لا تدخله ، و لا تلم به الطير المعروف [٥٩ : الف] بالخطاف ؛ انتدب
 لبنائه الوليد و وجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية فأمر بأشخاص اثني عشر ١٠
 ألف صانع من جميع بلاده و تقدم إليه بالوعيد فى ذلك إن توقف ،
 فامثل أمره مدعنا ، فشرع فى بنائه و بلغت الغاية فى التأنق فيه ،
 و نزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفسا ، و اختلطت به
 أنواع من الأصباغ الغريبة قد مثلت أشجارا و فرعت غصونا منظومة
 بالفصوص بيدى الصنعة المعجزة و صف كل و اصف . فجاء يعشى العيون ١٥
 و ميسا و بصيصا ؛ و بلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار .
 و كان أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه لما دخل دمشق صالح النصرانى
 بأن أخذ نصف الكنييسة الشرقية فصيره مسجدا . و بقى فى النصف

(١) من بن .

(٢) موضوع تقسيم الكنييسة و الجامع كان محل نقاش بين المؤرخين ، و فيما يلى =

الغربي للنصارى، فأخذه الوليد و أدخله في الجامع بعد أن رغب أن يعوّضهم عنه فأبوا فأخذه قسرا، و كانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يُجَنّ، فبادر الوليد و قال: أنا أوّل من يجنّ في الله! و بدأ الهدم بيده، فبادر المسلمون فأكملوا هدمها و لم يجنّ واحد منهم، ثم أَرْضاهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في خلافته عن الكنيسة بمال عظيم. و سأذكر ما قيل في طول هذا الجامع الأموي و ذرعه و تكسيره و مقاصيره و أسماء أبوابه و وصفه إن شاء الله تعالى، اعلم أن طول هذا الجامع الذي عمّره الوليد بن عبد الملك من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة و هما ثلاثمائة ذراع، و ذرعه في السعة من القبلة إلى الشمال مائة و خمس^١ و ثلاثون^{١٠} خطوة و هي مائتا ذراع، و تكسيره بالمرجع الغربي أربعة^١ و عشرون مرجعا و هو تكسير مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، غير أن طوله من القبلة إلى الشمال و بلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث^٢ مستطيلة من الشرق إلى الغرب، و سعة كل بلاط منها عشر^٣ خطوة و قامت البلاط على ثمانية و ستين عمودا، منها ثلاث^٢ أرجل تتخللها و اثنتان^٤ مرخمة ملصقة في الجدار الذي

= اهم بحثين في هذا الصدد:

i—R. Dussand, *Le temple de Jupiter Damascenien et ses transformations aux e'poques chretienne et musulmane*, in "Syria,"

iii—1922, pp. 219-250 (pl. et fig.).

ii—H. Lammens, *Le calife Walid et le pre'tendu partage de la mosque' e' des Omayyades a' Damas*, in B I F A O, xxvi, 1925 pp 21-48

(١) وقع في بن: خمسة - كذا (٢) في بن: اربع (٣) في الأصل و بن: ثلاثة .

(٤) في الأصل و بن: عشرة (٥) في بن: اثنان .

بلى الصحن ، و أربعة محاريب و أشكالاً غريبة قامت في البلاط الوسط ،
دور كل رجل منها اثنان و سبعون شبرا ، و يستدير بالصحن بلاط من
ثلاث جهاته 'سبع عشرة خطى' ، عدد قوائمه سبع و أربعون منها [٥٩ : ب]
٢ أربع عشرة 'رجلا و الباقي سوار ، و سقف الجامع كله من خارج ألواح
رصاص على جملونات ٢ ، و أعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب ، و هي ٥
سامية في الهواء عظيمة الاستدارة ، و قد استقل بها هيكل عظيم ، و هو
عمود لها ١ يتصل من المحراب إلى الصحن ، و القبة قد أغصت في الهواء
فاذا استقبلتها أبصرت أمرا عظيما هائلا ، و من أى جهة استقبلت البلد
ترى القبة في الهواء كأنها مقلعة من الجو ، و عدد شمساتها الزجاجية
المذهبة الملونة أربع و سبعون ، فاذا قابلتها الشمس و اتصل شعاعها انعكس ١٠
الشعاع إلى كل لون منها و اتصل ذلك بالجدار القبلى ، و يتصن بالابصار
منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة بعض صورها ، و محرابه من أغرب
المحاريب الإسلامية حسنا و غرابة صنعة يتقد ذهابا كله ، قد قامت في وسطه
محاريب صفار متصلة بجداره يحققها سويريات ٥ مفتولات قتل ٥ الأسورة
(١-١) من بن ، غير ان فيه : سبعة عشر خطأ - كذا ، و وقع في الأصل : سعة
خطا (!) و لا يستقيم بها المعنى .
(٢-٢) في الأصل و بن : اربعة عشر .
(٣) زيد في بن : يمنع الأمطار أن يقف بل يسجد سرعة الى صحن الجامع بمعنى
في البلايع المصنوعة لذلك - كذا .
(٤) في بن : بها . (٥-٥) من بن ، و في الأصل : مفتولات قتل .

كانها مخروطة بعضها حمر كأنها المرجان ولم يُرَ شيءٌ أجمل منها،
 وفيه ثلاث مقاصير: مقصورة معاوية وهي أول مقصورة وضعت في
 الإسلام، طولها أربعة وأربعون شبراً وعرضها نصف الطول، ويلىها
 لجهة الغرب المقصورة التي أحدثت عند زيادة الكنيسة وهي أكبر،
 والثالثة بالجانب الغربي تجتمع فقهاء الحنفية فيها للتدريس. وله أربعة
 أبواب: باب قبلي يعرف بباب الزيادة، و باب شرقي يعرف بباب جيرون،
 و باب شمالي يعرف بباب الناطفين، و باب غربي يعرف بباب البريد،
 و الباب الشرقي المعروف بباب جيرون وهو أعظمها، وله وللغربي
 دهاليز متصلة يفضى كل دهليز منها إلى باب عظيم، وكانت كلها مداخل
 الكنيسة فبقيت على حالها - ثم ذكر فيه عجائب من الأبنية والقباب
 والصوامع الثلاث و المياه المديرة فيه ما يطول، و صفة اختصار ذلك
 أن قيل في صحننه إنه من أجمل المناظر وأحسنها، وفيه مجمع أهل دمشق
 و متفرجهم و متنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين و راجعين من باب
 جيرون إلى باب البريد، لا يزالون على هذا الحال إلى انقضاء صلاة العشاء
 الآخرة، منهم من يتحدث مع صاحبه و منهم من يقرأ، فهذا دأبهم
 بالعداء و العشى^١ و الأحفل بالعشى^٢، و للجامع أربع مياضى^٣ [٦٠: الف]
 مياضاة في كل جهة، و أعظمها مياضاة جيرون، و ذكر أن حول باب
 جيرون من الأبنية الغربية ما يطول وصفه، و باب جيرون يخرج من

(١) في الأصل و بن: شيئاً.

(٢-٢) كذا في الأصل، و ليس في بن.

(٣) وقع في الأصل: مياضى - مكررة.

دهليزه إلى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب منقوشة لها ستة أعمدة ، في
 جهة اليسار منه مشهد كبير لأنه كان فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب
 قبل أن ينقل الرأس المذكور إلى القاهرة ؛ و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب
 ذكر مقتل الحسين و سبب قتله و في أي مكان قُتل و من قتله
 إن شاء الله تعالى . و بإزاء المشهد المذكور مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز .
 و قد انتظمت أمام البلاط أدراج ينحدر عليها [المطر - ١] إلى الدهليز
 و هي كالخندق العظيم متصل إلى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه
 سموًا قد حقت أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة ، فيها الحجر و البيوت .
 و في وسط الحوض أنبوب نحاس يرفع الماء بقوة فيرتفع إلى الهواء أزيد
 من القامة تسميها الدماشقة " فوارة " و حولها أنابيب صغار ترمي الماء .
 علواً فيخرج منها ماء كقبضان الفضة فكانها أغصان تلك الدوحة المائية ؛
 و منظرها أبداع من أن يوصف ، قال بعضهم في فوارة تورية :

فوارة تشبه في علوها سبيكة من فضة خالصة
 تلهيك بالحسن فقد أصبحت جارية ملهية رافصة

ثم عن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي أمامه مشهد
 ١٥ غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير في طيقان من نحاس ، و قد فتحت
 أبواب صغار على عدد ساعات النهار و دُبرت تدويرها يدان .

(١) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٢) زيد في بن : بها . (٣) زيد في بن : ثم .

(٤ - ٤) في الأصل و بن : أبواب صغارا .

انقضاء ساعة من النهار تسقط بندقتان من نحاس قائمتان^١ على طاستين من نحاس مثقوبتين، فيصير البازيان^٢ يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين و يمدفانها بسرعة تدير عجيب تتخيله الأذهان سحرا، فعند فروعها يسمع لهما دوى، فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة، و ينغلق الباب تلك الساعة إلى حين يلوح نحاس؛ فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتغلق الأبواب كلها ثم تعود إلى حالتها الأولى، و لها في الليل تدير آخر و ذلك أن القوس المنعطف على الطيقان المذكورة^٣ اثنتي عشرة^٤ دائرة من النحاس مخرمة، في كل دائرة [٦٠ : ب] زجاجة و خلف الزجاج مصباح يدور به الماء على تدير مقدار الساعة، فاذا انقضت عمّ الزجاج ضوء المصباح و فاض على الدائرة شعاع و لاحت دائرة محمرة، ثم تنتقل إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل، و قد وكل بها من يريد شأنها فيعيد الأبواب و سرج الصنج إلى موضعها^٥ و هي لميقاته - انتهى . و لما هدم الوليد بن عبد الملك كنيسة جيرون كتب إليه ملك الروم في ذلك الوقت يقول: هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فان كان^{١٥} حقا فقد أخطأ أبوك، و إن كان باطلا فقد خالفته . فكتب الوليد يجاوبه:

”و داود و سليمان اذ يحكممن في الحرث اذ نفشت فيه غم القوم و كنا

(١) في الأصل و بن : قائمين .

(٢) في الأصل و بن : البازيين .

(٣-٣) في الأصل و بن : اثني عشر .

(٤) في الأصل و بن : موضعه .

لحكمهم شهدين ۝ ففهمتها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما ۝ فلما قرأه ملك الروم أحم من هذا الجواب المسكت . وسأذكر هنا ما قال المفسرون في الحكومة التي حكم بها داود و سليمان عليهما السلام إن شاء الله تعالى ، و ذلك أن قوما تقدموا إلى داود ليقضى بينهم ، فقالوا : يا نبي الله ! إنا قوم قد حرثنا أرضا و زرعناها و سقيناها حتى بلغت الحصاد فجأوا هؤلاء بالليل . ٥ أرسلوا فيها الغنم فرعوها و ما بقي لنا من الزرع شيء ٤ ، فقال داود لأصحاب الزرع : كم كان قيمته ؟ فقالوا كذا و كذا ، فقال داود : هذا قريب من قريب ، ثم قال لأرباب الغنم : و أغنامكم ترضى هؤلاء أو تردن من مالكم عوضه ، فقال سليمان لأبيه داود : يا نبي الله ! إن أذنت لي تكلمت ، فقال : تكلم يا بني بما عندك ، فقال سليمان لأرباب الغنم : ادفعوا أغنامكم هؤلاء و خذوا أتم أرض هؤلاء فاحرثوها و ازرعوها حتى يقوم الزرع على ساقه ثم سلّموا الأرض إليهم و خذوا منهم أغنامكم ؛ فرضى القوم بذلك و اتفق الفريقان عليه ، فذلك قوله تعالى ” ففهمتها سليمان و كلا اتينا حكما و علما ” فكل منهما أصاب بما حكم به . و المنقول

(١) قرآن كريم ٢١ : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) في بن : قرأها .

(٣) وقع في الأصل و بن : قالت - كذا .

(٤) وقع في الأصل و بن : شيئا - كذا .

(٥) في بن : تردون .

(٦) من بن ، و في الأصل : و اتفقوا .

عن العلماء إذا تعارض تقديم العام و الخاص كان الخاص أولى ، و مثله
 الشيخ عز الدين بن عبد السلام بقوله تعالى ” و داود و سليمان اذ يحكمين
 في الحرث “ و ان التقدير في تضمين الحرث لا في أمر الحرث لأنه
 أعم - انتهى .

٥ نعود إلى ذكر ما كان بدمشق من الكنائس حين فتحها المسلمون
 إن شاء الله تعالى ، كان بدمشق قبل ظهور الإسلام و حين فتح المسلمين
 لها ما يزيد على عشر كنائس ، [٦١ : الف] منها كنيسة جيرون ،
 كنيسة يحنا ، كنيسة مريم ، كنيسة القسلاط ، كنيسة سوق الليل و غيرها
 من الكنائس ؛ و كان بهذه الكنائس الأساقفة - و هم قضاة النصارى ، أحدهم
 ١٠ أسقف - و القمامصة - أحدهم قمص و هم نواب الأساقفة - و القسيسون -
 أحدهم قسيس و هم علماء النصارى و خطبائهم - و الشماسة - أحدهم شماس
 و هم قراء النصارى الذين يقرأون الزبور و الإنجيل و مزامير داود
 و يضربون النواقيس في أوقات صلواتهم و يحملون المباخر و يدورون
 بلقم القربان و الخمر في الكنائس على النصارى يطعمونهم لبركة ما قرئ
 ١٥ عليها - و الرهبان - أحدهم راهب و هم عبّاد النصارى المنقطعون في القلالي
 و الصوامع و الأديرة - فالقلالية ما حصن بها راهب نفسه بمفرده في البرية ،
 و الصومعة عالية البناء يقيم بها راهب بمفرده أيضا ، و الدير ما حوى

(١) في الأصل و بن : عشرة .

(٢) في بن : يوحنا .

(٣) في الأصل و بن : قسيسين .

جماعة رهبان، و جوسق الدير بيت حاصل الرهبان و هو بصحن الدير منفرد بنفسه عالٍ لا يوصل إليه إلا بأسقالة محكمة تمتد من بابه العالى جدا إلى حائط ' آخر مقابل ' للباب ترفع و تحط تلك الإسقالة المحكمة العمل يرخيها المقيم به بسرياق^١ فى بكرة إلى الحائط المقابل للباب فى النهار وفى الليل يرفعها إليه خشية السراق لما فى الجوسق من الذورات و الأموال ٥ التى تجبى من الوقوفات التى حبستها النصارى على ذلك الدير و غيرها من المأكول و ثياب الصوف التى تلبسها الرهبان و غيرها ، و بكل دير طاحون و فرن ، و كل راهب له صناعة يعملها من طحن و خبز و نسج للصوف و زراع للزرع التى بأرضه الموقوفة عليه و غير ذلك ، و بكل دير كنيسة تجتمع بها الرهبان عند ضرب الناقوس^٢ وقت صلواتهم . ١٠ فاذا انقضت صلواتهم مضى كل منهم إلى عمله المختص به ، و خازن جوسق الدير يسمى رُبَيْتِيَّةً؛ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فى الرهبان و أديرتهم^٣ من مقاطيع الشعر إن شاء الله تعالى . و البطارقة^٤ مقدموا جيوش النصارى و اكابر أجنادهم ، و البطررك هو صاحب

(١ - ١) فى الأصل و بن : اخرى مقابلة .

(٢) انظر أيضا ١٨٧ : ألف : سرياقات .

(٣) فى بن : النواقيس .

(٤) فى بن : دياراتهم .

(٥) فى الهامش : البطريق .

(٦) فى الأصل و بن : مقدمى - كذا .

حلّ النصارى و عقدهم ، و يسمى أباء الآباء ، و يقال له أيضا الباب
بتفخيم الباء الأولى ، و إذا حرم البطرک علی أحد من ملوك النصارى
اختلفت عليه جيوشه و لم يطعه أحد [٦١ : ب] منهم و لا من أكبر
حاشيته و لا من دونهم حتى عوام النصارى و بنيه و زوجته إلى أن
يرفع البطرک عنه تحريمه . و في النصارى من يقال له الدمستق
و الجائليق ، أما الدمستق فهو المتولى على حواصل الكنائس ، و أما
الجائليق فهو البطرک بلغة المشارقة .

قال بعض البغاددة برك الله للخليفة في العيد و الجائليق في الميلاد
فالعيد للخليفة كالميلاد للجائليق . فهذه مراتب النصارى في دينهم
١٠ و دنياهم ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر فساد مذاهبهم و تبديلهم
دين المسيح عليه السلام و كفرهم و ضلالاتهم و الرد عليهم في عقائدهم
الفاسدة - إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل و بن : ابو - كذا .

(٢) انظر ٩٧ : ألف حاشية رقم ١ .

(٣) من بن ، و في الأصل : احدا - كذا .

(٤) في بن : بنوه .

(٥) انظر أيضا [٩ : ألف ، ٢٥ : ب ، ٩٤ : الف - ب] حيث يشير الكاتب إلى

أنه سيتكلم عن هذا الموضوع دون ان يفعل .

(٦) زيد هنا في بن [٤٣ : ب ، ٤٤ : الف] ما يلي : قال الواقدي : و لما اجتمع عمرو

ابن العاص ... بقسطنطين بن الملك هرقل على قيسارية بسبب فتحها قال له

قسطنطين ما اسمك يا اخا العرب ... عمرو وانا من العرب الكرام ارباب =

= الحرمين العظيمين ، قال قسطنطين انك لفتى كريم من كمنت من العرب
فنحن من الروم بيننا قرابة و رحم متصلة ونحن و انتم في ما لهم بسفك
دماء بعضهم بعضا ، قال عمرو ان انسابنا دين الإسلام و أما اذا كان
الأخ مع أخيه و اختلفا في دين كان قطع النسب بيننا ، و قد ذكرت ان نسبك
و نسبنا واحد ونحن من قريش أبونا آدم ثم نوح ثم إبراهيم أبو العيص
ابن إسحاق أخو إسماعيل يبقى على أخيه ولا يجوز عليه قسمته التي قسمها آباؤهم
. في قولك الذي قلته نحن بنو أب واحد أبونا نوح عليه السلام
انه قسم لهم شططا حين غضب على ولده حام و اعلم أن ولد نوح لم يرضوا بها
فاقتلوا عليها زمانا و غلب بعضهم بعضا ، و هذه الأرض انتم بها ليست هي لكم
هي أرض العمالة من قبلكم لأن نوحا قسم الأرض بين اولاده الثلاثة سام
وحام و يافث ؛ فأعطى ولده سام الشام و ما حوله إلى اليمن إلى عمان إلى
الجزيرة إلى البحرين و العرب كلهم من ولد سام و هم قحطان و طسم
(زهم !) و جديس و عملاق و هو أبو العمالة حيث كانوا من البلاد
و هم الجبارة الذين كانوا بالشام فهم العرب الغابرة ، و أقطع حام أرض المغرب
و السواحل ، و نزل يافث فيما بين المشرق و المغرب و ان الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين و يزيد أن نرد القسمة
قسمة معتدلة فناخذ ما في أيديكم و تاخذوا ما في أيدينا من الشوك و الحجارة
و البلدان بدلا من الأنهار و العمارة . فلما سمع قسطنطين كلام عمرو
علم أنه رجل مكين فقال له صدقت (في) قولك إلا أن القسمة قد جرت
و لم ترضوا (و في بن : لم ترضون - كذا) بها لكانتم باغين علينا و نعلم ان ما حملنا
على ذلك و أخرجكم من بلادكم إلا الجهد العظيم . فقال له عمرو أيها الملك أما
مازعمت من أن الجهد أخرجنا من بلادنا فنعم و كنا نأكل خبز الشعير و الدررة
فلما رأينا طعامكم و أكلناه استحسننا ذلك و ان حكم حتى نأخذ البلاد من
أيديكم و نصيركم انا عبيدا و نستظل تحت اصول هذه الشجرة العانية و الفروع

= المورقة و الأغصان الطيبة الثمار ، قال منعمونا عما ذقناه في بلادكم من لذيذ العيش فما نلقاكم إلا برجال اشوق إلى حرمكم من حبكم للحياة انهم يحبون القتال كما تحبون انتم الحياة . فأفحم قسطنطين عن جوابه و رفع رأسه إلى قومه و قال إن هذا العربي صادق في قوله و حق الكنائس و القربان . . . ما لنا معهم ثبات . قال عمرو فوجدت الى و عظيم السبيل (كذا) فقات اعلموا يا معاشر الروم إن الله . . . قد قرب عليكم ما تطلبون إن كنتم تريدون بلدكم فادخلوا في ديننا و صدقوا قول نبينا فان الدين عند الله الإسلام ، قولوا لا اله الا الله محمد رسول الله . قال قسطنطين انا لا مفارق ديننا . . . و أجدادنا . قال عمرو فان كرهت الإسلام فأعطنا الجزية منك و من قومك و انتم . . . ما اجيب إلى ذلك لأن الروم ما تطاوعني على أداء الجزية و لقد قال لهم أبي هرقل . . . عمرو فهذا ما عندي من الاعذار و الإنداز و قد حذرتكم ما استطعت إلا . . . إلى أمر فيه النجاة كما عم أبوكم عيصو في رحم أمه نخرج قبل أبيه يعقوب (!!) . . . في النسب و أنا ابرأ إلى الله عز و جل منكم و من قرابتكم إذ انتم تكفرون . . . إسحاق و نحن من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل و إن الله عز و جل اختار لنبينا . . . خرج من صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب فجعل خير الناس ولد إسماعيل . . . إسحاق على لسان أبيه فولد إسماعيل العرب فجعلت خيرة العرب كنانة ثم جعل خير كنانته قريش ثم جعل خيرة قريش بنى هاشم ثم جعل خيرة بنى هاشم عبد المطلب جد نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث الله محمدا رسولا واتخذة نبيا و هبط عليه جبريل بالوحي . قال فحضعت جوارح قسطنطين و قوله حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . رجفت قلوبهم و داخلهم الهيبة و وقع الحرب بينهم إلى ان انتصر (في بن : انتصرت) المسلمون عليهم و اخذوا قيسارية - ولما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على غزة فبعث إليه عاجها ان ارسل الى رجلا . . . بك اكلمه ففكر عمرو و قال ما لهذا العليج احد غيري ، قال فخرج حتى دخل على العليج فكلمه فسمع منه . . . لم يسمع قط مثله ، و قال له العليج هل =

و لما كان في خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كتب ملك الروم كتابا أرسله إليه يقول فيه : سلام عليك فأنبئتني بأكرم عباد الله إليه و أكرم إمامه ، و عن أربعة أشياء فيهنّ الروح لم تركض في رحم ، و عن قبر يسير بصاحبه ، و مكان في الأرض لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة - و غير ذلك من المسائل ، فلما قرأ معاوية كتابه ه قال : اللهم العنه ! ما هذا ؟ فأرسل معاوية إلى ابن عباس بمكة يسأله عن ذلك ، فأجاب يكتب له : أكرم عباد الله عند الله آدم ، خلقه بيده و أسجد له ملائكته و علّمه الأسماء كلها ، و أكرم إمامه عليه مريم التي أحصنت فرجها ، و الأربعة التي فيهنّ الروح و لم تركض في رحم فأدم و حواء و عصا موسى و الكعبش الذي أخرج من الجنة فداء لإسماعيل ١٠

= في أصحابك أحد مثلك ، قال لا تسأل عن هو انى عليهم إذ بعثوني عرضوا لما عرضوني له و لا يدرون ما تصنع بي ، قال فأمر به بجائزة و كسوة و بعث إلى البواب إذا مر بك الأعرابي صاحب عمرو و أمير القوم فاضرب عنقه و خذ ما معه ، فخرج من عنده فمر برجل من النصراري من عرب غسان فعرفه . فقال يا عمرو لقد احسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراد فرجع ، فقال له العاج ما ردك اليها الأعرابي ، قال نظرت فيما اعطيتني فإني احد ذلك يسع نبي عمى فأردت ان آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية التي اعطيتني فيكون معروفك عند عشرة خير (كذا) من ان يكون عند واحد ، فقال صدقت اعجل . . . و قال العاج في نفسه قتل احد عشر من العرب احسن من قتل واحد ، و بعث إلى البواب ان خل سبيله فخرج عمرو و هو ينتفت حتى امن قال لا عدت لثانها ابدا فلما صالحه عمرو دخل . . . فقال لعمر و انت هو امير العرب . قال نعم : على ما كان من غدرك فعض العاج يده ندماً و عرف به هو .

عليه السلام ، و المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انقلب لموسى و بنى إسرائيل ، و القبر الذي سار بصاحبه بطن الحوت الذي كان فيه يونس عليه السلام . فلما وقف ملك الروم على هذه المسائل و غيرها من المسائل أرسل الجواب إلى معاوية يقول : إن هذا الجواب الذي جاوبتني به ليس هو من كلامك إنما هو من بيت نبوتكم ، فعجب معاوية من فهم ملك الروم و قال : الحمد لله الذي رزق هذه الأمة العلم و جعل فيهم العلماء الذين قال النبي صلى الله عليه و سلم فيهم : علماء أمتي كأنبياء بنى إسرائيل .

أخبرني بعض الفقهاء بالإسكندرية قال : وقفت على المسائل المذكورة ١٠ و هي نحو سبعين مسألة في كتاب لبعضهم و ذلك فيما مضى من الزمان ، فالعلماء ورثة [٦٢ : ألف] الأنبياء و الحق سبحانه و تعالى علم آدم الاسماء كلها ، علمه كل شيء حتى القصعة و القصيعة و هذا فرس و هذا حمار و أسماء ما كان و ما يكون و كل نسمة يخلقها إلى يوم القيامة ، و قال أبو الحسن الأشعري : علمه صنعة كل شيء و لما ذا يصلح و فيما يتصرف^٢ ، ١٥ قال : لأن الاسماء بلا معانٍ لا فائدة فيها ، و كيف ما كان الأمر فهو مرتبط بأحكام المخلوقات ، ثم شرف العالم بها حتى سجدت له الملائكة الكرام ، و في معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام قولان : أحدهما أنهم سجدوا له تعظيماً كما يسجد بعض الناس للسلطين و قد كان هذا

(١) في الأصل و بن : الذي (٢) في بن : من .

(٣) في بن : يصرف .

في بعض الملل، قال الله تعالى " و رفع أبويه على العرش و خروا له
سُجداً " و الثاني بأنهم أمروا أن يجعلوه قبلتهم فيسجدوا نحوه كما يسجد
لناحية الكعبة، و قيل إنهم أمروا أن يسجدوا بسجود آدم يقتدوا به
و يجعلونه إمامهم . و ينبغي لطالب العلم أن يقرأ على شيخ مرشد أمين
ناصح و لا يستبدّ بنفسه اتكلاً على ذهنه فالعلم في الصدور لا في
السطور . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب عدد العلوم و ما قيل فيها
إن شاء الله تعالى . و قيل : إن سبب طلب معاوية الخلافة دعاء النبي صلى الله عليه
وسلم له بالتمكين في البلاد فقال الخلافة ، و قال معاوية : و الله! ما حملني على
طلب الخلافة إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ! إن وليت فاعدل ،
و اعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة و الثناء عليهم كما أثنى الله
سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن قدح في واحد من
الصحابة فهو مبتدع ، و البدعة ما عمل على غير مثال سبق . قال الله تعالى
" وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ " ، و ما جرى بين معاوية و علي كان مبنياً
على الاجتهاد لا منازعة من معاوية لعل في الإمامة . إذ ظن علي أن تسليم
قتلة عثمان مع كثرة عشائريهم و اختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب
أمر الإمامة في بدايتها فرأى التأخير ، و ظن معاوية أن تأخير أمره

(١) قرآن كريم ١٢ : ١٠٠ .

(٢) في بن : علة .

(٣) قرآن كريم ٩ : ١٠٠ .

مع جنابهم يؤدى إلى الإغراء بالأئمة، ولم يذهب إلى تخطئة على ذى
تحصيل أصلا . وقد ثبت بالتواتر أن عليا ما حارب أبا بكر فى طلب
الخلافة، و لو لم تكن إمامة [٦٢ : ب] أبى بكر حقا لحاربه كما حارب
معاوية حين طلب الخلافة، فلو كانت الخلافة حقا لعلى ثم انه ما حارب
الظالم على ظلمه لكان عاصيا و الإمامة لا تليق بالعاصى، فصح إمامة أبى بكر
رضى الله عنه، و من أحسن مقامات الملك الناصر داود بن المعظم لما حضر
الدرس بالمدرسة المستنصرية ببغداد والخليفة حاضر قال^١ الفقيه وجيه الدين
القيروانى: أمتدح الخليفة بقصيدة - قال فيها:

لو كنت فى يوم السقيفة حاضرا كنت المقدم و الإمام الأورعا
١٠ يعنى سقيفة بنى ساعدة بمدينة يثرب و ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه
و سلم، فقال الملك الناصر داود للوجيه المادح و أشار إلى الخليفة: كان
جدّ أمير المؤمنين هذا العباس بن عبد المطلب حاضرا يوم السقيفة و إنما
كان المقدم الأورع أبو بكر، فقال الخليفة: نعم، صدقت! و خلع
على الملك الناصر و نفى الوجيه القيروانى من بغداد إلى مصر. و لما قدم
١٥ معاوية مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى خلافته دخل دار عثمان
ابن عفان رضى الله عنه فقالت عائشة بنت عثمان: وا أبتاه! تريد أنه
يأخذ بثأر أبيها ممن قتله بداره، فقال معاوية: يا ابنة أخى! إن الناس

(١) فى الأصل و بن: ذو .

(٢) فى بن: قام .

أعطونا طاعة و أعطيناهم أمانا و أظهرنا لهم حلما تحت غضب ، و أظهرنا لنا طاعة تحت حقد ، و مع كل إنسان سيفه و هو يرى مكان أنصاره ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، و لا ندرى علينا أم لنا ، لأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين - يعنى نفسه - خير من أن تكونى من عرض الناس . و ولى معاوية الشام لعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان رضى الله عنهما ٥ عشرين سنة ، و أقام فى الخلافة عشرين سنة ، و كانت هند أم معاوية ابن أبى سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومى قبل أبى سفيان ، و كان له بيت للأضياف يغشاه الناس فيه بغير إذنه ، فتقيل أحد الأيام فى ذلك البيت و معه زوجته هند ثم خرج عنها و تركها نائمة فجاءها بعض من كان يغشى البيت فرأى هند نائمة فولى خارجا . فاستقبله ١٠ زوجها الفاكه ، فدخل عليها فنبهها و قال لها : من هذا الذى خرج من عندك ؟ فقالت له : ما انتبهت حتى نبهتى ، فقال لها : الحق بأهلك ، فخاض الناس فى أمرهم [٦٣ : الف] حتى قال لها أبوها عتبة بن ربيعة : ابئنى شأنك ، فان كان صادقا دست إليه من يقتله . و إن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان العرب ، قالت : و الله يا أبت ١٥ إنه لكاذب ! فخرج عتبة إلى الفاكه فقال : إنك رميت ابنتى بأمر كبير فاما يئنت و إما حاكمتنى إلى بعض كهان العرب . قال له الفاكه : الك

(١) فى بن : اعطونا .
(٢) فى الأصل و بن : فقيل .
(٣) زيد فى بن : له .

ذلك، فخرجوا إلى الكاهن مع كل واحد منها جماعة من قومه رجال
 و نساء، فلما شارفوا بلاد الكاهن تغير وجه هند، فقال لها أبوها: ألا
 كان هذا قبل خروجنا في الناس؟ قالت: والله ما ذلك لمكروه قبلي!
 ولكننا أتى بشرا يخطئ ويصيب ولعله يسمي بميسم يبقى على الشبه
 للناس، قال لها: صدقت وأسأستخبره، فصفر لفرسه، فأدلى، فعمد إلى
 حبة برّ أي قمحة فأدخلها في إحليل الفرس ثم أوكأ عليها، فلما نزلوا
 على الكاهن قال له عتبة: إننا أتيناك في أمر وقد خبات لك شيئاً
 أختبرك به فما هو؟ قال: ثمرة في كمره، قال: أبين من هذا، قال: حبة
 برّ في إحليل مهر، قال: صدقت فانظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل
 ١٠ يمسح على رأس كل واحدة منهن ويقول: قومي لشأنك - حتى بلغ هذا
 فقال: قومي غير رساء^٢ ولا زانية، وستلدين ملكاً اسمه معاوية، فلما
 خرجت أخذ الفاكه بيدها، فأزالت يدها من يده وقالت: والله لأحرصن
 أن يكون هذا الولد من غيرك. فتزوجها أبوسفیان صخر بن حرب
 فولدت له معاوية، وهو الذي لا يجاريه أحد في سعة حله. يقال إنه
 ١٥ لما أفضى الأمر إليه أمر رجلاً من قريش أن يسير إلى صاحب القسطنطينية
 في أمر، فلما وصل إلى صاحب القسطنطينية كتبه ملك الروم فجأوبه
 الرجل بجواب لم يوافق، فقام إليه رجل من بطارقه فوكزه، فقال
 القرشي: وا معاوية! لقد أغفلت أمورنا وأضعفتنا، فوصل الخبر إلى معاوية

(١) من بن، وفي الأصل: يسمئني.

(٢) في بن: هذه.

(٣) وقع في الأصل و بن: رسخا - كذا.

فطوى عليه حتى احتال في فداء الرجل القرشي ، فلما وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينية و عن أمر البطريق الذي وكزه في مجلس صاحب القسطنطينية ، فلما عرفه أرسل إلى رجل من قواد بلد صور الذين كانوا قواد البحر و كان معروفا بالنجدة و غزو الروم في البحر و قال له : أنشى مركبا يكون له مجاذف في جوفه و استعمل السفره [٦٣ : ب] إلى بلاد الروم و أظهر أنك إنما تسافر إلى بلادهم على وجه السر و الاستتار منّا ، فاذا وصلت إلى صاحب القسطنطينية مكّنه من المال و احمل الهدايا إلى جميع وزراء صاحب القسطنطينية و لا تعرض لفلان - يعنى الذى وكز الرجل القرشى - و اعمل كأنك لا تعرفه ، فاذا كلمك و قال لك : لأى معنى تهادى أصحابى و تتركنى ، اعتذر إليه و قال له : ١٠ أنا رجل أدخل هذه المواضع مستترا و لا أعرف إلا من عرفت به ، و لو علمت أنك من وزراء الملك لهاديتك كما أهادى أصحابك ، و لكنى إذا انصرفت إليكم مرة أخرى سأعرف حقك . فلما انصرف لهم ثانية هاداه و أطفاه و أربى في هديته على أصحابه و جعل يؤهله حتى اطمأن إليه العليج . فلما كان فى آخر المزار قال له ذلك البطريق : كنت أحب أن ١٥ تجي^٢ إلى من بلاد المسلمين بساط ديباج يكون على ألوان الذهب .

(١) راجع فى خبر رسول معاوية إلى صاحب القسطنطينية « مروج الذهب » للسعودى ، طبعة باريس . ج ٨ ص ٧٥ - ٨٧ .

(٢) فى الأصل و بن : الذى .

(٣) فى الأصل : تجب - كذا .

قال له : نعم ، فلما انصرف وصل الى معاوية فأخبره بما طلب ، فأمر
 أن يشتري له بساط على ما وصف ، وقال له معاوية : إذا دخلت خليج
 القسطنطينية ابسط البساط على ظهر المركب و تربع حتى يصل الخبر
 إلى ذلك العليج و ابعث له في السر حتى يأتي الى ضيعته التي على خليج
 القسطنطينية ، و قد علم معاوية أن لذلك العليج ضيعة على ضفة الخليج ،
 فإذا وصلت إلى حذاء ضيعة العليج أرس بها لعله يحمله الشره على الدخول
 عندك في المركب ، فإذا تحصل عندك ثبت رجالك بالذي بينك و بينهم
 من أمانة ليخرجوا المجاذيف التي في جوف مركبك للجذف و تمر به
 من ذلك الموضع راجعا إلى بلاد الإسلام ، ففعل ما أمره به ، فلما بسط
 ذلك البساط على ظهر مركبه عند الضيعة فأشرف العليج على المركب
 من طاق غرفته و رأى ذلك البساط حمله الحرص و النشاط على أن
 نزل و صعد على المركب ، فحينئذ جذفت النواتية^٢ جذفا قويا خارجين به
 من الخليج إلى البحر الواسع و جدوا في السفر حتى وصل به إلى معاوية ،
 فأحضر معاوية ذلك الرجل القرشي و قال له : هذا صاحبك الذي وكرك ؟
 قال : نعم ، قال له : قم فاصنع به ما صنع بك و لا تزد ، فقام القرشي ،
 وكزه كما كان فعل به العليج ، و قال معاوية للعليج : ارجع إلى ملكك
 و قل له : تركت ملك الإسلام يقتص لأصحابه من أصحاب بساطك !

(١) في الأصل و بن : حدا .

(٢) في الأصل و بن : الذي .

(٣) كذا في الأصل و بن ، والظاهر : النواتي .

وقال للقائد [٦٤ : الف] الذي أتى به : انصرف به إلى أول أرض الروم وأخرجه فيه و أترك له البساط ، فانصرف به إلى فم خليج القسطنطينية فوجد ملك القسطنطينية قد صنع سلسلة على قدر فم الخليج و وكل بها الرجال فلا يدخل الخليج إلا باذنهم ، فأخرج القائد، رمى به على البر و كر راجعا ، فلما وصل العالج الى الملك و وصف له ما صنع به ، قال : هذا ملك كبير الحيلة ! فعظم معاوية في أعينهم و كبير في نفوسهم فوق ما كان . و كان معاوية طويلا مسمنا كبير العجيزة قصد الهامة جهم الوجه جاحظ العينين عظيم الصدر وافر اللحية يخضب لحيته بالحناء و الكتم ، و كان داهية ذا رأى و حزم في أمر دنياه ، إذا رأى الفرصة لم يتوقف ، و إذا خاف داراً عليه و إذا خاصم في مقال قطع الكلام على مناظره ، و كان ذا سخاء و جود و حلم .

و كان من حلمه أن رجلا قال له يوما : يا معاوية ! زوحي أمك هند بنت عتبة ، فقال : و ما الذي أعجبك منها ؟ قال : حسن عينيها ، و جمال أنفها ، و ملاحظة فمها ، و ظرافة لفظها ، و حلاوة وجهها ، و رشاقة قدمها ، و حالك شعرها ، و دعج طرفيها ، و حمرة خدها ، و ورقة شفتيها ، و أولوية ثغرها ، و صفالة لونها ، و غنظ أكفها ، و كثرة هناها ، فلما فرغ من وصف ما ذكر قال له معاوية : ذهب إلى أخي فانه

(١) في الهامش : معاوية .

(٢) زيد بن : و سبعة صدرها .

أحكم عليها مني ، فذهب ' إلى أخيه ' فوصف له ذلك ، فجذب سيفه
 وضرب عنقه ، فنودي عليه : الصلاة على قبيل حلم معاوية .
 و الحلم ' هو تأخير العقوبة بعد الاستحقاق مع القدرة على إيقاعها ،
 و مما حكى عن معاوية في الحلم أنه صعد يوماً المنبر فضربه رجل على كفه
 ٥ و قال : ما أشبهه بكفل هند - يعنى أم معاوية ! فقال له معاوية : ذلك ما كان
 يحب منها أبو سفيان - يعنى به أباه^٢ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس .
 و من محاسن ما وصف به معاوية أنه صحابي ابن صحابي و ' صحاية ، أخو
 صحابي ، ' وأخته ' صحاية^٣ هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان ، و ابن
 جدهم ، و أنه كان عظيم الحلم و كاتب الوحي مع غيره من كتاب الوحي ،
 ١٠ و مغفور له حيث شهد له عمر بن عبد العزيز^٤ في الرؤيا المنامية حيث
 قال : غفر لي و رب الكعبة - إلى غير ذلك من مناقبه الجميلة التي من جملتها
 أنه صهر النبي صلى الله عليه و سلم ، و سأذكر [٦٤ : ب] المنام الذي
 رآه عمر بن عبد العزيز إن شاء الله تعالى ، و هو أنه رأى في منامه كأن

(١ - ١) في الأصل و بن : لأخيه .

(٢) في الهامش : الحلم .

(٣) من بن ، و في الأصل : ابوه .

(٤) زيد في بن : امه .

(٥ - ٥) في الأصل و بن : ابن اخت .

(٦) زيد في بن : و .

(٧) زيد في بن : بالجنة .

القيامة قد قامت ، و أنه رأى قبة مضروبة و نودي بأبي بكر ثم بعمر
ثم بعثمان ثم بعليّ ثم معاوية فدخلوا القبة ، ثم خرج عليّ و هو يقول :
قضى لي و رب الكعبة ! و خرج معاوية و هو يقول : غفر لي و رب الكعبة !
فشهد عمر بن عبد العزيز من ذلك و من حوليهما بأن الحق كان مع عليّ ،
و لذلك قال : قضى لي ، لأن الله سبحانه تعالى لا يقضى إلا بالحق ، و قول ه
معاوية : غفر لي ، دليل على إقراره بأن الحق كان مع عليّ ، و ذلك فيما كان
شجر بينه و بين معاوية في حياتهما ، على أن لكل واحد منهما أجرا ، و زاد
عليّ بأجر آخر بسبب الإصابة . و حجّ معاوية في خلافته فلما صار
بالأبواء بين المدينة و مكة اطلع في بئر و هو محرم ، فلقي فأسرع حتى
دخل مكة ، فاجتمع الناس إليه ، فدعا بعمامة فلفّ بها رأسه و شق ١٠
وجهه ، ثم جلس و أذن للناس ، فلما استقر حمد الله و أثنى عليه و صلى على
محمد صلى الله عليه و سلم ثم قال : لئن ابتليت لقد ابتلى الصالحون قبلي ،
و أرجو أن أكون منهم ، و لئن عوفيت لقد عوفى الخاطئون قبلي .
و ما آمن أن أكون منهم ، و لئن مرض مني عضو لقد صحب مني ،
و ما لي على ربي أكثر مما صنع بي ، بل قد زادني على قدرى و جاوزني ١٥
استحقاقى إنعاما و تفضّلا ، و قد بلغت السبعين و نلت الإمارة و الخلافة ،
و لئن نقم عليّ بعضكم لقد رضيتم آخرون . و لئن نقصت عندكم عملي

(١) زيد في بن : قد .

(٢) كذا في الأصل ، و العبارة بها نقص و بياض في « بن » [٤٦ : الف] ،
و بالمعنى غموض قد يتضح باستبدال كلمة « صحب » بكلمة « صح » .

قبل لأزيدن لكم على من بعدى ، و إذا اخترتم عرقم ؛ فرحم الله امرءا دعا لى بالعافية ! فارتجت الأصوات بالدعاء و البكاء ، فقال له مروان ابن الحكم : ما يبكى أمير المؤمنين و إنه لو ثيق العمود ، صلب العود ، قال : كبر سنى ، فرق قلبى ، و أسرعت دمعى ، و ما ذاك شىء فى عملى ، ثم نهض و أنشد :

و ما هى إلا علّة بعد علّة إلى العلّة الكبرى و تلك هى التى و بما قيل فى معناه :

ألذ بما أهواه و الموت دونه كشارب سمّ فى إناء مفضّض

فيوشك أمراضى تحلّ بمرضة تفرّق ما بينى و بين ممرضى

١٠ قال المسعودى فى كتاب التنبيه على تواريخ الأمم : كان على بن أبى طالب

رضى الله عنه شديد الأدمة ، عظيم البطن ، أبيض الرأس [٦٥ : الف]

و اللحية ، تملأ لحيته صدره ، لا يغير شيبه ، عظيم البطن ، عظيم

العينين ، أفضس الأنف إلى القصر ، دقيق الذراعين ، لم يصارع قط أحدا

إلا صرعه . و كانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر . و الخلفاء

١٥ خمسة لا سادس لهم : ٢ أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان

ابن عفان ، ثم على بن أبى طالب ، ثم الحسن بن على ؛ فهؤلاء الخمسة

هم الخلفاء ، و البقية ملوك ، كما روى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه

(١) كذا ، و فى بن : زاد .

(٢) فى الهامش : الإمام على .

(-) زيد فى بن : وهم .

قال: الخِلافة بعدى ثلاثون سنة وبعدها ملك^١. ولما جرى الصلح بين الحسن بن علي و بين معاوية بن أبي سفيان على رأس الثلاثين سنة قال له معاوية: قم فاخطب الناس و اذكر ما أنت فيه، فقام و خطب الناس و قال: «أيها الناس! إن الله هداكم بأولنا، و حقن دماءكم بأخرنا، و قد كانت^٢ لي في رقابكم بيعة، تجاربون من حاربت، و تسالمون من سالمت،^٣ و قد سالمت معاوية، و أشار بيده إلى معاوية و قرأ: «وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّه فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ»^٤، و من نظم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين تأذى من بعضهم فقال:

لنحن على الحوض ذؤاده^٥ نذود و يسعد و راده^٦
 و ما فاز من فاز إلّا بنا و ما خاب من حَبْنَا راده^{١٠}
 و من سرّنا نال منا المنى و من ساءنا ساء ميلاده
 و من كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده

روى أن أمير المؤمنين معاوية كان جالسا في يوم شديد الحر لا نسيم له إذ نظر أمامه و إذا هو برجل يحجل في مشيته من شدة حرّ الأرض فقال لمن حوله: هل خلق الله أشقى من هذا الرجل الذي احتاج إلى ١٥

(١) في بن: ملوك.

(٢) في بن: كان.

(٣) قرآن كريم ٢١: ١١١.

(٤) من بن، و في الأصل: و راده.

(٥) في بن: رواده.

(٦) في بن: يحبنا.

الحركة في مثل هذا الوقت؟ فقال له بعض جلسائه: لعدّه يقصد أمير المؤمنين، فقال: والله إن قصدني لأعطينه و لئن استجار بي لأجيرته، يا غلام! قف بالباب إن طلب الدخول لا تمنعه، فوقف الغلام بالباب، فما وصل إليه حتى قال له الغلام: من أنت؟ قال: من بنى عذرة، قال: قد أذن لك أمير المؤمنين في الدخول، فدخل والنار تتوقد من فيه، فوقف بين يديه منشدا:

معاوى يا ذا الفضل و الحلم و العقل و يا ذا الندى و الجود و العلم و الفضل
 [٦٥: ب] ففرّج كلاك الله عني فاني لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
 و كنت أرجى عدله إذ أتيته فأكثر تردادي مع الحبس والسكبل
 فطلقتها من جهد ما قد أصابني فهذا أمير المؤمنين من العدل
 ١٠ نجد لي بانصاف من الجائر الذي بلاني بشيء كان أيسره قتلي
 فقال له معاوية: مهلا على نفسك يا أخا العرب! أوضح عن أمرك،
 و افصح عن قصتك، فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين! كانت لي ابنة
 عم جميلة و أنا مشغوف بها و اسمها سعاد، و كانت لي صرمة من الإبل
 و شويهاة^٢ فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتنى نائبة الزمان و حادثات
 ١٥ الدهر رغب عني أبوها، و كانت جارية منها الحياء و الكرم فكرهت
 مخالفة أيها، فأتيت عاملك مروان فشكوت^٣ إليه، فأمر بإحضاره^٤

(١) في الأصل و بن: كلال .

(٢) في بن: لم يلق .

(٣) من بن، وفي الأصل: شويهايات .

(٤) في بن: شكاني .

(٥) في بن: بإحضاري .

و إحصارها، فلما رأني وراها صار لي خصما و عليّ منكرا، فقال^١ :
 طلقها، فقلت: لا، فأمر جماعة من غلمانه أن يعدّبوني بأنواع العذاب،
 فلم أجد من ذلك بدا أن طلقتها، فأسجنني^٢ حتى انقضت عدّتها^٣ فتزوج بها^٤،
 وقد جئت مستصرخا مستغيثا، فإن أنت أنصفتني منه و إلا شكوتك
 وإيّاها إلى الله تعالى الذي لا تضيع ظلامتي لديه، ثم بكى وقال ه
 في بكائه:

في القلب منى نار و النار فيها شنار^٥
 و في فؤادي جمر و الجمر فيه شرار^٥
 و الجسم منى نحيل و اللون فيه اصفرار
 و العين تبكي بشجو فد معها مدرار
 و الحب داء عسير فيه الطيب يحار
 حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
 فليس ليلى ليل و لا نهاري نهار

١ فرق له معاوية و قال: مهلا يا أخا العرب على نفسك! و قال: عني

(١) زيد في بن: لي .

(٢) في بن: واحبسني .

(٣-٣) في بن: فتزوجها .

(٤) في بن: شرار .

(٥) في بن: استعار .

(٦) زيد في بن: قال سيبويه في الليل و النهار اما النهار ففي قيد وسلسلة والليل

في بطن منحوت من السياح فلما سمع معاوية من الأعرابي ذلك .

بدواة و قرطاس ، فجىء بذلك ، فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، من
 معاوية بن أبي سفيان إلى مروان بن الحكم ؛ أما بعد فقد تعديت الدين ،
 و هتكت حرم المسلمين ، و تخيرت من المعاصي أعظمها ، و من الجرائم
 أكبرها ، و ينبغي لمن يكون واليا مثلك أن يغيض بصره عن شهواته ،
 ٥ و يجمع [٦٦ : الف] نفسه عن لذاته ، فقد أتاني الأعرابي مستصرخا ،
 فان رددت ظلامته و إلا أعطى الله يمينا لا أكفرها : لأجعلنك لحما
 بين عقبان ، و شلوا بين غربان ، و كتب في آخره أبياتا من الشعر و هي :
 ركبت أمرا عظيما لست أعرفه أستغفر الله من جور امرئ زانى
 قد كنت تشبه صوفيا له كتب من الفرائض أو آيات فرقان
 ١٠ حتى أتاني الفتى العذرى متحبا يشكو إلى بحق غير بهتان
 أعطى الإله عهدا لا أخيس بها ، و لا تبريت من دين و إيمان
 إن أنت راجعتنى فيما كتبت به لأجعلنك لحما بين عقبان
 طلق سعاد^١ و فارقها بمجتمع و اشهد على ذاك^٢ نصرا و ابن ظيان
 فما سمعت كما بلغت من عجب و لا فعالك حقا فعل إنسان
 ١٥ فلما ورد كتاب معاوية على مروان تنفس الصعداء و قال : وددت أن
 أمير المؤمنين خلى بينى و بينها سنة ثم عرضنى على السيف ، و جعل يؤامر

(١) على هامش الورقة ملاحظة بخط آخر « فى نسبة هذه الأبيات إلى معاوية »

و نصها الكامل غير واضح ، و خلاصتها قد تكون أن « الأبيات مصنوعة » .

(٢) فى بن : سعادا .

(٣) فى الأصل و بن : ذلك .

نفسه في طلاقها و لا يقدر، فلما أزعجه الوفد طلقها، ثم قال: يا سعاد! اخرجي، فخرجت شكاة غنجة ذات هيئة و جمال، فلما رآها الوفد قالوا: ما تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي. و كتب مروان جواب كتابه يقول « بسم الله الرحمن الرحيم، من مروان بن الحكم عبد مولاي أمير المؤمنين جليل حضرته:

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد أوفى بنذك في رق و إحسان
و ما أتيت حراما حين أزعجني فكيف ادعى بفعل الخائن الزاني
فسوف تأتيك شمس ليس يدركها عند الخليقة من إنس و لا جان
حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت أقول ذلك في سرّ و إعلان

ثم جهّزها و أرسلها إلى معاوية، فلما رآها أعجبه منها ما أعجب غيره. فقال: إن كانت أعطيت حسن النعمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية. فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاما و أكملهم شكلا و دلا. فقال: يا أعرابي! هل من سلوة عنها؟ قال: نعم إذا فرقت بين رأسي و جسدي. ثم أنشأ يقول:

لا تجعلني و الأمثال تضرب في كالمستجير من الرمضاء بالنار ١٥
أردد سعاد على حيران مكتتب يمسى و يصبح في هم و تذكار
[٦٦: ب] قد شفه قلق ما مثله قلق و أسعر القلب متى أنى أسعد
و الله و الله لا انسى محبتها حتى أغيب في رمس و أحجار

(١) في الأصل و بن: ذا.

(٢) في بن: منه.

كيف السلو و قد هام القواد بها و أصبح القلب عنها غير صبار
 قال : فغضب معاوية غضبا شديدا ، فقال الأعرابي : استغثت على جور
 أبيها بعدل مروان فجار ، فاستغثت على جور مروان بعدلك ، فان جرت
 ليس لي من أستغيث به عليك إلا الله تعالى ، فقال معاوية : يا أعرابي !
 أعطيك عوضها ثلاث بنات نُهد أباكار كالأقار و أطلق لك و لهنّ من
 بيت المال ما يقوم بك و بهن و بكسوتك و كسوتهنّ ، فقال : و الله
 لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما تسلّيت عنها ! فقال : يا أعرابي ! ما الأمر لك ،
 أنت مقر بأنك طلقته و مروان مقرّ بأنه طلقها ، و نحن نخيرها
 إن اختارت غيرك - و عني بذلك نفسه - رددناها إليه ، و إن اختارتك
 ١٠ عقدنا لك عليها بعد و فاء عدّتها من مروان ، ثم قال لها : أيما أحبّ
 إليك أمير المؤمنين و عزّه و شرفه و ملكه و ما تصيرين إليه عنده
 أو مروان و فسقه و ظلمه و ما تصيرين إليه عنده أم هذا الأعرابي و جوعه
 و فقره و برده و ما تصيرين إليه عنده ؟ فأطرقت ساعة و قالت :
 هذا و إن كان ذا قلّ و إفقار أعزّ عندي من أهلي و من جاري
 ١٥ و صاحب التاج أو مروان عامله و كل ذي درهم عندي و دينار
 ثم قالت : أما شرف أمير المؤمنين فلا نزاع فيه غير أنّه لا يحصل لي
 وحدي ، و أمّا مروان و إن كان ظلما جائرا فذلك متعلق بدمه
 أمير المؤمنين فالواجب عليه عزله ، و أما هذا الأعرابي فانه ابن عمي
 و عضو مفصلي ، و لي معه صحبة لا تبلى ، و محبة لا تنسى ، و لم أصحبه
 (١) من بن ، و في الأصل : اما .

إلا لعذرات الزمان و نكبات الأيام، و قد تنعمت معه في السراء، فأنا
 أحق من صبر معه في الضراء . فاستحسن معاوية منها ذلك، و رسم لها
 وله بعشرة آلاف درهم و ناقة^١ و وطاء^٢، فأدخلت القصر، أقامت به^٣ حتى
 انقضت عدتها من مروان، ثم أمر^٤ بدفعها إلى الأعرابي بعد أن عقد له
 عليها^٥. فانظر يا هذا إلى كرم معاوية و جوده و حلمه في طلبه^٥ من الأعرابي
 السلو^٦ عنها فلم يرض، و طلب من المرأة أن تختاره فامتنعت^٧، و مع ذلك
 أحسن إليهما، و بالغ [٦٧ : الف] في إكرامهما، ثم انظر إلى مروءة
 هذه المرأة و وفائها لزوجها، و رضاها به مع فقره، و تركها ما عرض
 عليها من العز و الشرف و هي تأتي إلا الوفاء لزوجها، و هذا غاية
 الوفاء و الكرم^٨.

١٠

و سأذكر حكاية أوفى و أبلغ من حكاية الأعرابية لأن هذه الأعرابية
 وفت لبعلمها في حال حياته و هو يشاهدها و يراها و هي أيضا تشاهده
 و تراه، فحسى أن يكون استحيت منه و اختارته على غيره بسبب ذلك.

(١-١) في بن: ورقاء .

(٢) زيد في بن: و أمر بها .

(٣) زيد في بن: عند الجوارى .

(٤-٤) في بن: تزويجها للأعرابي فتزوجها و انصرف بها .

(٥) في بن: طلبها .

(٦) في بن: و سلوه .

(٧) في بن: و رضيت بفقر الأعرابي .

(٨-٨) في بن: المروءة و الوفاء .

و في الحكاية التي أذكرها الآن وفاء أعرابية لزوجها بعد وفاته ولبثه
 بقره سنين، و ذلك ما حكاه الأصمعي قال: سمعت رجلا من بني تميم
 يقول: ضلت إبل لي فركبت قعودا وخرجت في طلبهن فأتعبنى ذلك،
 فصرت إلى بلاد عذرة فاذا بيت منتبذ عن الأخية ليس بقره أنيس
 و إذا على بابهِ جويرية كاشفة برقعها كأن وجهها سيف صقيل اغشى نوره
 بصرى، فوقف بها فقالت: ما حاجتك؟ قلت: إبل لي أضلتها فهل عندك
 شيء من عليها؟ قالت: أفلا أدلك على من عنده عليهن؟ قلت: بلى، قالت:
 الذي أعطاكهن هو الذي أخذهن فاطلبهن من طريق اليقين لا من طريق
 الاختبار، ثم انها لما رأتني متأملا لها أرخت البرقع وقالت: يا عم! انزل
 على بركة الله و إن أحببت قري كان ابنا أو ماء، قال: فأنخت و نزلت،
 قالت: ما تشاء؟ قلت: لبنا، فولت كأنها قضيب ينثى فأخرجت قعبا مملوءا
 لبنا، فشربت حتى رويت ثم استلقيت على ظهري من التعب فقلت: يا حبيبتى!
 ما اسمك؟ قالت: علوة، فقلت لها: يا علوة! هل لك من بعل؟ قالت:
 قد كان فدعى إلى ما منه خلق - ثم أنشدت تقول:

١٥ إذا دجا الليل أحي لي تذكره
 و كيف ترقد عين صار مؤنسها
 بين التراب و بين القطن و الكفن
 كأن صورته الحسناء لم تكن
 حنين والهة حسنت إلى وطن
 أبكى عليه حين أذكره
 أبكى على من حنت ظهري مصيبته
 و طير النوم عن عيني و أرقى

(١) من بن، و في الأصل: ابلا.

تالله لم أنس حبي^١ الدهر ما شجعت حمامة أوبكى طير على قن
فقلت عند ما رأيت من جمالها وحسن وجهها وفصاحتها وشدة جزعها
[٦٧: ب]: هل لك في بعل لا تُدَمَّ خلائقه ويأمن ألفه بوائقه؟ فاستعبرت
باكية ثم قالت:

كنا كغصنين في عود غذاؤهما ماء الجداول في روضات جنات ه
فاجتت خيرهما من جنب صاحبه دهر يكرّ بفزعات وترحات
و كان عاهدني إن خاني زمن أن لا يضاجع أنثى بعد مشوات
و كنت عاهدته أيضا فعاجله ريب المنون قديما مذسنيات
فاصرف عنانك عمن ليس يصرفها عن الوفاء خالاف في التحيات
قال: ثم جهدها على أن تربني الطريق أو تكلمني^٢، فأبت عليّ بذلك ١٠
فانصرفت وفي قلبي كجمر الغضا من محبتها، ثم أنشأ يقول:

خلياني من الملام كفاني أنا صبّ بحب علوة فاني
زمرموالي بذكرها فهي روحى وحياتي نعم و كل الأمانى
إن تفانيت فهي عين وجودى هكذا الحب لا عدمتُ التفانى
أو تزرى فيا فوادى تهنا لا أبالي بكل من قد جفاني ١٥

و لبعضهم في معنى أبيات علوة المذكورة:

اثان كنا لهذا الحب مذخلقا ذمنا و دام نعيم الوصل متفقا

(١) في الأصل: لم انسى، و في بن: ما انسى.

(٢) في الأصل و بن: حبيبي.

(٣) من بن، و في الأصل: تكلمت.

كنا كغصنين في فرع نخانها ريب المنون^١ الذي قد جار فاقترقا
 فاصفر عودهما من بعد خضرته و أسقط البين من أغصانه الورقا
 يمر هذا على ذا لا يكلمه و قلب هذا على هذا قد احترقا
 ليت الغراب الذي نادى بفرقتنا هبت عليه رياح النار فاحترقا
 ٥ و لبعضهم في معناه :

أطيب ما كنا تفرقتنا يارب جمعنا كما كنا
 كنا كغصني بانه في الثرى أو خيزران قد تعانقنا
 غصنين ملتقين هذا بهذا فمن رأنا ظننا غصنا
 صاح الغراب بنا فأزعجنا فبعد جمع و وصل قد تفرقتنا

١٠ قال المقدسي في معنى نعيق الغراب^٢ إن نعيقه منذر بفرقة الأحباب،
 و لقد سمعت صوت غراب قد تجلبب من الحداد بجلباب، و رضى
 بين العباد بتسويد الثياب، فناديته: أيها النادب! لقد كدّرت [٦٨ : الف]
 ما كان صافيا، و مررت ما كان حلوا شافيا، فما بالك لم تزل^٣ في البكور
 ساعيا، و على الربوع ناعيا، و في البين داعيا؟ إن رأيت شملا مجتمعا
 ١٥ أنذرت بشتاته، و إن شاهدت ربعا مربعا بشرت^٤ بدروس عرصاته،
 فأنت لدى الخليط المعاشر أشأم من قاشر. فناداني بلسان زجره الفصيح،

(١) في بن: الزمان .

(٢) في الهامش: نعيق الغراب .

(٣) في بن: لم تكن .

(٤) في بن: صحت .

و أشار بعنوان حاله الصحيح ، و قال : أنت لا تفرّق بين الحسن و القبيح ، و تساوى لديك العدو و النصيح ، لا تفهم بالكناية و لا بالصریح ، فكأن المواعظ في أذنيك ريح ، أما تذكر ارتحالك من هذا الفسيح ، إلى ضيق الضريح ؟ أما بَدَلْغك ما جرى على أهلك آدم و هو ينادى على نفسه و يصيح ؟ أما يكفيك ما تمّ على داود و هو يبكي بحفنه القريح ؟ أما تعتبر بنواح نوح على دار ليس فيها مستريح ؟ ألا ترى إلى إبراهيم و هو في النار طريح ؟ أما تقتدى بصبر الذبيح ؟ أيّ جمع لم يتفرّق ؟ و أيّ شمل لم يتمزّق ؟ فكيف تلومني على نواحي ؟ و لو علمت ما في صلاحك و صلاحى لا تشحت بوشاحى ، و وافقتنى فى سواد جناحى .

و قد تغلغل بنا الكلام و تشعب و تسلسل إلى أن خرجنا عمّا .
كنا فيه من الملحمة فلنرجع إليها ، قال الباجريقى فيها :

يا مسلمين اغنموا المال فاض و كنز بالفرات و عند الرستن الشتن
حوافر الخيل أبدت ذاك طاعة بشاهق كعسيب أو كما الغصن
قوله : هذا يدلّ على أن المسلمين تنتصر على القوم الكافرين بعد إقامة
الروم بالشام كما قال الباجريقى :

(١) راجع فى موضوع نعيق الغراب :

Le savant : Allégories, récits poétiques et chants populaires
2nd. éd., Paris, 1879, pp. 48-51. Allégorie 28, Le corbeau, par
Izz al-Din al-Muqaddasi.

و انظر أيضا فيما بعد من هذا النص ١٢٣ : الف « مقامة الغراب » .
(٢) فى الأصل : البجريقى ، و قد احتفظنا و وضع الكلمة فيما سبق بالورقات
٥٧ : الف ، ٥٨ : ب .

قد طهرت من جميع الروم أرضكم لم يبق إلا أسير القوم مرتين
 يعني أن المسلمين يقتلونهم و يخرجونهم من الشام و يغنمون أموالهم ،
 و يظهر كنز بالفرات كثيره حوافر الخيل ، و يستغنى المسلمون غناه
 كثيرا . عن عبد الله بن عمر^٢ قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم
 يوم الخندق و هم يحفرون حول المدينة ، فتناول رسول الله صلى الله عليه
 و سلم الفأس فضرب به ضربة فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز
 الروم ، ثم ضرب الثانية فقال : هذه الضربة يفتح الله بها كنوز
 فارس . و كلام الباجري [٦٨ : ب] يشير إلى أنه سيظهر كنز
 بالفرات كما ستظهر كنوز فرعون بأرض مصر .

١٠ حكى أنه كان على عهد فرعون يوضع الربع من خراج بلاد مصر
 في كل سنة فيدفن لئلا تنزل أو جائحة ، فهي كنوز فرعون التي
 تتحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يطلبون الكنوز و المطالبة .
 عن أبي قبيل قال : خرج وردان من عند الأمير مسلمة فرّ على
 عبد الله بن عمر مستعجلا فناداه : أين تريد يا وردان ؟ قال : أرسلني
 ١٥ الأمير مسلمة أن آتي مصر القديمة فأحفر له عن كنوز فرعون ، قال :

(١) في الأصل و بن : يغنموا .

(٢) في الأصل : تستغنى ، و في بن : يستغنى .

(٣) من بن ، و في الأصل : عمرو .

(٤) انظر أيضا ١١٧ : الف .

(٥) في الأصل و بن : على .

(٦) في بن : أخرجني .

فارجع إليه و أقره عنى السلام و قل له إن كنوز فرعون ليست لك
ولا لأصحابك ، إنما هى للحبشة^١ ، إنهم يأتون فى سفنهم يريدون مصر ،
فيشيرون حتى ينزلوا^٢ مصر فتظهر لهم كنوز فرعون ، فيأخذون منها
ما يشاءون فيقولون : ما نبغى غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون و يخرج^٣
المسلمون فى آثارهم فيدركونهم فيقتلون ، فتتهزم الحبشة ، فيقتلهم^٤
المسلمون و يأسرونهم حتى أن الحبشى ليبيع بالكساء .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يوشك
الفرات أن يحسّر عن كنز من ذهب ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .
و فى رواية : عن جبل من ذهب ، فقيل إنه إذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من
يخرج حق الله لم يوثق بالبركة من الله فيه ، فكان عدم الأخذ منه أولى .
و قيل إنه ظهر بأرض الفرات كنز كبير ، كما حكى أن بعض الصيادلة كان
يطوف القرى يبيع على أهلها ما معه من اللبان و الناطف و الإبر و الخيوط

(١) راجع فى هذا الموضوع « حسن المحاضرة » للسيوطى ج ١ ص ٧٢ حيث ورد
فى الفصل الذى عنوانه « ذكر ما يقع بمصر قرب الساعة » ما يأتى : « يأتى العام
الثانى رجل من الحبشة يقال له أسيس و قد جمع جمعا عظيما فيهرب المسلمون
منهم من أسوان حتى لا يبقى فيها و لا فيما دونها احد من المسلمين إلا دخل
الفسطاط ، فينزل أسيس بجيشه منفا فيخرج إليهم راية المسلمين على الجيش
فينصرهم الله عليهم فيقتلونهم و يأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة » .

(٢) فى الأصل و بن : حتى ينزلون - كدا .

(٣) فى الأصل : تخرج .

(٤) فى الأصل : فتقتلهم .

و غيرها ، فأخرجت امرأة من بيتها شخصا^١ من النحاس على صفة قرد صغير عليه نقش ، فلما رآه الصيدلاني استحسنته شكله فقال لها: ما تريدين بهذا؟ قالت: أعطني^٢ به مما معك ، فدفعت لها من كل شيء معه قليلا و مضى به إلى منزله ، و كان يسكن ببلد على شاطئ الفرات ، فقال لزوجته: انظري إلى صفة هذا الشخص النحاسي^٣ الذي هو على صفة قرد و ما أحسن صناعته ! فأخذته المرأة و نظرتة فأعجبها حسن صناعته و لطيف هيئته ، ثم إنها وضعتة على الأرض فما استقر عليها إلا و قد صار يرقص رقصا كثيرا^٤ ، فاندھلت المرأة و زوجها من رقصه^٥ و بما عاينا^٦ من فعله ، فرفعا^٧ و وضعاه في مكان آخر من الدار [٦٩ : الف] فبطل رقصه^٨ ، فرجعا به إلى المكان الأول فرقص^٩ ، فقالا: ما رقص هذا الشخص في هذا المكان دون غيره^{١٠} إلا وفيه^{١١} سو من الأسرار ، فأخذ الرجل المسحاة

(١) في الأصل: شخص - كذا .

(٢) في الأصل: اعطيني - كذا .

(٣) في الأصل و بن: النحاس .

(٤) في بن: و يقفز قفزا .

(٥) زيد في بن: و قفزه .

(٦) في بن: عاينت .

(٧) زيد في بن: من ذلك المكان .

(٨) في بن: فعاد إلى الرقص و القفز .

(٩) زيد في بن: من الدار .

(١٠) في بن: في الأرض .

و حفر ذلك المكان ، فظهر له طابق فرفعه ، فوجد سردابا فنزله ، فوجد قاعة ترهج بالذهب و الجواهر ، فاستدعى الرجل زوجته ، فرأت ما حير عقلها ، فأخذت منه ما اختارا من غير مانع منعهما ، ثم إنهما رزقا ولدا (١) زيد بن : لها باب مقفل و مفتاحه في قفله و دخل القاعة فرآها .

(٢) زيد هنادي بن [٤٩ : ب] ما يلي : فقال الرجل لزوجته : هذا مال حصل لنا من عند الله تعالى ، فان أظهرناه فسد و أخذ منا و يقول الناس : هذا لم نعرفه الا صيدلانيا فمن اين له هذا المال ؟ فقالت له زوجته : احتل حيلة ، فكتب كتابا يقول فيه : من عند اخيه فلان الى عند الأخ العزيز سهل ، اني بأرض الهند و قد حصل لي مال جزيل و خفت الموت فتحضر تأخذه فانت اولي به من الغير ، و طوى الكتاب و ختمه و كتب عنوانه يصل الى البلد الفلاني بأرض الفرات يسأل عن سهل بن عبد الله يدفع له ، و خرج من داره ينظر شخصا غريبا هنديا يدفعه إليه ليجعله كأنه اتاه به من أخيه من الهند ، فوجد رجلا هنديا يدفع له الكتاب و قال له تقص (في بن : تقص) من الناس عن داري و أتني بالكتاب و اك هذا الدينار ، فتقصي الهندي عن داره ، فأرشدته الناس الى دار الرجل فدفع له الكتاب بحضرة الجيران ، ففتحه و قرأه بينهم ، فشاع الخبر و فشا في الناس ، فتجهز للسفر و ملأ خرجا بالذهب و خاطه كأنه هدية لأخيه و ودع الناس و سافر ، فغاب نحو السنة و يضع به من الذهب الذي استصحبه معه بهارا كثيرا و امتعة و أقشة هندية و أتى الى بلده بها فحسد به على تلك الورثة التي أتى بها يزعمون أنها وراثة حقيقة ، و نفعت تلك الحيلة التي دبرها و صار تاجرا لبعض رزقك الله ما رزق سهل الصيدلاني ، ثم رزق من في النعمة الغزيرة و المال الجزيل الى كبر و نجب و رأس و دعي أمير المؤمنين المأمون زوج بابنته بوران بنت الحسن بن سهل صفة تزويج أمير المؤمنين لها و ما فعله الحسن بن سهل للأمير فانرجع الى ما قاله الباجر بقي في ما حتمته . . . =

سمياه الحسن ، و كان أبوه اسمه سهلا ، فرّياه إلى أن كبر ، ففجّب
و رأس إلى أن صار وزيرا للأُمون ، فزوَّج المأمون ابنته بوران
بنت الحسن بن سهل لكثرة ما عنده من الأموال ، و كان أصل ذلك
المال من ذلك الكنز .

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما عمله الحسن بن سهل
للمأمون ليلة زفافه على ابنته بوران - إن شاء الله تعالى ، فلنرجع إلى
ما قاله الباجريقي في ملخمته :

و ما لهم عودة إلا إذا ظهرت ييارق النصر للإسلام باليمن
شين له أثر من تحت سُرّته له القضاء قضى سيف بن ذى يزن

اختلف^١ الناس لم يُسمّى اليمن يمنا ، فمنهم من زعم انما سمى يمنا
لأنه عن يمين الكعبة إذا استقبلت الشمس من مطلعها ، كما سمى الشام^٢ شاما
إذ كان عن شمال الكعبة ، و سمى الحجاز حجازا إذ كان حازرا
بين اليمن و الشام ، و من الناس من يزعم انما سُمّي يمنا لأن الناس حين
تفرّقت يبايل تيامن بعضهم يمين الشمس و بعضهم شمالها ، فسميت بهذا

= و عبارة « بن » فيها بعض الخيل الواضح ، ولكن مضمونها يكمل ما ورد
في نص « بر » .

(١) لا يوجد خبر عن ذلك فيما يلي من نص هذا الكتاب .

(٢) في الأصل : البجريقي ، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشي .

(٣) في الهامش : لم سمى اليمن يمنا ، لم سمى حجازا ، لم سمى شاما .

(٤) انظر الورقة ٥٧ : الف .

الإسم يمنا و شاما .

(١) زيد هثافي « بن » [ه : الف] ما يلي : وقال الكلبي : سمي اليمن يمنا لأن يقطن بن غابر بن شابخ بن أرنخشد بن سام بن نوح عليه السلام أقبل بعد خروج ثلاثة عشر من ولد أبيه فزل موضع اليمن ، فقالت العرب : تيمن بنو يقطن فسميت باليمن ، ولما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا منكم ، وقال : الإيمان يمان والحكمة يمانية والإسلام يمان ، وقال : أهل اليمن زين الحاج ، وقد قال مجاهد في قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » هم أهل اليمن . و قدم رجل على نعيان بن المنذر العرب ، فقال : أخبرني عن أهل اليمن ، فقال : أكثر الناس مستندا وأكثرهم جمعا ، قال : أخبرني عن بني عامر أعجاز النساء ، وأعناق الظباء . و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تعذر أحدكم الملتمس فعليه بهذا الوجه إلى اليمن . و قوله تعالى « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » [قرآن كريم ٤٧ : ٣٨] . قال : أهل اليمن ثلاثة وثمانون (وفي بن : ثمانين) منبرا وأربعون (في بن : أربعين) محدثة ، و سميت صنعاء بصنعاء بن ارك ابن يقطن و هو الذي بناها ، و قوله تعالى « بلدة طيبة و رب غفور » [قرآن كريم ٣٤ : ١٥] قيل صنعاء ، و قوله تعالى « غدوها شهر و رواحها شهر » [قرآن كريم ٣٤ : ١٢] قال : كان سليمان بن داود عليه السلام يغدو من اصطخر و يروح بصنعاء و يستعرض الشياطين بالرى . قال و صنعاء اطيب البلدان و هي طيبة الهواء ، كثيرة الماء ، يشتون مرتين ، و يصيفون مرتين ، و باليمن من انواع الخصب و غرائب الثمر و ظرائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأندلس الأكرسة و القياصرة ، و قد تفاخرت الروم و فارس بالبيان و تنافست فيه فعجزوا عن مثل قصر غمدان و مارد و مزواج و بينون و سلجان و هند و هنيذة قال الشاعر :

أبعد (في بن : بعمد) بينون لا عين ولا أثر و بعد سلجين بيني الناس بنيانا .

فالباجريقي ' يشير إلى أن الكفار يعودون إلى الشام بسبب الحرب بعد كسرتهم ، و يأتي قوم من اليمن لنصرة المسلمين يقدمهم من في اسمه حرف الشين ، يقضى كقضاء سيف بن ذى يزن .

و سيف هذا هو أبو معدى كرب الحميري الذي استنصر بكسرى أحد ملوك الفرس على الحبشة الذين ملكوا اليمن من حمير ، فنصره عليهم بتسريّة أرسلها معه في البحر و هم ألفان يقدمهم وهرز الفارسي ، فقال سيف لوهرز : ما تنفع ألفان في خمسين ألفا ، فقال له وهرز : إن الحطب الكثير تحرقه الشعلة من النار ، و برزت الألفان لسلطان الحبشة

= و لأهل اليمن الخط و عقد الحمل والحساب والخط الحميري . ويعمل العقيق من مخاليف صنعاء ، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لي جبريل : يا محمد ! أتدرى ما العقيق ؟ فقلت بالوحدانية ولى بالرسالة و لك بالنبوة و لعلى بالوصاية و ذريته و اليمن معدن الخزع و هو أنواع و جميع هذه الأنواع من معدن العقيق . و قال الأصمعي و هى لا تكون الا باليمن الوردس و الكندر و الخضر و العصب ، و لأهل اليمن الخلل . . . و الشب اليماني و هو ما ينبع من قنة جبل فيسيل على جانبه اليماني الأبيض و لهم الوردس و هو شيء يسقط على الشجر كالترنجبين - انتهى .

(١) في الأصل : البجربقي ، و صحته وردت فيما سبق من النص و الحواشي .

(٢) زيد في بن : الملح .

(٣) في الأصل : ألفين ، و في بن : الذين .

(٤) في الأصل : الفين .

(٥) في الأصل و بن : الألفين - كذا .

و جنوده ، فرماه وهرز بنشابة فلقت ياقوته كانت معلقة بمعلق من الذهب قبالة وجهه ، فتغلغت في دماغه ، نخر مسروق ملك الحبشة ميتا ، و حملت الألفان ' على [٦٩ : ب] جنوده فهزموهم ، و ملك سيف ابن ذى يزن اليمن ، فكان مدة ملك الأحبوش لليمن اثنتين ^٢ و سبعين سنة ، و فى نصر فارس لليمن ^٣ يقول بعض أولاد فارس :

نحن خضنا البحار حتى فككنا حميرا من بليّة السودان
فقتلنا مسروق إذ تاه لما ان تداعت قبائل الحبشان ^٤
و فلقنا ياقوتة بين عينيه بنشابة الفتى الساسان
و كان سيف بن ذى يزن من ذرية حمير بن سبا ، و كان حمير أشجع الناس
فى وقته و أفرسهم و أكثرهم جمالا ، و ملك اليمن خمسين سنة ، و كان ^{١٠}
أول من وضع التاج على رأسه من ملوك اليمن ، و إنما سُمى حمير
لكثرة لباسه الثياب الحمر ، و كان من ملوك اليمن ملك يقال له أبرهة
ذو الأذعار ، و سُمى بذلك لأنه كان فيما يذكر أهل الأخبار أنه غزا
بلاد النساس ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، و رجع باليمن من سيدهم
بقوم وجوههم فى صدورهم ، فسمى بنى الأذعار ، و كان من ملوك ^{١٥}
اليمن ناشر بن عمرو ، و يعرف بناسر النعم لإعظامه على الناس ، و كان
شديد السلطان و خرج غازيا نحو المغرب حتى أتى وادى اليمن الجارى ،

(١) فى الأصل و بن : الألفين - كذا .

(٢) فى الأصل و بن : اثنين .

(٣) فى بن : سيفا على الحبشة . (٤) فى الأصل : الحبشان ، و فى بن مطموس .

فوجه جيشا في الرمل فهلكوا ولم يعد أحد منهم ، فأمر بصنم نحاس
فصنع و كتب في صدره بالقلم المسند و هو القلم القديم ليس [من - ١]
ورأى مذهب ،^٢ ورجع . قال المؤلف غفر الله له : و سأذكر في
ترجمة الدواوين الأعلام القديمة و أسمائها إن شاء الله تعالى - انتهى .

٥ نعود ، و ذكروا أنه لما غلب سيف بن ذي يزن على اليمن و ملكها
أنته وفود العرب و أشرافها و شعراؤها لتهنيه و تمدحه و تذكر ما كان
من بلائه و طلبه بثأر قومه ، فأتاه وفد قريش و فيه عبد المطلب بن هاشم
و أمية بن عبد شمس و خويلد بن عبد العزى في ناس من وجوه قريش ،
فأتوه بمدينة صنعاء و هو في قصر غمدان ، و هذا القصر على البناء على
١٠ تل مرتفع إذا وقيد على أعلاه فانوس^٣ يرى في الليل من مسيرة ثلاثة
أيام ، و قيل إن مقاصيره من خشب العود القاقلي و الصندل المقاصيري ،
فاذا كان وقت الهاجرة فاحت منها روائح عبقة ، و هو الآن خراب
يصيح فيه البوم و الغراب ، و هو الذي قال فيه الشاعر بعد خرابه :

[٧٠: الف] ألا يا قصر غمدان قد أبلاك الجديدان

١٥ و قد خرب منك الدهر ما شئده الباني

ويا منزل إخوان ويا مرتع غزلان

(١) من بن .

(٢) زيد في بن : و وضعه .

(٣) في الأصل و بن : فانوسا .

وهي آيات، وسيف بن ذي يزن هو الذي يقول فيه أبو الصلت الثقفي:
لا يطلب الوتر إلا كابن ذي يزن^١ في البحر خيم^٢ للأعداء أحوالا
أنى هرقل^٣ وقد شالت نعمته فلم يجد عنده النصر الذي سالا
يعنى أنه لما استنجد بهرقل ملك الروم قال له: إنا نصارى والحبشة أيضا
نصارى وما في الديانة أنا ننجدك على أهل ملتنا و شريعتنا، فلما انقطع^٤
منه سار إلى كسرى ملك الفرس، كما قال أبو الصلت:
ثم انتحى نحو كسرى بعد عشرة من السنين يهين النفس والمالا
فلما وفد على كسرى وسأله النصره قال له: أرضك بعيدة فلا ترى
عسكرا يضيع في البرارى والقفار ويهلك، فأمر له بعشرة آلاف دينار،
فلما خرج من عند الملك نثرها على من كان واقفا على باب الملك من الجند^٥
فانتهبوها، فبلغ ذلك كسرى، فقال له: ما بالك فعلت ما فعلت؟ فقال:
أيها الملك! إن أرضى تنبت الذهب فما أصنع بعشرة آلاف دينار،
فقال: ننظر في أمرك، فأنجده بأصحاب السجون، وقال: اتركوهم يسيروا
معه، فان فتحوا اليمن فكان الفتح لنا، وإن قتلوا فما علينا من قتل
أرباب الجرائم، فسار بهم سيف بن ذي يزن فانتصر بهم، كما قال أبو الصلت:^٦
حق أنى بنى الأحرار يقدمهم تراهم فوق متن الأرض أجيالا

(١-١) في الأصل و بن: خيم في البحر، والتصحيح من ديونه المطبوع في حول

الشعراء (بيروت ١٩٣٤) ص ٥١.

(٢) من بن، وفي الأصل: هرقل.

(٣) زيد بن: أيامه.

(٤) في بن: تخالمهم.

بيض مرازبة غلب أساوره^١ أسد تربب في الغيضات أمثالا
 لله درهم من قتيبة صبرا^٢ ما ان ترى لهم في الناس أمثالا
 لا يضجرون وإن حرّت^٣ مغافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميالا
 أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الناس فإلا لا
 فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا^٤ في رأس غمدان دارا منك محلا لا
 ثم اطل^٥ المسك إن شالت نعمتهم واسبل اليوم في برديك إسبالا
 تلك المكارم لا قعبان^٦ من ابن شيئا بماء فعادا بعد أبوالا

قوله: فاشرب هنيئا، وقوله: ثم اطل^٥ المسك، وذلك أنه حلف أنه لا يشرب

الخمر ولا يتطيب حتى يأخذ بالثأر، فأقام على ذلك عشر سنين حتى

١٠ ظفر [٧٠ : ب] بقطع الحبشة من اليمن . ولما قدم وفد قريش على

الملك سيف بن ذي يزن استأذنوا فأذن لهم، فاذا الملك مضمخ بالعنبر

ينظف رأسه ويرق وييص الطيب في مفرقه، وبين يديه وعن

يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول^٦، فدعا عبد المطلب

(١) في ديوانه: غر جحاجة بيض مرازبة.

(٢) في ديوانه: عصبية خرجوا .

(٣) من ديوانه ص ٥٢، وفي الأصل وبن: خرت .

(٤) في الأصل وبن: اطل .

(٥) في الأصل وبن: قعبان .

(٦) سقط من بن [٥١ : ب] .

ابن هاشم فاستأذن في الكلام ، فقال سيف : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك ، فقال عبد المطلب : إن الله أحلتك أيها الملك محلا رفيعا صعبا شامخا باذخا ، وأنتك منبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أكرم معدن ، وأطيب موطن ، فأنت أيها الملك ربيع العرب الذي تخصب به ، ورأسها الذي تنقاد به ، وعمودها الذي عليه العباد ، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن نخمل ذكر من كنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه ، أيها الملك ! نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشفك الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهته لا وفد المرزئة . فقال الملك سيف : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . قال : نعم . ابن أختنا ، فأدناه وأقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحبا وأهلا ، وناقه ورحلا ، ومستناخا سهلا ، ومليكا رجلا ، يعطى عطاء جزلا ، قد سمع الملك مقاتلكم ، وعرف مقامكم وقرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، فلكم الكرامة ما أقمتم ، والحباء إذا ظعنتم ، ثم إنته أكرمهم وأحسن إليهم وانصرفوا إلى مكة مكرمين . ثم إن الملك سيف بن ذي يزن لما غاب على اليمن وملكها عدا على الحبشة الذين مقيمين بها ، فقتل الرجال ، نعى النساء حتى أفنهم ، إلا بقايا منهم أهل ذلة وقلة فانخذ منهم حولا ، واتخذ

(١) من بن ، وفي الأصل : التي .

(٢) في الأصل وبن : التي .

منهم أصحاب حراب يحملون حراهم بين يديه ، فركب يوما وأوثك
 الحبشة معهم حراهم و يسعون بها بين يديه ، حتى إذا كان وسطا منهم
 مالوا عليه بحراهم قتلوه ، فبلغ ذلك كسرى فأمر أن لا يقولوا على
 أحد من الحبشة باليمن ، فقتل بقية الحبشة الذين باليمن . و قال بعض
 المؤرخين : كان من حديث سيف بن ذى يزن أن الحبشة لما غلبوا على اليمن
 فطال ملكهم خرج سيف وهو من أهل بيت مملكة حمير إلى الروم
 [٧١: ألف] يستنصر عليهم بقيصر ، فشاور وزراءه ، فقيل : أيها الملك !
 إن الحبشة في دينك ، و دين هذا العربي مخالف لدينك ، فاطله و كره
 أن يخفّره ما وعده ، فلما طال على سيف مماطلته له رجع إلى الحيرة
 ١٠ بعد سبع سنين من مقامه بالروم ، فصار إلى ملك فارس أحسبه هرمز
 ابن قباد فاستنصره و قال : أيها الملك ! إني أمت لك بقراية ، فقال : و ما
 القراية التي بيني و بينك ؟ قال : الجلدة البيضاء على الجلدة السوداء ،
 أو قد غلبتنا الأغرّة على بلدنا ، فقال : أي الأغرّة ؟ قال : الحبشة أم الهند ؟
 فقال : الحبشة ؛ فجئتك لتنصرني عليهم فأكون في طاعتك فأنت أحبّ
 ١٥ إلينا أن تملكنا ، فقال : بعدت دارك من أرضنا و هي أرض قليلة
 الخير ، إنما بها الشاء و البعير و هذا ما لا حاجة لنا فيه ، و أمر له بعشرة
 آلاف دينار ، فلما خرج بذرها على باب الملك فنهبت ، فأخبر الملك
 بذلك ، فأمر الملك برده ، و قال : عمدت إلى حياء الملك و كرامته
 فأنهبتة العبيد و الإماء ، فقال : و ما أصنع بالمال و جبال أرضي ذهباً
 (١) في الأصل و بن : ان لا يقولون - كذا .

و فضة ليرغب الملك فيها ، فأمره بالمقام و وعده النصره ، ثم شاور
وزراءه ، فقالوا : أيها الملك ! أتتوه جندا من جند فارس في مفاوز العرب ؟
إنما يشرب فيها في مثل عيون الديكة ، وإن أعوزت عليهم ماتوا
عطشا ، فقال : ما كنت لأخفرك فيما وعدته به ، قالوا : إن ههنا رأيا ،
قال : وما هو ؟ قالوا : تبعث إلى سجونك فإن فيها أقواما قد استوجبوا
القتل ، وإنما حبستهم منا عليهم بأرواحهم ، فتقدم عليهم رجلا
حازما ، فإن ملكوا فهو ملك زدت ، وإن أصيبوا فهو الذي أردت
بهم من القتل و تسلم من دمائهم ؛ فبعث إلى السجون فجمع من فيها من
يستحق القتل ، فكانوا ألفي نفر ، فقدم عليهم بهرز و كان من الأسارى
المتقدمين و قد أتت عليه مائة و عشرون سنة و سقط حاجباه على
عينيه ، فحملهم في عشرة مراكب و سار بهم في البحر ، فقال بعضهم
لبعض : علام نغمر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ! فحملوا أنفسهم على الجسر -
و الجسر حجارة محددة تكون في البحر - فانكسرت من السفن ثلاث ،
و سلمت سبع إلى ساحل عدن ، و تسامعت الحبشة بهم فاجتمعوا إلى

(١) زيد في بن : الماء .

(٢) في بن : ظفروا .

(٣) في الأصل : ملكا ، و صحته في بن [٥٢ : الف] : ملك . و بالعبارة نقص
في مجموعها .

(٤) من بن ، و في الأصل : الفا - كذا .

(٥) في الأصل و بن : عشر .

(٦) في الأصل و بن : سبعة .

ملكهم مسروق بن أبرهة و التقوا ، و انضم إلى سيف بن ذى يزن جمع
 كثير من أهل اليمن ، و اقتتلوا مليا ، ثم قال لهم وهرز: على أى الدواب
 ملكهم؟ قالوا: على الفيل ، فقاتلهم [٧١: ب] ساعة ثم قالوا: قد تحول
 على الفرس ، فقاتلهم ساعة ، و قالوا: قد تحول على البغل ، فقال: ابن
 ٥ الحمار ذل و خل ملكه ، استموا إلى سمته ، فلما استتر^١ بصره عليه من
 شعر حاجبيه ربط حاجبيه بعصابة حرير ، فأخذ قوسه و كان لا يوترها
 غيره ، ثم نزع فيها سهمه ، و على مسروق ملك الحبشة تاج و بين عينيه
 ياقوتة حمراء معلقة بكلاب من الذهب فى التاج ، فرماه بذلك السهم
 ففلق الياقوتة ، و تغلغل السهم فى رأسه ، و خر لوجهه من عُلَى بخله ،
 ١٠ و انهزمت الحبشة ، فجعل الرجل منهم يأخذ البقلة^٢ و العود يضعه
 فى [فيه -^٣] يستأمن به و يدخل النفر منهم الدار فيقتلهم الصبيان و النساء
 حتى أتى على آخرهم ، و كان كسرى هرمز عهد^٤ إلى وهرز و قال:
 إذا صرت إلى اليمن و ظفرت بالقوم فاجمع أهلها و اسألمهم عن سيف
 ابن ذى يزن ، فان كان من أبناء ملوكها كما ذكر و زعم فتوجه بهذا
 ١٥ التاج - و كان أعطاه تاجا و سوارين و ملكه على قومه - واجب أنت
 الخراج ، و إن كان كاذبا فاقتله و اكتب إلى لا اكتب إليك برأى ، فلما
 تمكن وهرز فى البلد جمع أبناء الملوك فقال لهم: كيف سيف فيكم؟

(١) فى بن: استقر . (٢) كذا .

(٣) من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٤) من بن ، و فى الأصل: عهد - كذا .

قالوا: ملكنا و ابن ملكنا و أملاكنا أدرك بئارنا، فتوجه وهرز و ألبسه
السوارين و ملكه و كتب إلى كسرى بذلك ، فأقره باليمن ، فأخذ
سيف بئاره من الأحبوش كما قال ابن دريد في مقصورته التي مدح بها
بني ميكال :

و سيف استعلت به همته حتى رمى أبعد شأو المرتضى ٥
فجرع الأحبوش سماً ناقعا و احتل من غمدان محراب الدمى
قد تقدم أن غمدان قصر [بصنعاء - ٢] كما قال الشاعر :

ألا يا قصر غمدان قد أهلك الجديدان

و قيل إنه حصن بصنعاء لم يدرك مثله ، هدمه عثمان بن عفان رضي الله عنه
في الإسلام ، و له رسومه باقية إلى اليوم ، و قوله : محراب الدمى ، المحراب ١٠
الغرفة بلغة حمير ، قال الأصمعي :

رُبّة محراب إذا جثها لم أدن حتى أرتقى سلما

و قيل : المحراب المجلس من البيت و هو أكرم موضع فيه ، و من هذا
قيل : محراب المسجد ، و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب ذكر محراب
داود عليه السلام ، و قيل : المحراب الرجل الصالح المجاهد في سبيل الله ١٥
تعالى ، [٧٢ : الف] قال الشاعر :

ما [أحسن - ٢] المحراب في المحراب

(١) في بن : الحبوش .

(٢) من بن ، و في الأصل : قصر ا .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من الأصل .

(٤) زيد من بن .

والدمى جمع دمية ، و يقال للنساء : دُمى - شبههن بالصور ، قال الشاعر :
 ما دمية في مرمر صوّرت أو ظبية في خمر عاطف
 أحسن منها يوم قالت لنا و الدمع من مقلتها واكف
 لانت أحلى من لذيد الكرى و من أمان ناله خائف
 ٥ و ممن أخذ بثأره عمرو بن ربيعة بن نصر ابن أخت جذيمة الوضاح ،
 و كان يقال لجذيمة ذلك لبرص به ، و يقال له أيضا : الأبرش ، و كان
 ينزل الأنمار ، و كان لا ينادم أحدا من الناس ذهابا بنفسه عنهم ،
 و كان ينادم الفرقدين ، فاذا شرب قدحا صب للفرقد الواحد قدحا
 و للثاني قدحا ، و يقال إنه أول من عمل المنجنيق^١ و أول من رفع
 ١٠ بين يديه الشمع ، و قد أخذ عمرو بثأر خاله جذيمة من الملكة الزباء^٢
 كما قال ابن دريد :

فقد سما عمرو إلى أوتاره^٣ فاحتط منها كلّ على المستمى
 فاستنزل الزبّا قصيرا وهي من عقاب لوح الجو أعلى منمى
 و كان من حديثه أن الزبّا لما قتلت جذيمة نجح قصير بن سعد ، صار إلى
 ١٥ عمرو و قال له : ألا تطلب بثأر خالك؟ فقال : و كيف أقدر على الزبّا
 و هي أمتع من عقاب الجو ، فقال : اجدع أنقى و أذنى و اضرب
 ظهرى حتى تؤثر فيه او دعنى و إياها ، ففعل به عمرو ذلك ، فلحق قصير
 بالزبّا فشكا لها ما ناله من عمرو و قال : لقيت هذا من أجلك ، قالت :

(١) زيد في بن : جذيمة .

(٢) في الهامش : أول من عمل المنجنيق .

(٣) زيد في بن : لما قتلتها .

و كيف؟ قال: إن عمرا زعم أني أشرت على خاله^٢ بالخروج إليك حتى فعلت به ما فعلت، وكان جذيمة^٣ خطب الزبّاء فأرسلت تقول له: رضيتك زوجا ولكن اتنى، فقيل لجذيمة: نخشى عليك منها، فأبى إلا المضي إليها، فسار إليها في قومه، فقال له قصير بن سعد: إذا رأيت عند قربك من مدينتها ما تكره فأنج بنفسك على العصا، وكان لجذيمة فرس من جملة^٥ خيله سابقا تسمى العصا، فلما قرب جذيمة من مدينتها وجدها قد صفت له جنودها صفين وقد لبسوا الأسلحة وتهيؤوا للحرب، فتلقوا جذيمة^٤ وأحاطوا به، فبادر قصير بن سعد ونزل عن فرسه وركب العصا ونجا بنفسه فنظر^٥ إليه جذيمة فرآه راكبا عليها تجرى به^٦، فقال: يا ويح من تجرى به العصا! فلما دخل جذيمة على الزبّاء [٧٣: ب] قالت: قد وُصف^{١٠} لي دم الأبرش أنه ينفع من الخبل، وكان جذيمة أبرصا فكفى بالأبرش. ثم إنها أمرت باحضار طست فقصده فيه، وقيل لها إنه إن وقع من دمه شيء على الأرض طولب بثأره، فسقطت قطرة من دمه على الأرض. فقال جذيمة: واضيعة دم أضاعه أهله! ولم تزل الزبّاء تستنزف دمه

(١) من بن، وفي الأصل: الى .

(٢) زيد في بن: جذيمة .

(٣) زيد في بن: ارسل .

(٤-٤) من بن، وفي الأصل: حتى بينهم .

(٥) في بن: فالتفت .

(٦) زيد في بن: جريا .

حتى هلك ، فلما تحيّل قصير بن سعد على الزّباء بحيلته المتقدم ذكرها
 أحسن خدمتها و أظهر لها النصيحة حتى حسنت منزلته عندها ، و زين لها
 التجارة فبعثت معه بقافلة إلى العراق ، و كان سرير ملكها بمشارق الشام ،
 فسار قصير إلى عمرو مستخفيا ، فأخذ منه مالا و زاده على ثمن مال
 القافلة ، و اشترى لها طرفا من طرف العراق و رجع إليها ، فأراها تلك
 الأرباح فُسرت به ، ثم كرّ كرتة أخرى فأضعف لها المال ، فلما كان في
 الكرة الثالثة اتّخذ جوالق^١ من المسوح و جعل ربطها من أسافلها إلى داخلها
 و أدخل في كل جولق رجلا معه سيفه ، و أخذ غير الطريق النهج ،
 فكان يسير الليل و يكمن النهار ، و أخذ عمرا معه ، و كانت الزّباء
 قد صوّرت لها عمرو أيضا قائما و قاعدا و راكبا في حائطها ، و كانت
 قد اتّخذت نفقا أي سربا أجرت عليه نهر الفرات من قصرها إلى قصر
 أختها زنبية ، فلما قرب قصير بن سعد من بلدها تقدم بالقافلة و قد
 أبطأ عنها فسألت عنه ، فقيل لها : أخذ طريق الغوير ، فقالت : عسى الغوير
 أبوسا ، فأرسلتها مثلا ، و دخل قصير إلى الزّباء فقال لها : قفي فانظري
 إلى أموالك ، فرقيت^٢ بسطح قصرها فجعلت تنظر إلى القافلة مقبلة مشيها
 قليلا قليلا ، و كان فيها ألف جمل عليها ألفا^٣ رجل معدة بأسلحتها^٤

(١) في الأصل و بن : جوالقا - كذا .

(٢) زيد في بن : صفة .

(٣) زيد في بن : فوق .

(٤) في الأصل و بن : الفى .

(٥) زيد في بن : داخل الجوالق .

كأنما تنزع أرجلها من أوحال^١ لثقل ما عليها ، فقالت :

ما للجمال مشيها رويدا أجنلا يحملن أم حديدا

أم الرجال جثما قعودا

و وصف قصير بن سعد لعمر بن ربيعة ابن أخت جذيمة باب السرب الذي تهرب الزبّاء منه ، فلما دخلت القافلة المدينة و على الباب بوّابون ه من النبط و فيهم واحد معه منغاز^٢ فطعن جولقا من تلك الجوالق . فأصاب المنغاز رجلا فصرط ، فقال البوّاب : السرّ في الجوالق ، و حلّت الرجال تلك الجوالق و خرجوا منها بأسلحتها ، و وقف عمرو [٧٣ : الف] على باب السرب مصلّتا سيفه ، و أقبلت الزبّاء تبادر السرب لتهرب منه ، فلما رأت عمرا عرفته بالصفة التي صوّر لها ، فصّت فصّ خاتمها ١٠ و كان مسموما ، و قالت : يدي لا بيد عمرو ، و يقال : إن عمرا حللها^٣ بالسيف و استباح بلدها^٤ .

(١) في الأصل و بن : و حال (٢) في الأصل و بن : منغازا - كذا .

(٣) من بن [٥٣ : ب] ، و في الأصل : جللها .

(٤) زيد هنا في بن [٥٣ : ب - ٥٤ : الف] ما يلي في موضوع البرص : قال المؤلف رحمه الله و قد ذكر الأبرص فأذكر ما قيل فيه ان شاء الله تعالى ، البرص يسمى الوضح لوضح و بياضه وهو عسر البرء و سببه ضعف القوة الهائنة ، وهو ينقسم قسمين : اما أن يكون . . . من باغم معد خالص ، و إما ان يكون من قبل دم غايظ محترق ، و كلا القسمين ينقسم الى ما يبرأ و ما لا يبرأ ، يكون على ثلاثة أضرب : اما ان يكون ارتا عن الآباء و الأجداد . و اما ان يكون من قبل وطيه امرأة . . . يوم الرابع من حيضها و يسمى برص الخائفة ، و إما ان يكون

== قد تقادم حتى رسيخ بالعضو ولصق بالعظم، فهذه الثلاثة اختلفت قد صارت بمنزلة الشيء الطبيعي الذي ليس فيه علامة. و علامة البرص الحادث من قبل البلغم المفرد الخالص، و ما يفرق بينه وبين البرص الذي يبرأ و الذي لا يبرأ أن يعتمد الى ابرة يغرزها في موضع البرص ثم يخرجها، فان خرج منها دم جوهرى نقي الحجرة فهو الذي يربح له البرء و عولج، و اما اذا خرج دم (وفى بن: دما) لامعا في أبيض رقيق و لم يخرج منه أحمر فاعلم أن العلة قد لصقت بالعظم و رسيخت فيه فلا تبرا، و أيضا فان ذلك موضع البرص دلكا شديدا بخرقة خشنة فان احمر سريعا لعله حدثت فعلاجه هين، و إن لم يحمر الموضع فان البرص متقادم جدا و لا يقبل العلاج، و أيضا فان موضع البرص لا يحس الغرز بالابرة فيه كما يحس سائر الجسد. و علامة البرص الحادث من قبل البلغم الغليظ المحترق ان يسأل العليل ان كان حدث به في موضع البرص او لا قوباء او خشونة تشبه القوباء او اكال شديدا ينقشر منه الجلد او بهق اسود ثم استحال بعد مدة من الزمان الى ان صار... اخبرك بذلك و اردت الزيادة في الدلالة فخذ ابرة فاغرزها في الموضع فان خرج منه دم... السوداءوى المحترق، و ان خرج الدم احمر فهو من قبل القوباء من قبل المرة الحمر (كذا)... باخراج الدم فان خرج الدم ابيض سببه (كذا) بلقاء فهو كما قلنا من قبل البلغم... الفصد البتة علامته علامة البرص الحادث من وطىء امرأة و هى جائض... ما حدث من ذلك و اخبر به العليل و علاج البرص المتولد من البلغم الخالص... البرء و ان يستفرغ البلغم او لا من المعدة بالقىء بالعسل و الفجل... من سائر الجسد بمثل الاصططباخيونات (كذا) الكبار و البادرينغوس (كذا)... و نقيع الصبر و ايارج جالينوس و سائر الايارجات و الأدوية تستعمل في خلال اخذ المسهلات من الجوارشات الحارة كحوارش... الزنجبيل و نحوها. و مما ينفع البرص السكنجيين المتخذ بنحل العنصر (كذا و لعله: العنصل) الاصططباع (كذا)... يحتمى من كل غذاء مولد للبلغم كالبقول و السمك و الفواكه كلها، و لا يفصد له عرق و لا يتعرض له ==

و من طلب بثأره فلم يدركه بل مات قبل إدراكه له امرؤ القيس بن حجر الكندي كما قال ابن دريد :

ان امرأ القيس جرى إلى مدى فاعتاقه حمامة عن المدى

المدى الغاية، وقولهم: امرؤ القيس، بمعنى فتى قيس، و كان من خبره أن أباه حجر طرده لما قال الشعر، فكان ينتقل في أحياء العرب، و استتبعه صعاليك لصوصا فكان يغير بهم، و كان أبوه ملك بني أسد فعسفهم عسفا شديدا، قتلوا عليه فقتلوه، فلما بلغ امرأ القيس قتل أبيه و هو يشرب قال: ضيغني صغيرا و حملني ثقل الثأر كبيرا، اليوم خمر و غدا أمر، اليوم قحاف و غدا ثقاف، ثم جمع جمعا من بني بكر

= بشيء من اخراج الدم البتة - انتهى .

(١-١) في بن: نجات قبل ان يدركه فهو .

(٢) في الأصل دائما: امرء - بحذف الواو والمضمومة، وصحته في بن [ه: الف].

(٣) زيد هنا في بن [ه: الف]: « و قيل انما طرده لأن ام الحويرث زوجة ابيه حجر كانت تتهم به، و لذلك كان ابوه يطرده و همة ابوه بقتله بسببها، و من قول امرئ القيس فيها:

وقد رابني قولها يا هنا . ويحك ألحقت سرا بشر

يقال راب إذا وقع الرية بلا شك، و اراب لم يصرح بالرية، و الرية في البيت ثابت، و قولها: يا هنا، فان المراد به يا انسان، فانها اخبرته خوف الافتضاح، و قولها: ألحقت سرا بشر، تهمة بتهمة يريد أنها كانت تتهم به فلما أتى موضعها حقت التهمة، و قصده ام الحويرث و هي التي تشبب بها و كانت زوجة ابيه حجر و لذلك كان يطرده فكان ينتقل - الخ .

(٤) زيد في بن: حجر .

ابن وائل و غيرهم من صعاليك العرب، فخرج يريد بني أسد، فخرم
 كاهنهم و هو سويد بن أبي ربيعة بخروجه إليهم، فارتحلوا، و بينهم امرؤ
 القيس فأوقع بني كنانة قتلهم قتلا ذريعا، و أقبل أصحابه يقولون:
 يا لثارات الهمام! فقالت له عجوز منهم: و اللات أيها الملك! ما نحن
 ٥ نارك، و إنما نارك بنو أسد و قد ارتحلوا، فرفع عنهم القتل، ثم إن
 أصحاب امرئ القيس اختلفوا عليه و قالوا: أوقعت بقوم برآء فظلمتهم
 و قتلتهم! فخاف على نفسه منهم فخرج إلى قيصر ملك الروم، فرآ في
 طريقه يسكر بن وائل فضرب قبايه فيهم و قال: يا معشر بكر! أما
 فيكم شاعر؟ قالوا: بلى، شيخ من بني قيس بن ثعلبة يسمي عمرا، فسألهم
 ١٠ أن يأتوه به ينشده، ففعلوا فاستنشدته فأنشده فأعجبه شعره، و قال له:
 اصحبني في طريقى إلى قيصر، فصحبته، فلما صعدا درب الروم و أوغلا
 في بلاد الروم بكى عمرو الشاعر، فقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه و أيقن أنا لاحقان بقيصرا
 فقلت له لا تُبِك عينيك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
 ١٥ ثم إن عمرا هلك، فلما سمعت العرب بهلاكه سمته «الضائع»، ثم إن
 امرء القيس دخل على قيصر فاستعان به على بني أسد فأجابته [٧٣: ب]
 و واعدته أن يرفده بجيش، و كانت لقيصر ابنة جميلة فأشرفت يوما
 من القصر فرأت امرأ القيس و كان جميلا، و رآها الآخر فهويته

(١) في بن: دمعك

(٢) في بن: اوعدده .

و هويها

و هويها ، فراسلته فأجابها إلى ما سألت و ساراً إليها ، فذلك حيث يقول :
 فقلت يمين الله أبرح قاعداً و لو قطعوا رأسي لديك و أوصالي
 فلم يخبره قيصر فقصده قتله ، فشاور بعض أهل مملكته ، فأشاروا
 عليه أن لا يقتله في بلاده لئلا تسمع العرب بأنه يقتل الملوك إذا
 وفدوا عليه ، فدعاه به و قال : ما بغيتك ؟ قال : أريد رجلاً أستعين
 بهم على أعدائي بني أسد و يكون البلد لك ، قال : لك ذلك ، فضم إليه
 رجلاً بقدر حاجته و قال له : إذا شئت فاخرج ، فخرج فوجه معه
 جيشاً ، ثم اتبعه بعد خروجه بأيام رجلاً و معه حلة منسوجة بالذهب
 مسمومة و قال له : اقرأ عليه السلام مني و قل^٢ : إن الملك قد بعث إليك
 بحلة قد لبسها ليكرمك بها و يقربك من قلبه ، فأدخله الحمام ، فاذا خرج
 فألبسه إياها ، فلما لبسها امرؤ القيس تنفط بدنه ، ثم نزل إلى جنب
 جبل يسمى عسيبا و إلى جنبه قبر لابنة بعض الروم ، فسأل عن القبر ،
 فقيل له خبره ، و كان قبراً مشرفاً عالياً ، فقيل له إنها ترهبت في
 دير لها ثم ماتت فدفنت ههنا :

١٥

أجارتنا إن الخطوب تنوب و إني مقمٍ ما أقام عسيب
 أجارتنا إنا غريبان ههنا و كل غريب للغريب نسيب
 و مات بالموضع و هناك قبره . و ممن أخذ بثأره زيد بن عدي . ذلك

(١) في بن : صار .

(٢) في الأصل و بن : فادعى .

(٣) زيد في بن : له .

أن عدى بن زيد كان ترجمانا لكسرى أبرويز و كاتبه بالخط العربي ،
 و كان أبرويز ولي النعمان بن المنذر الملك على العرب فكان نائبا
 لكسرى عليهم ، ثم إن النعمان اتهم عدى بن زيد في سعى عليه ،
 فاحتال حتى صار عدى في يديه فحبسه و قتله ، فلم يزل زيد بن عدى
 ٥ ابن زيد يتوصل بما يقدر عليه من الحيل حتى حصل في منزلة أبيه عدى
 ابن زيد عند كسرى أبرويز ، فذكر زيد لكسرى نساء آل المنذر
 و وصفهن له بالجمال الفائق و الحسن البديع ، فتشوق أبرويز للتزويج
 بواحدة منهن ، فكتب أبرويز يخطب إلى النعمان أخته ، و كان الواصل
 إليه بالكتاب زيد بن عدى ، فلما قرأ النعمان الكتاب قال : و ما يصنع
 ١٠ كسرى بنسائنا و أين هو عن [٧٤ : الف] مها السواد - يعنى بذلك
 نساء سواد العراق أى بقر السواد لأن المها البقر ، و سميت المرأة «مهاة»
 لأنهن فى مشيهن يتهادين كمشى البقر ، فقال زيد بن عدى للنعمان : إنما
 أراد الملك كسرى تشريفك بمصاهرتة ، و لو علم أنك ما تريد ذلك
 لم يتعرض لذلك و لكنى سأعتذر عنك له ، فقال النعمان : فافعل فانك
 ١٥ تعلم ما على العرب فى زواج العجم من الغضاضة ، فلما رجع زيد إلى الملك
 كسرى حرّف له كلام النعمان و تكلم عنه أقبح كلام ، فقال كسرى :
 رب عبد قد صار فى الطغيان إلى أكثر من هذا ، فطلب النعمان ، فأقبل
 النعمان حتى أتى المدائن فصف كسرى ثمانية آلاف جارية عليهن الحلى

(١-١) من بن ، و فى الأصل : زيد .

و الحلل ، فلما صار النعمان يئنون قال له : أما فينا غنى عن بقر السواد؟
 فلم النعمان أنه غير ناج منه ، و لقيه زيد بن عدى ، فقال له النعمان :
 أنت فعلت هذا بي ! لأن تخلصتُ لأسقينا بكأس أيبك ، فقال له زيد :
 امض نعيم ! فقد آخيت لك أخية لا يقطعها المهر إذا ، فأمر كسرى
 بالنعمان فحبس بساباط المدائن ، ثم أمر به فرمى تحت أرجل الفيلة ه
 فركته بأرجلها حتى مات . فينبغي للملك أن لا يعتر بعدوه و شيعة و إن
 كانوا قليلا أو ضعافا ، و لا يستخف بهم كاستخفاف مسروق بابن أبرهة
 ملك الحبشة باليمن حتى نزل عن الفيل و الفرس و ركب البغل احتقارا
 للفرس أصحاب السجون ، و أن لا يقاتلهم إلا على أحسن الدواب احتقارا
 لهم كما تقدم ذكره ، و ما علم أن شرارة أحرقت بلدا ، و فلتت حجرا ١٠
 جلدا ، و بعوضة أهلكت فيلا ، و برغوئا أسهر ملكا جليلا ، و كذلك
 قصير بن سعد و حيلته على الملكة الزباء حتى هلكت من حيث أمنت ،
 و كيد قيصر لامرئ القيس من حيث علم و تيقن أنه منصور ، فإذا
 هو الى جنب راهبة مقبور ، فليحذرهم غاية الحذر فان الأعداء لا تؤمن
 غوائلهم ، و إن أبدوا المسألة .

١٥

و سأذكر حكاية تدل على التجنب و الاحتراز من العدو الضعيف

(١) في الأصل و بن : قطن .

(٢) في بن : فركته .

(٣) من بن ، و في الأصل : بن .

(٤) في بن : غاياتهم .

فانه محلّ الكيد ، كالشرك للصيد ، فكيف بالعدو القوي ! ذكروا أنه
 لما وجه أمير المؤمنين مروان بن محمد رجلا من أصحابه يقال له
 ابن هبار يغزو السند ، فلما دخلها بجيشه قال رجل من السند لملك السند:
 إني قد كبر سني و اقترب أجلي ، فدعني حتى آتي القوم لعلي أكيدهم
 بمكيدة إن أمكن ذلك ، وإن عرفوا موضع مكيدتي قتلوني ، فما أقل
 بقائي في الدنيا و أقربني إلى الموت ! فأذن له ملك السند [٧٤ : ب] ،
 فمضى حتى دخل عسكر ابن هبار قائد جيش مروان و هو يريد أن
 يقطع بجيشه مفازة يلقينهم فيها لتسلم أهل السند منهم ، فالتمس ابن هبار
 الأدلاء ، فأتاه الشيخ السندي فقال : أنا أدلك و أسير بك في طريق
 مختصر قريب حتى أهجم بك عليهم و هم غافلون ، فركن إلى قوله
 ابن هبار بجهله و مضى معه في أربعة آلاف فارس ، فدخل بهم الشيخ
 المفازة فضلله و سلك به غير الطريق حتى نفذ ماؤهم ، فلما يئسوا من الحياة
 قدّمه ابن هبار فضرب عنقه ، و ماتوا جميعا عطشا فلم ينبج منهم إلا
 رجل ، ذكروا أنه امتص روث فرسه حتى ورد الماء ، فكان هو الذي
 ١٥ أخبر بنخبرهم .

و سأذكر فيما يرد من هذا الكتاب خبر الأقطع الذي مكر بفيروز

(١) في بن : مواضع .

(٢) في بن : قتلوا .

(٣) في بن : لتسلم .

(٤ - ٤) في بن : فضلهم و سلك بهم .

ملك فارس حتى هلكت جنوده بمكره و كيده إن شاء الله تعالى .
فالحازم يحذر عدوه و إن أبدى له المودة و المسالمة . قالت الحكماء^١ :
احذر الموتور و لا تطمئن إليه و كن أشد ما تكون حذرا منه
الطف ما يكون مداخلته لك ، فأنما السلامة مع العدو تباعدك عنه .
قال الشاعر :

من لم يكن للغريم خصما أتلفه ذلك الغريم
و قالوا : لا تطمئن إلى العدو و إن أبدى لك المقاربة ، و إن بسط لك
وجهه و خفض لك جناحه ، فإنه يتربص لك الدوائر ، و يضمرك
الغوائل ، و لا يرتجى لنفسه صلاحا إلا في فسادك ، و لا رفعة إلا بسقوط
جاهك . و أوصى بعض الحكماء ما كما فقال : لا يكونن العدو الذي
كشف لك عن عداوته بأخوف^٢ عندك من الصديق الذي يستتر لك
بمخاتلته ، فإنه ربما تخوف الرجل السم الذي هو أقتل الأشياء ، و قتله
الماء الذي هو محي الأشياء ، و ربما تخوف أن يقتله الملك الذي يملكه
ثم يقتله العبيد^٣ الذين يملكهم^٢ . و في كتاب الهند : إذا أحدثك العديرا
صدقة لعله ألبأته إليك حاجة ، فمع ذلك رجوع العداوة كالماء تسخنه
فاذا أمسكت عنه عاد إلى أصله باردا ، و الشجرة المرة لو طليت بها
بالعسل لم تثمر إلا مرا .

(١) في الهامش : التجذب من العدو .

(٢) في بن : بالخوف .

(٣-٣) في الأصل و بن : الذي يملكها .

قال الشاعر :

لا يرجع المدبر عن طبعه حتى يعود الدرّ في ضربه

من كان من حنظلة أصله لا ينبت التفاح في فرعه^١

ولا يغرك^٢ قول الشاعر :

و كم من عدوّ عاد بعد عداوة صديقا مجّلا في النفوس معظما

فلا غروفا لعنقود في ظلّ كرمه يرى عنبا من بعد ما كان حصرما^٣

(١) زيدت هنا في بن [٥٥ : ب] الأبيات التالية :

من لم يكن عنصره طيبا لم يخرج الطيب من فيه

أصل الفقى يحنى ولكنّه في فعله يظهر خافيه

..... امرأ يشبه فعله ويرشح الكوز بما فيه

(٢) في بن : لا يغرنك .

(٣) زيد هنا في بن ما يلي : « إذ قد ذكر العنب و الحصرم فلنذكر ما قالت

الأطباء فيه : العنب هو أفضل و أغذى من سائر و خاصة الناضج الحلو ،

إلا أنه يولد في الكبد و العروق خلطا غليظا كثير الريح من أكله و لم ينهضم

في المعدة ، و أكثر ما يكون مضرته بالكبد ، و ما كان منه أشد حلاوة فهو

مسخن نافع لأصحاب البلغم ، مسهل للبطن و قد يسمن كثيرا ، لكنّه

سمن مترهل يتحلل سريعا و احمد ما يؤكل لحمه و يمص ماؤه و يرمى

بقشره ، فاذا اكل كذلك كان سريع الاستحالة بالدم يغذو غذاء كثيرا

محمودا . و اما الذي لم ينضج اعنى الحامض المسمى بالحصرم فخاصة خيارته إذا

خلطت مع العسل نفع من اورام اللوزتين و اللهاة و يشد اللثة الرخوة و يمنع ...

الرطوبة السائلة إليها ، و إذا قطر منها في الأذن قطع القيح السائل منها ، و إذا

شرب عصارة الكرم اسهلت السوداء بقوة . .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الأول من كتاب الإمام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويري رحمه الله يوم الخميس الحادي عشر
 من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ = ٨ / يونيو سنة ١٩٦٨ م . اعنى
 بتصحيحه والتعليق عليه الأستاذ المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه .
 و غنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأستاذ الفاضل الدكتور
 محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف ورئيس قسم آداب اللغة العربية
 بالجامعة العثمانية أبقاه الله لخدمة العلم و الدين - و يليه الجزء الثاني .
 و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه
 و يرضاه ، و صلى الله على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه
 أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

جدول الخطأ و الصواب

للجزء الأول من كتاب الإمام

الصواب	الخطأ	الصفحة الحاشية	السطر	الخطأ
نَبَذَ تَهَمٌ	نَبَذْتَهُمْ	١٤		٥
بنفسه المؤلف	بنفسه	٥		٥
التوييخ لمن	التوييخ في	٨		٥
١٣٦٥	١٢٦٥	١	١	٢
وكرستينسن	وكرستينين	٦	حاشية	٦
Einleitung	Enleitung	٧	•	•
Tzakon	Tzxkon	١	٨	٧
(كذا، و الصواب : كشف)	اكشف	٣	١	١١
للاذفوى	للاذفوى	١	٢	١٣
فلذاك	فلذاك	١٠		١٥
كذا، ولا يستقيم به الوزن	كذا، ولا يستقيم به الوزن	١	٤	•
في الأصل : فلذلك ،				
ولا يستقيم به الوزن				
238-65	238-6ē	٤	١	٥٣
الشام	الشام	٨		٥٩
و رجال العرب ؟	و رجال ؟ العرب	١٢		٧٤
لن	لإن	١٧		•
الطيبيت	الطيبيت	١٣		٨٠
١٥١٧	١٧١٥	٢	٢	١١٠
رحلته	رحلة	٧	حاشية	١١١
im	in	٣	٤	١١٢
١٣ : ألف	١١٣ ألف	١	٧	١١٥
wiet	wier	٢	٥	١٢٩

الف

جدول الخطأ و الصواب للجوه الأول من كتاب الإمام

الصفحة	الحاشية	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٣	حاشية	١٤	به	بها
١٤٤	•	٦	الثالث	الرابع
١٤٥	١	٩	زيادات	[و] زيادات
•	•	١٠	كتاب الإمام	للحاكم الإمام
•	•	١١	العبي	الضبي
١٥٨		٨	و خلايراني	و لإخواني
١٨٧		٥	بجدها	نجدها
١٩٢		٢	غرة	غزة
•		٦	البه	البهم
١٩٩		•	قد ب	قد بل
•		١٣	جننا	جُنِنًا
٢٢١		٦	و للبادرة	و للباددة
٢٣٤		٥	تأخذه	تأخذها
٢٤٦		١٣	خطوة	خطوة (كذا) و صحته بالجمع : خطي
•	حاشية	٢	Dussand	Dussaud
•	•	٤	iii	Vol. III
٢٥١		٥	و زرعناها ... فجأوا	فزرعناها ... فجاء
٢٥٢		٨	القسنلاط	القسنلاط (كذا)
٢٥٦	حاشية	٨	مفارق	نفارق
٢٧٣		٢	هئية	هئية
٢٨٦	حاشية	٤	و ذريته	و لذريته
٢٩٦		١٠	الزبَاء	الزَبَاء
٣٠٠	حاشية	٦	لامعا	مائع (و في بن : لمعا)
•	•	١٥	سبيه	شبيها (و في بن : شبيه)

ب

- (3) The complete Bankipore MS., XV, 1066, though full of blank spaces and numerous obscurities, is invaluable in many respects and reference is made to it under the letters “بن”.

“Kitāb al-Ilmām” was cited by older writers and modern ones. Amongst those who made a special notice on it are the famous fifteenth century historians ibn Hajar (d.852 A.H./1449 A.D.) and al-Sakhāwi (d. 902 A.H./1496 A.D.). The bibliophiles Hajji Khalifah and ‘Umar Ridā Kaḥḥālah both include it in their definitive listing of authors from the Islamic age.⁶

It is hardly possible to conclude this preface without commemorating my friend the late E’t. Combe whose prominent role in dealing with both the text and the French translation thereof is noteworthy. Personally, I am aware that he devoted numerous decades of his rich scholarly life to those tasks, and it is only hoped that a French Orientalist may come forward to undertake the editing of the complete or partial translation of this important work.

Finally it is my duty to put on record my personal appreciation of both the Deccan government and the organization of Dairatul Ma‘aref al-Osmaniyah for making the edition of this work a reality.

Salt Lake City, Utah, U.S.A.
February 1967

A.S. ATIYA

(6) See notes and excerpts in the Arabic Introduction.

While considering the complete edition of the text, it has been found expedient to retain as a base the Berlin and Cairo MSS. which were prepared by the same scribe, not only on account of their age, but also because they were authentic copies of the author's autographed manuscript as is evident from the Cairo colophon. Moreover, the Berlin-Cairo MS. is on the whole accurate in style and suffers much less than the Bankipore from blank spaces. However, the Bankipore comprises passages fallen out of the Berlin-Cairo, and the two together give us an almost complete version. While keeping the Berlin-Cairo intact in the text, addenda from Bankipore are presented in parallel footnotes. Collation of important variants is adopted, though we have decided to overlook the innumerable verbal variants which have no bearing on the essence of the MS. and which would have rendered the edition unwieldy with meaningless and endless details.

The strange phenomenon is that neither the Berlin nor the Cairo MSS. bear the name of the author on the title page which led both Ahlwardt and Brockelmann to describe it in their early works as anonymous. On the other hand, the Bankipore MS., and for that matter a small tract of the same work in the British Museum, appear under the false authorship of the geographer al-Wāqidi. The correct name of the author has been denoted in the critical notes of the text.

In fine, the MSS. used in the collation of this text are three :

- (1) The Berlin MS. consisting of two parts in one volume appears under no. We 359, 360 (See Ahlwardt, vol. VII, p. 79, no 7865). Reference to it is made under the letters "ب".
- (2) The Cairo MS., which is a continuation of the Berlin one by the same scribe, is preserved in "Dār al-kutub" under no. 1449 Hist. and reference is made to it under the letter "ق".

excerpts prepared in collaboration with M. Combe became inevitable, and I accepted the new challenge owing to the following reasons:

First, the method of editing the ancient Arabic texts in full is sound in principle and its merits outweigh its demerits.

Secondly, the decision to overlook the translation of the excerpts relieves the editor from excluding the peripheral citations of the text which may be of import to the Arab reader rather than the Orientalist.

Thirdly, the sections omitted for irrelevance to the original theme of the crusade of Alexandria in the fourteenth century comprise numerous passages of folklore literature and mediæval Islamic fiction together with a multitude of minor poets and poetry unknown in literary studies—a realm indeed of unusual value to literary scholars.

Fourthly, it is possible to concentrate the critical footnotes on the historic sections only, and this is a task which M. Combe and I have already accomplished in the original plan. Regarding the literary, poetic, juristic and epic material which I am restoring to the text alone, these are inserted with addenda from the Bankipore MS. and the identification is made of Qur'ānic verses.

Fifthly, in spite of its peripheral citations, the book comprises a considerable mass of data of archæological importance to the Islamic story of the city together with important source material on subjects such as the seafaring craft in the Mediterranean of which the author was apparently a daily observer.⁵

It is hoped therefore that the afore-mentioned reasons justify the renewed effort to refill the gaps already left in the text according to the older plan, however toilsome and time-consuming this task may be in the service of literary scholarship.

• • •

(5) See note on the works of Gildmeister and Kindermann on this interesting topic.

But this joint project came to a standstill with the decease of my distinguished colleague on 9 July 1962 at the age of eighty-one in Cairo. His death was an irreparable loss to the history of Alexandria of whose archaeology and Islamic sources he was the most competent authority. At that moment, I had already completed my own share in the process of editing those excerpts as planned while I was in the throes of preparing to return to my academic duties in the United States of America and the notes of the work were consequently left in the hands of my colleague to complete the final touches and seek a publisher. Divine will decreed otherwise and his lamentable death occurred before the completion of this last phase, and the notes remained with his private collection in the Swiss Archaeological Institute of which he was Director. Consequently I wrote to my friend and colleague Prof. Dr. Robert Rahn, Cultural Attache' at the Swiss Embassy in Cairo, to mediate officially with the approval of Madame Combe for salvaging the book material from his estate and for preserving it until I was able to recover it for revision and editing. Dr. Rahn, who was a friend of both parties, acted promptly and I was ultimately able to receive the book materials in the summer of 1964 and bring them with me to the New World.

While I was contemplating a publisher, Dr. Mu'id Khan, Director of Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmania at the Osmaniya University in Hyderabad, sent me a generous offer to undertake the publication of the Arabic text in his series,⁴ more especially as the Government of Deccan had appropriated sufficient funds for that purpose since the Bankipore Library in India was the depository of the only complete manuscript of the work. A condition of acceptance, however, was made to the effect that the edition must comprise the complete Arabic text. Thus reconsideration of the position of the

(4) Brockelmann, *Gesch. Arab. Litt.*, Suppl. II, p. 34, was aware of the Hyderabad intent to publish the MS. as early as 1938.

Nevertheless, al-Nuwairi's book may indubitably be considered as a primary work of reference on that crusade from the Oriental or Egyptian side in much the same way as Guillaume de Machaut's² work is to be regarded as its primary source in Old French. The two writers were eye-witnesses of those events from two different angles. Nevertheless Machaut's work enjoyed more attention from scholars and was published in the last century. However, this did not hinder some historians from profiting by its contents as, for example, Herzsohn, Capitanovici, Paul Kahle, the late E'tienne Combe, and the writer of these lines.³ The unwillingness of Orientalists to edit that text till now may be ascribed to the nature of the book in which the author digressed into aberrations of style outside his prescribed subject to a multitude of peripheral and complex items calling for prolonged study and research to which they were averse.

However, my own project of editing the manuscript of "Kitāb al-Ilmām" was conceived well-nigh thirty years ago during my study of the crusades of Peter I Lusignan. Thus I started by reading the Berlin MS. in 1936. Afterwards, I learned that the late Professor E't. Combe the well-known Swiss Orientalist, then Director of the Alexandria Municipal Library, was diligently preparing an edition of the same text. So we exchanged notes on the subject for a time, and in the end agreed on co-operation in the publication of the purely historical excerpts, especially those relating to the city, to be accompanied by a French translation which could not englobe al-Nuwairi's lengthy citations in side tracks of no import to the western readers saving a few Orientalists whose limited numbers could hardly justify a gigantic task.

* * *

(2) *Le prise d'Alexandrie*, Ed. Mas Latrie, Geneva 1877. See relevant note on the Arabic text for a fuller statement of the western sources of the Crusade.

(3) See relevant notes on these works in the Arabic Introduction.

PREFACE¹

THE present work is here published for the first time in the "Dā'iratu'l Ma'ārif il-Osmaniya" Series. Hitherto a rare manuscript, it was composed by Muhammad b. Qāsim b. Muḥammad al-Nuwairi al-Māliki al-Iskandarāni who died after the year 775 A.H./1372 A.D. It was written under the title of "Kitāb al-Ilmām bil-I'lām fī mā Jarat bihi al-Aḥkām wal-'Umur al-Maqḍiyah fī waq'at al-Iskandariya wa 'Aduha ila Hālatiha al-Marḍiyah." This was done after the catastrophe which befell the city in the crusade of the Cypriots and their allies from Europe in the year 767 A.H./1365 A.D. They destroyed what they could destroy, looted what they were able to carry away, from its treasures, then departed after a few days during which the city witnessed a calamity greater than any other in its long history.

The original aim of the author from writing this book was to put on record his memoirs and observations and whatever he could compile in the way of data on that ill-advised and merciless crusade. But he was carried away by the citation of diverse materials in long statements of belles-lettres, history, jurisprudence, theology, tradition, fiction and other subjects with no bearing on the original theme of the book to the extent that it became more in the nature of a literary compendium than a special historical register.

(1) This Preface is a summary of the salient of the fuller Arabic Introduction, avoiding reiteration of the Arabic excerpts from the sources for space economy. However, the method of approach to the text and the handling of the manuscripts has not been curtailed. In the matter of notes, the reader is constantly referred to the fuller versions accompanying the Arabic text.

